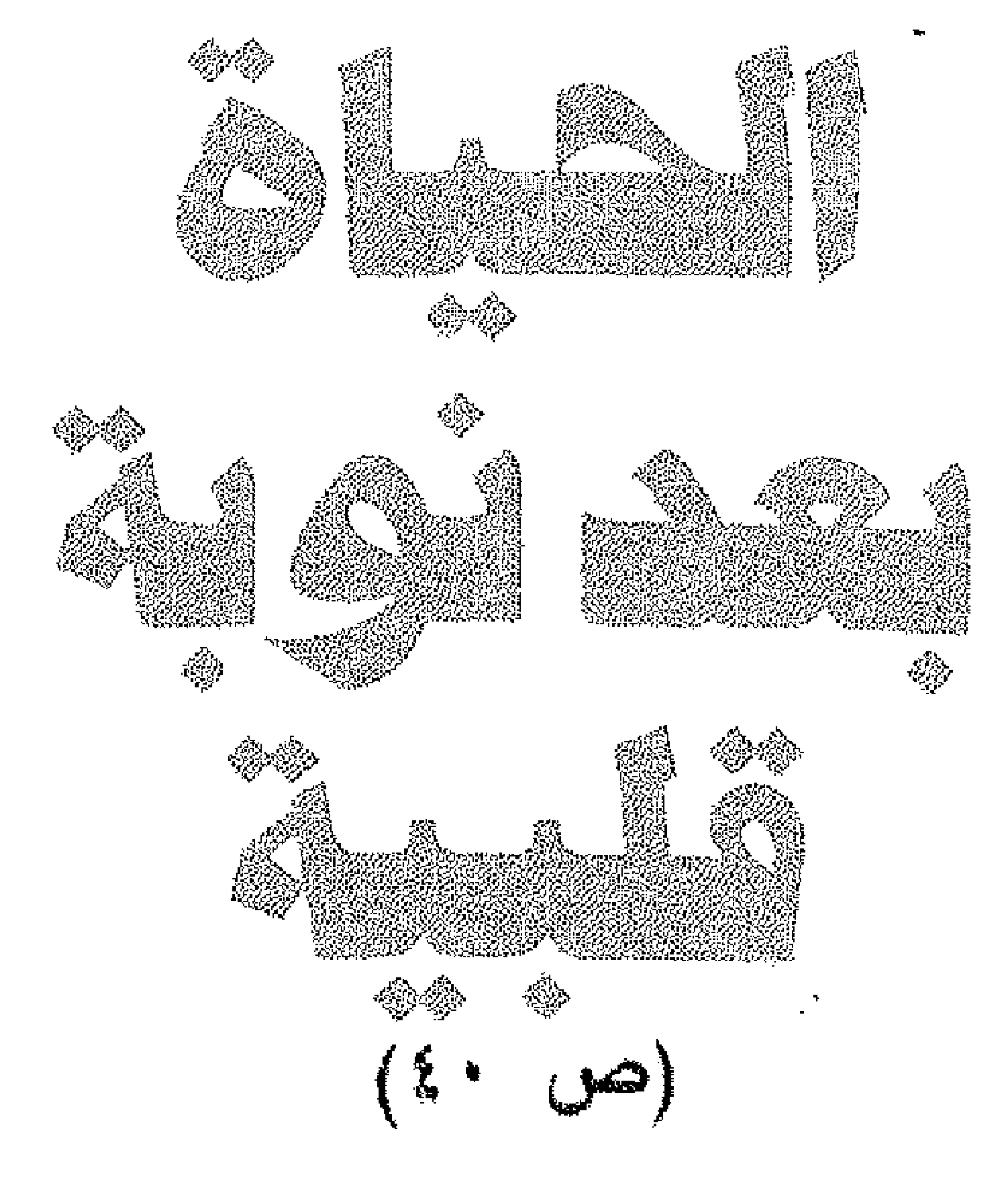
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٢ ـ جمادى الاولى ١٤١٣

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '92 Nº 168

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

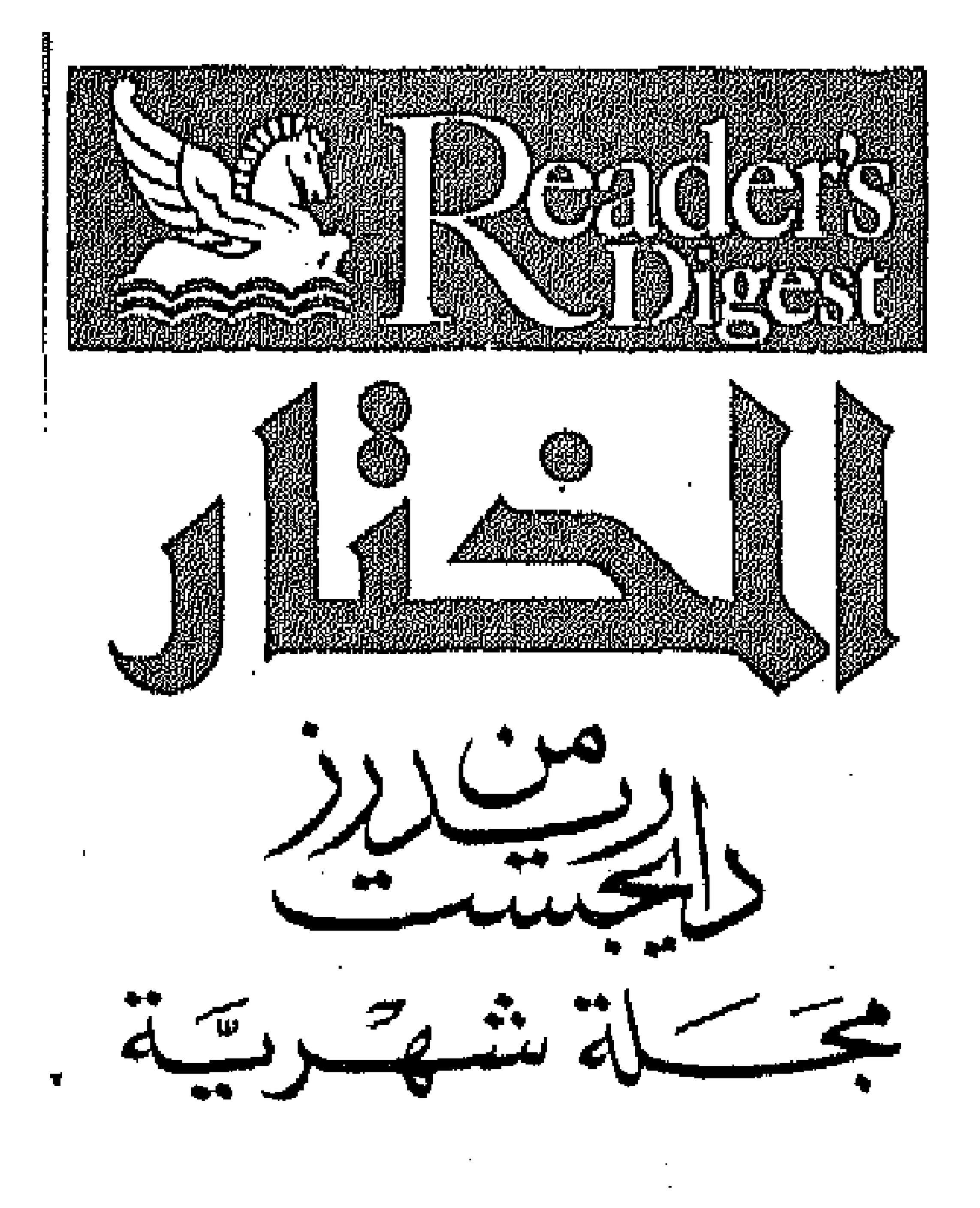


(ص ٤٠)

الحوار الزوجي خشبة خلاص!
(ص ١١)

ساعدوا أولادكم لينجحوا
(ص ٣٥)

رياضيون أدمنوا وخسروا
(ص ١٥)



رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
امانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ - ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ - ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

لبنان	٢٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الأردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالاً.
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٣٠ ريالاً.
مسقط	١ ريال.
قبرص	١،٥ جنيه.
تونس	١ دينار.
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١،٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا واميركا الشمالية	٢،٥ دولار.

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) وفي الصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضاً في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

November '92 N° 168 (New Series) Vol. 14

اعــلان اسمــاء الفـائـزيـن فـي مسـابـقـة

نعــرض

حوار الفوز بين السائقين وأكثر الأشياء حركة
تعابير من "مازدا" التقطها اشخاص يجيدون اكثر

Mazda Photo Contest '93

بعد النظر في الصور التي تلقيناها هذه السنة، من الانصاف القول ان مالكي سيارات "مازدا" يتمتعون ببعض النظرات المميزة.

انينا للفائزين الخمسة عشر بالجائزة الاولى وللفائزين الخمسة والاربعين بالجائزة الثانية.

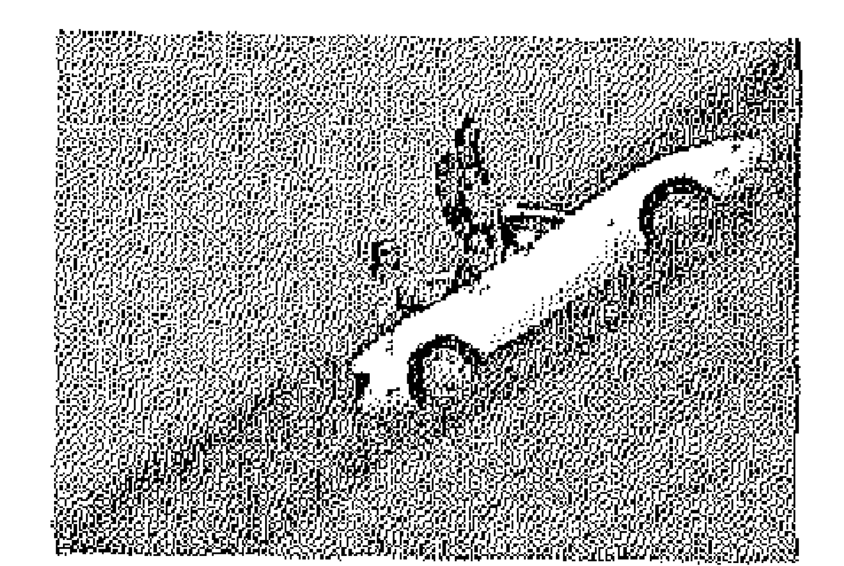
وشكراً من القلب للذين شاركونا في صورهم الموحية.



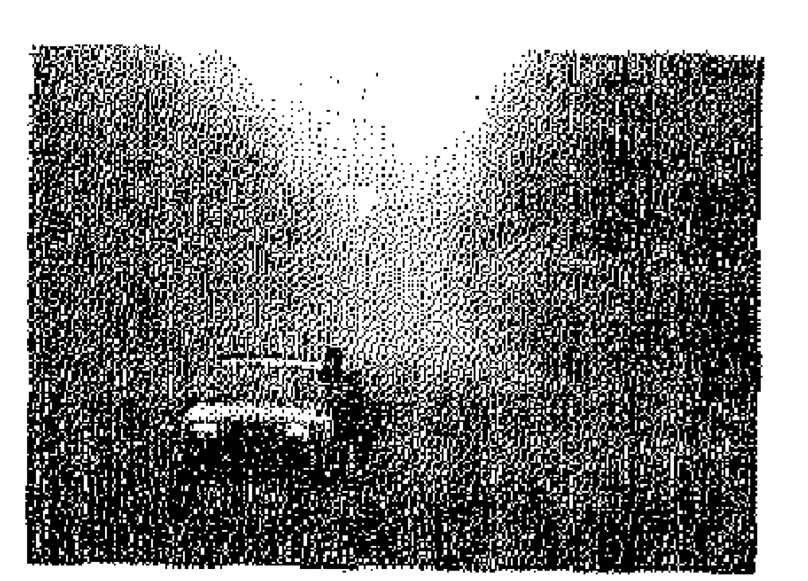
الفائزون بالجائزة الاولى



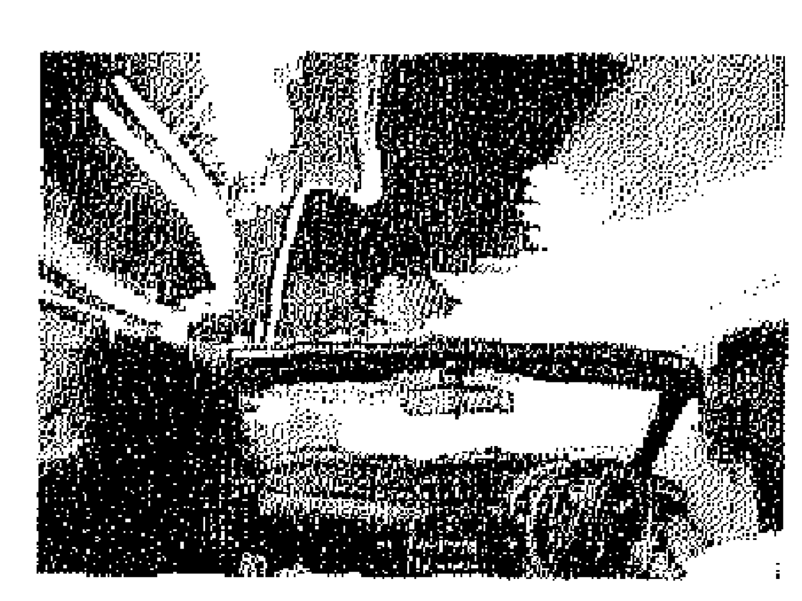
Billaudet Christian *(Austria)*



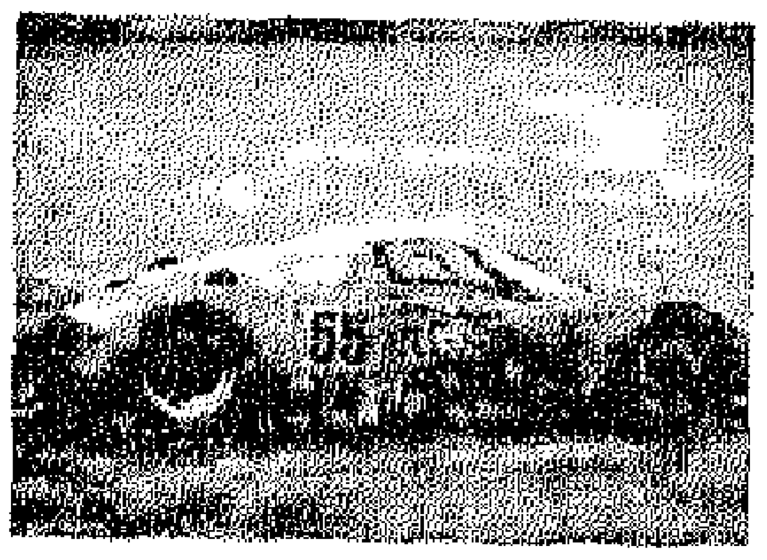
Bolusset *(France)*



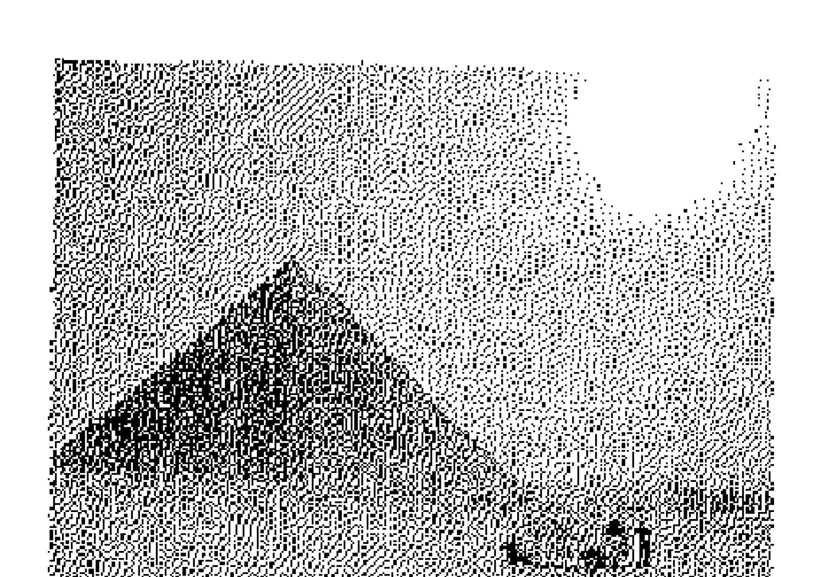
Gertrude Doleschal *(Austria)*



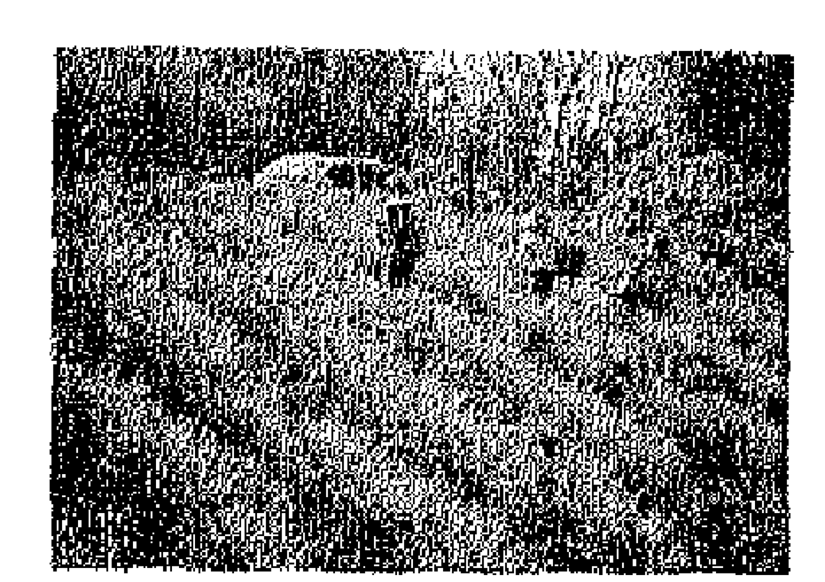
Akihito Hosoi *(Japan)*



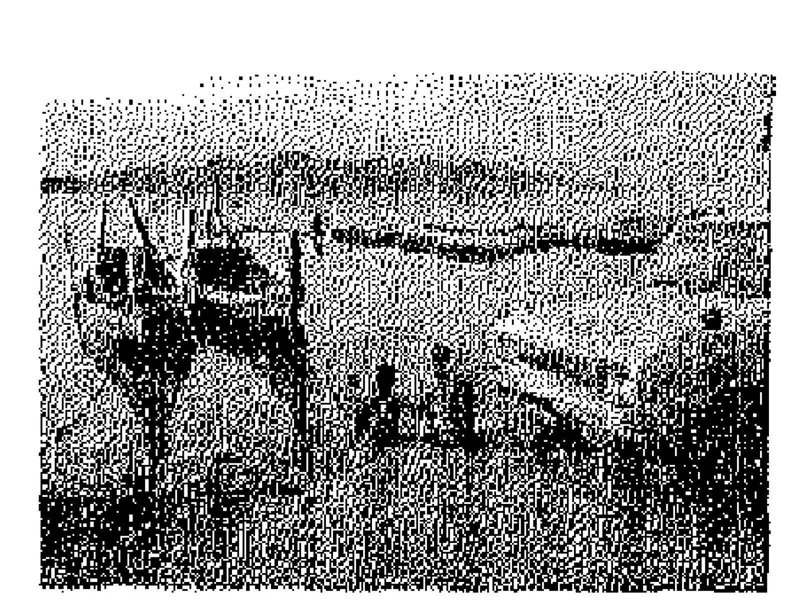
Letang Philippe *(France)*



Lai Pui Chun *(Hong Kong)*



Maung Maung Gyi *(Myanmar)*



Frankie Tun Tin *(Myanmar)*

الفائزون بالجائزة الثانية

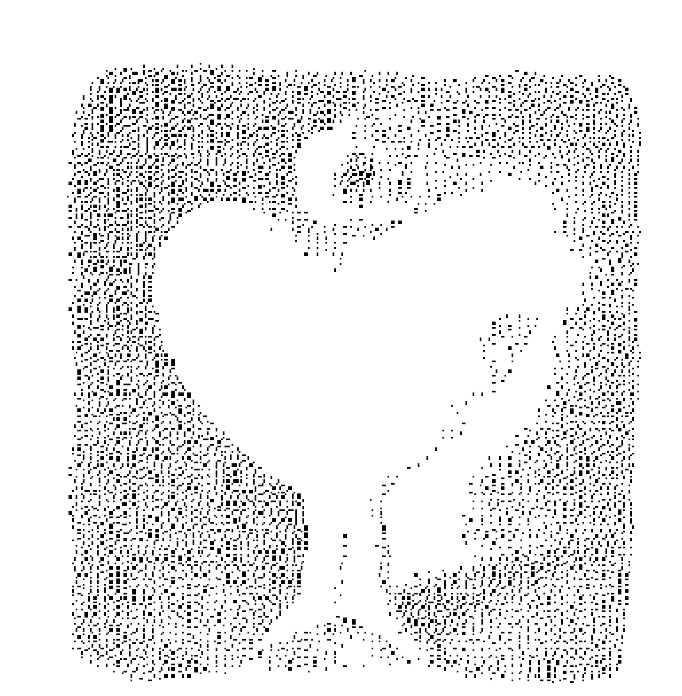
Maxwell Krogh *(Australia)*
Sue Pingel & Pat Belperio *(Australia)*
Defant Hans *(Austria)*
König Jürgen *(Austria)*
Weinert Klaus *(Austria)*
Wolfgang Victor *(Austria)*
Delande Paul *(Belgium)*

Rain Ackerman *(Canada)*
Yip Rafael *(Canada)*
Norberto Pavez J. *(Chile)*
Frankenhauser Walter *(Germany)*
Helmut Behrendt *(Germany)*
Ip Yin Pik *(Hong Kong)*
Kan Keung Pun *(Hong Kong)*

Kitty Yeung *(Hong Kong)*
Mok Chi Keung *(Hong Kong)*
Regis Cheng *(Hong Kong)*
Yogjoy *(India)*
Arie Dinarto *(Indonesia)*
Enda Matthews *(Ireland)*
Toyoji Hori *(Japan)*
Ken Kobayashi *(Japan)*

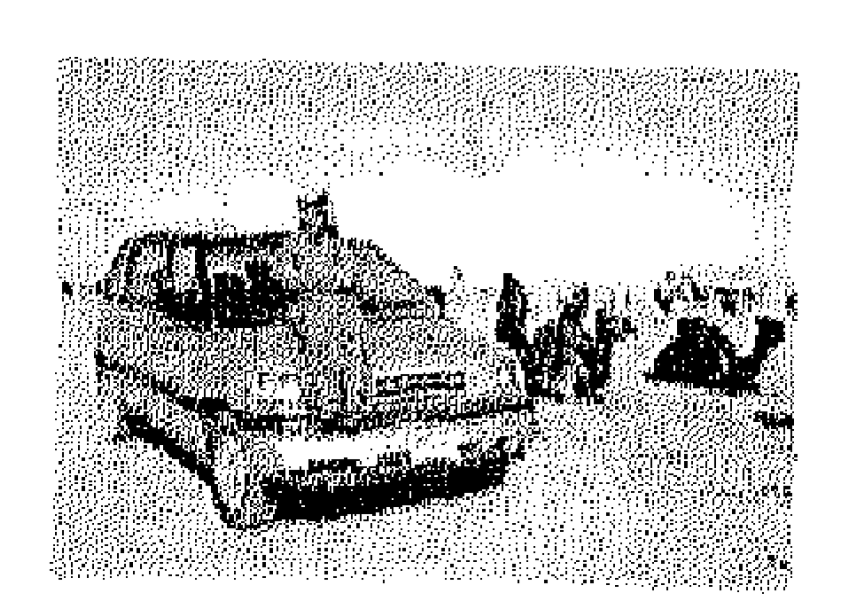
Akira Yasumoto *(Japan)*
Mg Mg Hla Tint *(Myanmar)*
Mg Mg Htay *(Myanmar)*
Moe Zaw Aung *(Myanmar)*
Zaw Win *(Myanmar)*
Grant Sheehan *(New Zealand)*
John King *(New Zealand)*
Rune Olafsen *(Norway)*

مازدا" للتصوير للعام ٩٣

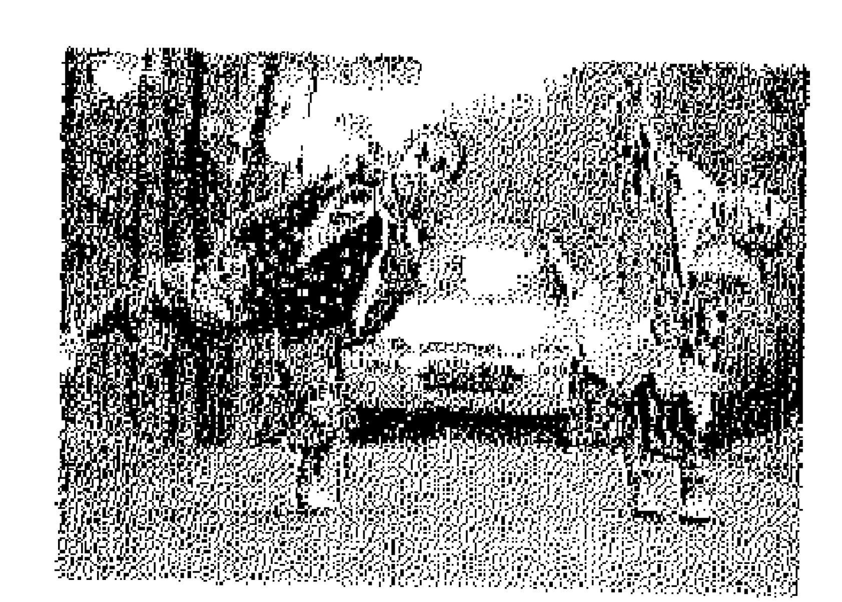




Mg Ba Oo *(Myanmar)*



Glenn G. Peralta *(Philippines)*



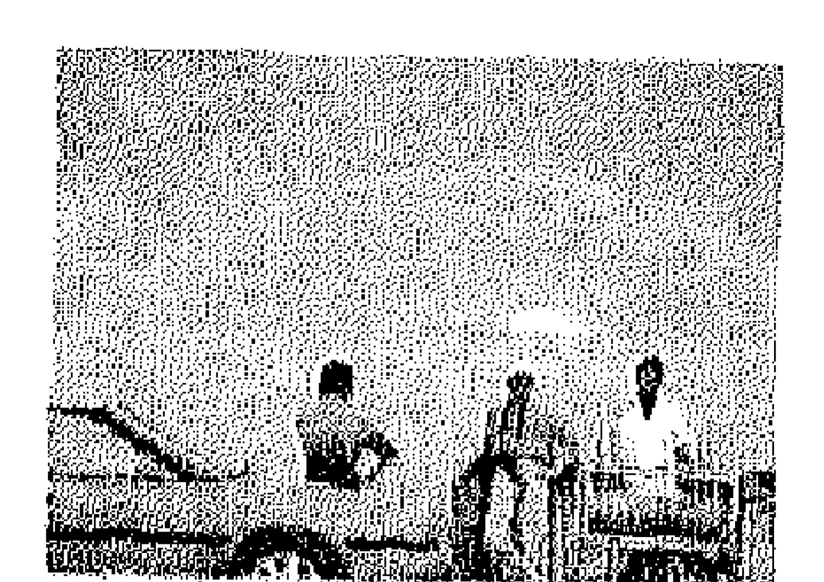
W.F.H. Kooke *(Netherlands)*



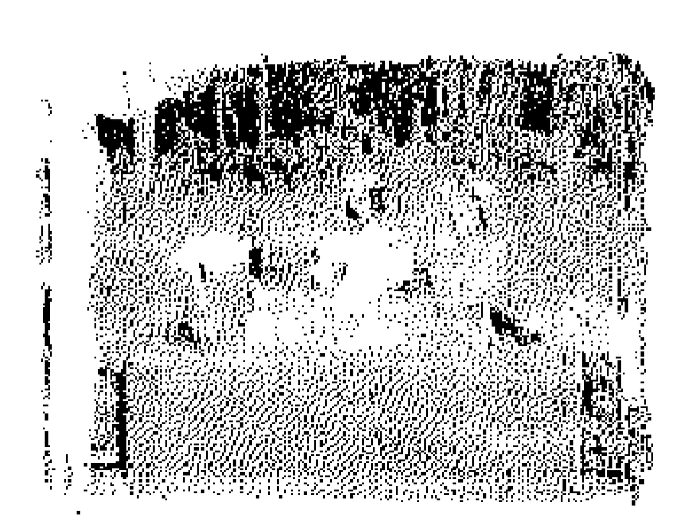
Malee Pitakwon *(Thailand)*



Choompol Khuirukkhit *(Thailand)*



Damrong Juntawonsup *(Thailand)*



Lia Lotz Rothstein *(USA)*

Rungarun Easterbrook *(Thailand)*
Wihan Kwandee *(Thailand)*
Wipaporn Pateetin *(Thailand)*
Andrew Watts *(USA)*
Omar El Dessouky *(USA)*
Sonny Robinson *(USA)*
Nahed Hamdi *(USA/Egypt)*

Jakub Chuta *(Poland)*
Américo Gomes *(Portugal)*
Chebull Clemen *(Slovenia)*
Gilbert M.A. Jenny *(Switzerland)*
Chusak Uthaipanumas *(Thailand)*
Jirawut Preanprem *(Thailand)*
Nipapun Natampai *(Thailand)*
Puangrat Ariyaphan *(Thailand)*



إربحوا ٧ هدايا قيّمة

من taurus

مسابقة كلمة السر

ي	م	و	ر	ل	ا	ن	ب	ا	ا	غ	و	ل	أ	ف
ة	م	ا	ل	ع	ب	غ	ا	ر	و	م	ا	ن	ي	إ
ب	و	د	ب	ت	ب	ر	ط	ر	ل	و	ن	ك	ل	ت
ر	س	ة	ل	ا	ب	ا	ا	ب	ي	و	ي	ت	و	ش
ش	و	ي	ا	ك	ي	م	و	ر	ل	ا	م	ي	ل	ع
د	ع	ن	ن	ر						ي	س	ك	ا	م
ي	ة	و	ب	ب						ي	ن	ا	و	إ
ا	ب	غ	ل	م						ك	ر	ا	ب	م
ب	ي	س	ج	ح						ل	ا	م	ه	ه
ا	ب	ل	ب	ل						ب	ك	ف	ي	ا
ظ	ف	ا	ح	م	ي	ل	ج	ل	ا	د	ب	ع	خ	ا
ة	س	ي	ر	ا	ب	و	ي	د	م	ج	غ	ي	ل	ب
ن	ض	ا	ي	ر	د	ل	و	ب	ن	ا	د	م	ر	ر
ي	ر	م	ت	ي	ب	ن	ت	و	خ	ب	ا	ا	م	ا
م	ي	س	ر	ا	ن	ي	ل	و	ب	ا	ل	م	د	غ

فاتن حمامه
عبد الحليم حافظ
رشدي اباظة
ملحم بركات
رومانيا
حليم الرومي
السعودية
ابن الرومي
ابولينارس
بكفيا
زيتون
بيت مري
بليغ حمدي
براغ
راغب علامة
موزاييك
اواني
غرام
مبارك
ملعب
مال
زن
موسوعة

كلمة السر: أمام عينيك

أرسلوا الحل الصحيح الى أي من مراكز البيع التالية:

شركة خريستو وقسطنطين كيومجي	برج حمود	محلات شربل ياخوس	جبيل	محلات عمّار إخوان	
شركة ڤاروج وڤارتكس آغا سركيسيان	برج حمود	محلات خليل درويش	البترون	شركة بسام التجارية	
شركة جينارت ش.م.م.	برج حمود	مؤسسة درجاني وعلماوي	زغرتا	محلات جورج الحاج	
محلات بيار نمر خلف	أنطلياس	محلات فوزي المعلوف	كفرحزير	محلات ربيع الدبس	
شركة حكيم إخوان	الذوق	محلات كابي فريحه	الأشرفية	محلات أنطوان نقولا	عي
شركة عبود التجارية	جونيه	محلات عبد طحان وأولاده	المزرعة	محلات الياس عواد	
محلات نجيب صافي	جونيه	محلات مزهر التجارية	المزرعة	محلات سامي القطب	
محلات حجار سعاده	جونيه	مؤسسة أحمد الشرقاوي	الروشة / عنجر	محلات كامل عطية	
محلات سركيس لطيف وأولاده	العقيبة	محلات عطاركو	المصيطبة		

يجري السحب كل آخر شهر وتنشر النتائج في مجلة المختار

الوكلاء الوحيدون: كبابه إخوان – البيع بالجملة – تلفون: ٣٩٠٤٩٦ – تلكس: LE CAFRES ٤٣ ٩٤٣



- يريد البشر ان يعرفوا مقدار اهتمامك قبل ان يهتموا بمقدار معرفتك.

جيمس هند في "وول ستريت جورنال"

- الخيّرون في كل مكان. اتمنى فقط لو كانت اصواتهم اعلى.

لويس لامور

- لا اؤمن بالتشاؤم، فاذا لم تجر الامور كما تشتهي، شقّ سبيلك الى الامام، فما الضير اذا اعتقدت انها ستمطر وامطرت؟

كلينت ايستوود

- للنجاح معادلة بسيطة: ابذل افضل ما في وسعك، ربما اعجب ذلك الناس.

سام اوينغ

- خيط رهيف يفصل بين صيد السمك والوقوف على الشاطىء كالأغبياء.

ستيفن رايت

- تنقضي حياتنا تماما كما تنقضي ايّامنا.

أني ديلارد

- كلما احسسنا ذواتنا افضل، انتفت الحاجة الى ان نلغي الآخرين من حولنا.

اوديتا هولمس

- حين تغدو الامور اسهل، نكتشف اننا اغفلنا الاصغاء الى شيء ما منذ البداية.

دونالد وستلايك

- علينا ان نقرر كيف نجعل ذواتنا قيّمة وليس كيف نقوّم ذواتنا.

ادغار فريدنبرغ

- الحقيقة سوف تظهر.

ارنولد غلاسكو



قالت لي أمي:
"تعلمي يا ابنتي أن
تبحري في بحر الهدوء وفي محيط العواصف"

عاشقة الريح

كل عام، عندما يتحول الهواء بارداً، أفكر في أمي. كانت أول من يشير الى علامات الخريف: نور الصباح الشاحب، والالحاح المفاجىء في نشيد الدوري، وسماء العشية اذ توشحها خطوط الدخان المتصاعد من مصطلى الجيران.

الطبيعة في الخريف حافلة بالعبر. فكانت أمي تختلق أقاصيص تُنطِق فيها الحيوان لتشرح أن التغيير الحاصل ليس مجرد نهاية، بل هو بداية أيضاً.

"يقول الثعلب الحكيم: يجب أن تتذكروا أن الأوراق التي تموت في الخريف تولد ثانية في الربيع."

توازن واختلال، تناغم وتنافر، خسارة وتجدد. تلك كانت الافكار الرئيسية التي تخللت أقاصيص أمي... وحياتها.

من ذكرياتي: عندما كنت في السابعة من عمري اصطحبتني أمي عشية عيد ميلادها الأربعين الى خارج المنزل للوقوف تحت قمر ساطع أضاء نوره كل زاوية من الحديقة. وقالت بعدما ناولتني منظاراً: "أترين تلك البقعة الضاربة الى

الحمرة؟ إنها بحر الهدوء. أترين الظل الأزرق الى جانبها؟ ذاك هو محيط العواصف." ثم قالت شيئا عن حاجة المرء الى تعلم الابحار في كليهما.

لم أرَ البحر ولا المحيط اللذين ذكرتهما أمي. لكني، اذ حدقت الى القمر مأخوذة عبر المنظار، رأيت وجه أمي سابحاً عبر النجوم الشاحبة المترامية في أرجاء السماء الداكنة.

فكرت في ذلك وأنا جالسة في حديقتي أمس أنعم بنسيم المساء المشذّى برائحة أشجار الجوز. ورحت أراقب القمر وهو ينبثق ويتوارى عابراً زخرف الاشجار المترامية في حدود الافق. فجأة، تبسّمتُ لما قاله الثعلب.

وألفيت نفسي غارقة في ذكرى الأيام السعيدة، والمضحكة أحياناً، التي عشتها مع أمي. ومنها يوم سمحت لي بقيادة سيارة العائلة الى متجر البقال عبر طرق جانبية. كنت آنئذ في الحادية عشرة من عمري، وانتهى بنا المطاف في حقل ذرة.

ضحكتُ عالياً لهذه الذكرى التي استحضرت لي ذكريات أخرى. وانفتحت الأبواب المغلقة على مصاريعها وتذكرت أمي وأقوالها وشعوري لمرآها والاستماع اليها وكأنها ماثلة أمامي.

لقد عشقتْ أمي الريح. ولطالما تلت على مسمعي هذه الابيات:

من منا رأى الريح؟
لا أنا ولا أنت.
ولكن متى حنت الأشجار رؤوسها،
تكون الريح مارة في حناياها.

أخبرتني أمي ذات يوم أنها فيما كانت ذاهبة الى المدرسة وهي بعد فتاة صغيرة، أطاح الهواء قبعتها وحملها الى منحدر عميق. واذ كانت تلك قبعتها الجديدة خشيتْ أن تلام لفقدانها، فانحدرت عبر الدغل واسترجعتها ومعها هر صغير مرميّ أصبح في ما بعد الحيوان المدلل الأحب الى قلبها. فأطلقتْ عليه اسم "زفير" لأنه، كما أخبرتني، كان لطيفاً كنسمة ناعمة.

عثرتُ على صورة قديمة لهما في ألبوم العائلة ظهرت فيها أمي، وكانت آنذاك في العاشرة من عمرها، حاملة الهر الرمادي الصغير وقد عبث النسيم بجدائل شعرها الطويل فأسدل بعضه على عينيها.

لكن عاشقة الريح كانت تبتسم، ربما للنسمة التي كانت تداعب وجهها.

أخبرتني أمي أنها في طفولتها أحبت اقتناء كلب، لكنها مُنعت من ذلك. فما كان منها إلا أن ابتدعت كلبا بوليسيا منقطاً من نسج خيالها أطلقت عليه اسم "مورلي." وكانت قبل أن تخلد الى النوم كل مساء تذهب الى باب المطبخ وتدعوه الى الدخول.

وكانت كلما وصلت في روايتها الى هذا الحد تبدأ تمثيل القصة. وأتخيلها اليوم طفلة في قميص نوم طويل تقف على عتبة الباب في ليلة مثلجة وضفائرها السوداء مسترسلة حتى خصرها وأنفاسها الساخنة تطلق في الهواء غيوما صغيرة، وتنادي: "مورلي، مورلي. تعال يا مورلي."

تبسّمتُ أخيراً للطفلة التي كانتها أمي، ووجدتني قادرة على التفكير فيها من دون أن تتملكني مشاعر الحزن والخسارة. وتلاحقت في مخيلتي صور أخرى. تناهت إلي فجأة أنغام مزامير القرب المتهادية من الميناء، فعبرت مخيلتي صورة خاطفة عن صباها في اسكوتلندا، فرأيتها واقفة تتمرن قبالة المرآة على رقصة النجود. واذ رحت أحرك الشاي بملعقتها، تذكرت يوم كانت تعطيني الآنية الفضية لأعد المائدة. وفكرتُ: نعم، يمكنني أن أعثر على مكان جديد لي في العالم من دون أمي.

وهكذا، جلست ذات مساء على أرض غرفتي ممسكة بحقيبة يدها التي احضرتها من المستشفى يوم وفاتها ولم أقوَ على فتحها قبلا. فوجدت قلم أحمر الشفاه والمحفظة وصور أحفادها و... ورقة مطوية خطّت فيها أسطراً للكاتب وندل بيري جاء فيها:

"عندما تخطو الى مكان جديد في الغابة الكبيرة ينتابك، الى الفضول والاثارة، بعض شعور بالرهبة. انه الخوف القديم من المجهول، والرابط الاول الذي يشدك الى البرية التي تلج."

وهو قول قد يشبه ما ينطق به الثعلب الحكيم الذي ما زال قادراً على أن يعلمني بعد كل هذه السنوات.

نزلت الى الطبقة السفلى وفتحت باب المطبخ. فلفحت وجهي نسمة لطيفة. فقلت في نفسي: "لقد حُرمتِ الريح ست سنوات." ثم وجدتني أردد:

من منا رأى الريح؟
لا أنا ولا أنت.
ولكن متى حنت الأشجار رؤوسها،
تكون الريح مارة في حناياها.

أليس ستاينبك ■

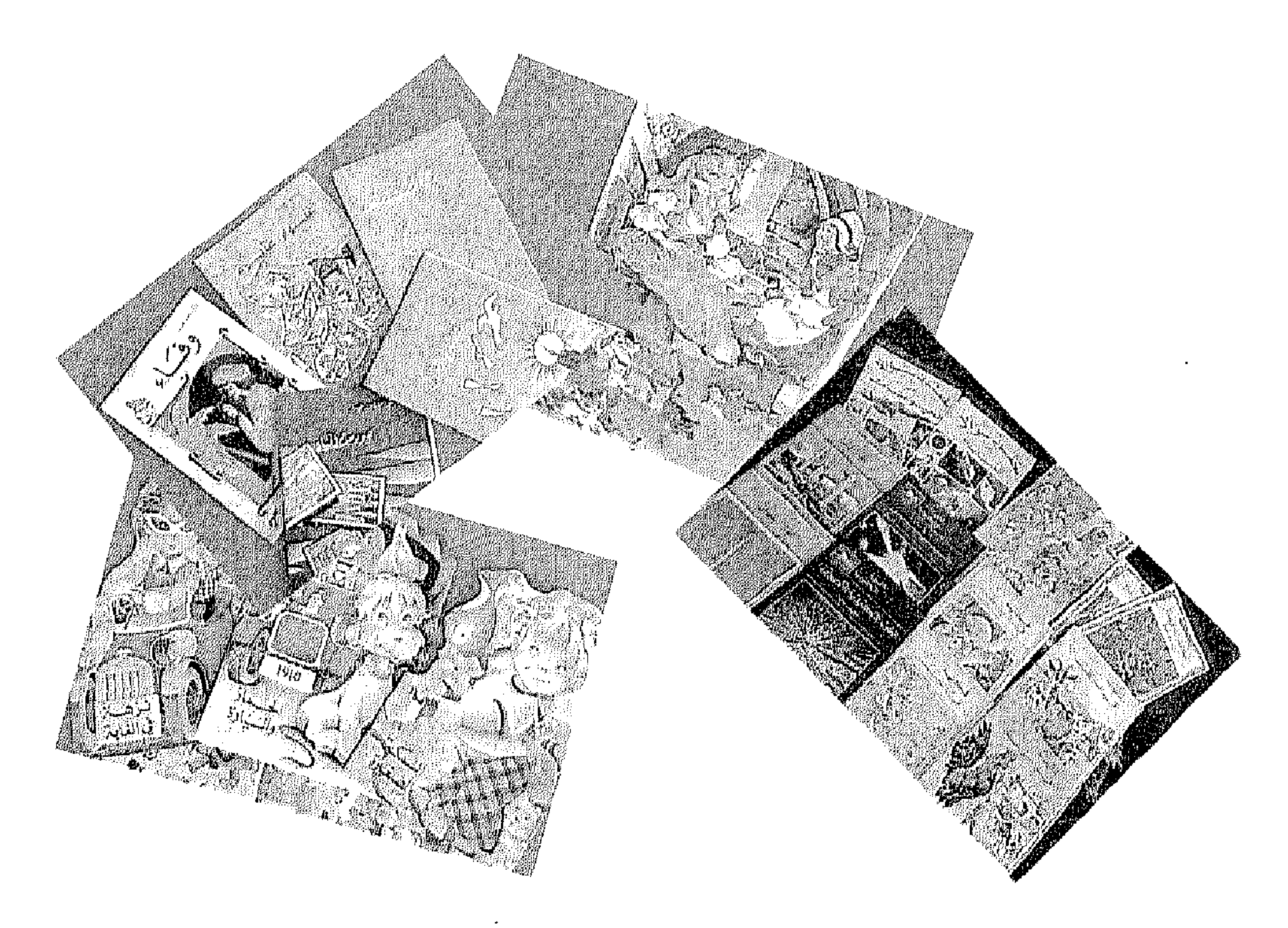
الكاتبة صحافية حازت جائزة "بوليتزر" الادبية عام ١٩٨٥.



صناديق عمتي

عمتي مهووسة بحفظ الامتعة والمقتنيات القديمة. ذات نهار كنت اساعدها في تنظيف غرفة مكدسة الى السقف بصناديق ملأى بصور ورسائل وقصاصات صحف وكتب ومكتنزات شخصية اخرى. فعثرت في أحد الصناديق على قصاصة صحيفة قديمة تتضمن مقالة بعنوان: "كيف تتخلص من أمتعتك الشخصية." ناولت عمتي القصاصة وعلى وجهي ابتسامة ذات معنى. فنظرتْ اليها وقالت: "هذه مقالة رائعة، يجب أن أحتفظ بها!"

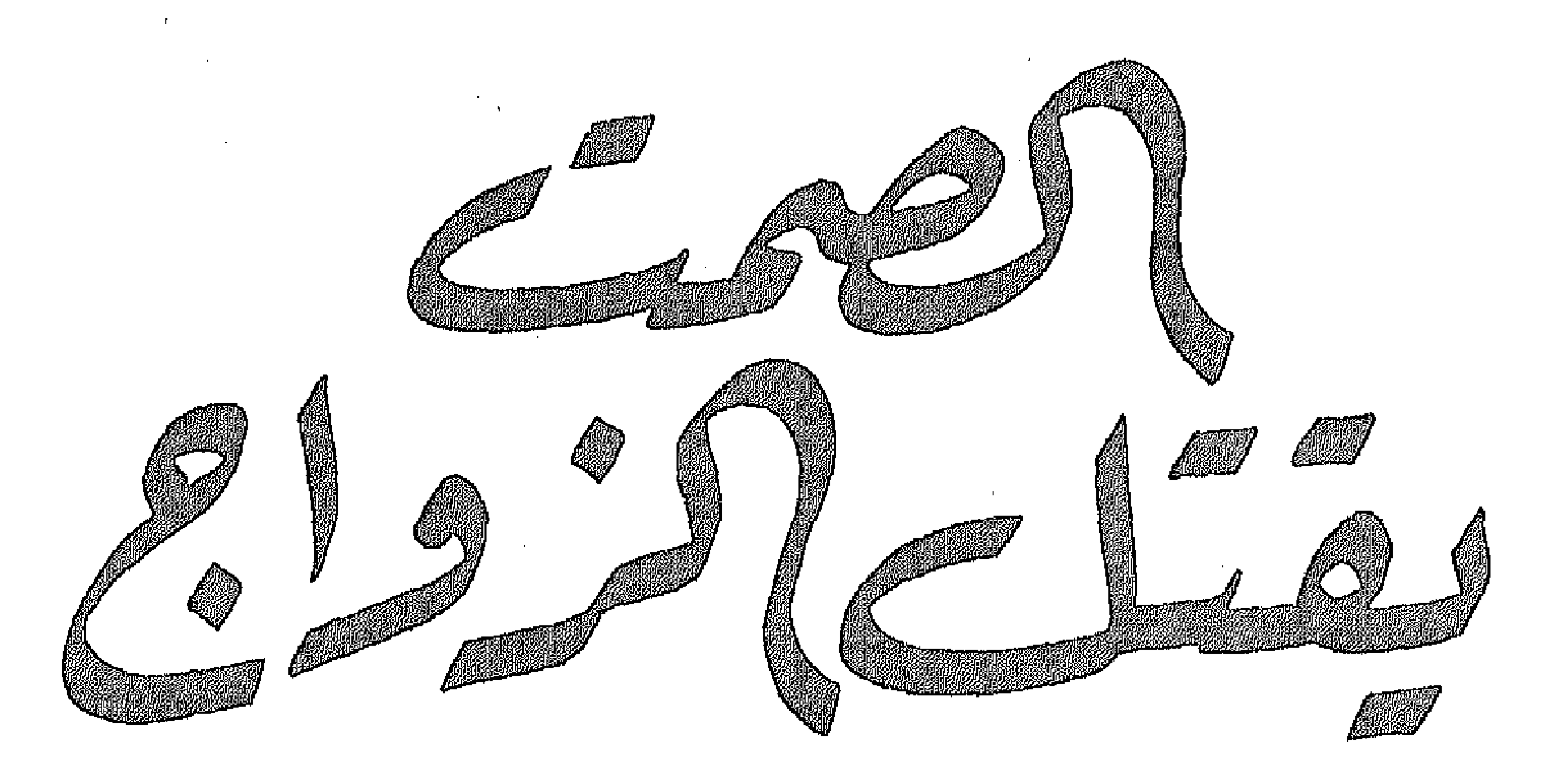
ثم القتها في احد الصناديق.



يسرّ **دار المفيد للطباعة والنشر** أن تقدّم الى جمهورها اللبناني والعربي أجمل وأفضل كتب الأطفال القصصية والعلمية، التي تثقّف وتوجّه أطفالنا نحو غدٍ أفضل. فهي تضع بين أيديهم أجود الكتب العلمية التي تعاونت على انتاجها هي وشركتا **''هيمّا''** و **''غامّا''** العالميتين. بالإضافة الى انتاجها المحلي لنخبة من المربّين الكفوئين والاختصاصيين في مجال قصص الأطفال، كذلك يسرّها أن تقدّم مجموعات كبيرة من الكتب القصصية والعلمية باللغتين الفرنسية والانكليزية لشركات أوروبية كبرى تمثّلها في لبنان والشرق العربي، ومجموعة ضخمة جدًا من دفاتر التلوين.

دار المفيد للطباعة والنشر
بناية العضم، الطابق الأول. جونية، لبنان.
ص.ب. ١١٦٨ - تلكس ٤٥١٦٨ مفيد.
فاكسيميلي ٨٣٠١٨٢

Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٢
جمادى الاولى ١٤١٣
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر



اليك هذه الطرق لكسر جليد الصمت في المنزل

هرعت الزوجة الى منزلها بعد العمل وفي جعبتها خبر مثير. فوجدت زوجها جالساً في الحديقة يقرأ صحيفة. تقول: "كنت حصلت لتوي على ترقية في وظيفتي، وكلي حماسة لابلاغه النبأ. لكنه، كالعادة، لم يكن راغباً في الكلام أو الاستماع. فابتسم وهنأني، ثم دخل المنزل قبل أن أكمل حديثي."

وعندما لحقتْ به لمتابعة الحديث لم يلقِ لها بالاً.

فتساءلتْ، ربما للمرة الالف: "لماذا يندر الحديث بيني وبين زوجي؟ ولماذا لم يكن راغبا في معرفة المزيد عن الترقية التي نلتها؟ انني أعرف أنه يحبني ويهتم لي، فهو يتباهى بي أمام أصدقائه. وكلما سألته إنْ كان هناك من خطب، يجيب دائما: كلا، كل شيء على ما يرام. لكن ذلك ليس صحيحاً."

والواقع أن صمته اخذ يؤثر سلباً في العلاقة بينهما. وتضيف الزوجة: "عندما يتجاهلني، ثم يأتي الى الفراش، لا أحس رغبة عاطفية نحوه، بل أشعر بالاساءة والغضب والارتباك."

وهي ليست الوحيدة في ذلك. اذ يعتقد

المحللون النفسانيون أن المعاملة الصامتة تؤثر سلباً في معظم الزيجات. وتقول المحللة النفسانية كارلا ويلز براندون: "إن ما أسمعه من الزوجات هو الآتي: "زوجي لا يكلمني ولا يستمع اليَّ. إنه يتحدث الى أصدقائه وزملائه ولكن ليس إليَّ."

وتقول ديبرا تانن أستاذة علوم اللغة ومؤلفة كتاب "أنت فقط لا تفهمني" الذي يتناول أساليب التحادث بين الرجال والنساء: "يستفيض الرجل في الحديث في بداية العلاقة ليكسب ود المرأة، ثم يتناقص حديثه تدريجاً. أما النساء فيزددن كلاماً عندما يشعرن بالارتياح مع الرجل."

إنَّ أحد الاسباب الرئيسية لمشكلة التواصل الكلامي بين الزوج والزوجة هي اختلاف مفاهيمهما لمغزى الحديث. ويظهر هذا جلياً في الشكاوى الثلاث الاكثر تردداً التي يسمعها المحللون النفسانيون من الزوجات:

"إنه يكظم مشاعره." تقول بعض النسوة إن أزواجهن يرفضون الكلام عندما يكونون متضايقين أو محبطين. وهذا الصمت يعذب زوجاتهم اللواتي يتساءلن إنْ كان ثمة خطب.

يقول العلماء النفسانيون إن ما يحصل هو أمر نموذجي، لأن الصبيان والبنات يُربُّون على التعبير عن مشاعرهم بطرق مختلفة. ويقول المحلل النفساني روبرت ليهي: "تُشجَّع البنات على إظهار مشاعرهن، فيما يُعلَّم الصبيان أن إشراك المشاعر شأن أنثوي وسخيف وغير منتج." وهكذا، ينزع الرجال الى الارتداد الى ذواتهم معتقدين بأن لديهم القدرة على معالجة مشاكلهم بأنفسهم.

"إنه يصمّ أذنيه." غالباً ما يطلق أسلوب التحادث النسائي المنفلت آلية صمم في الرجل. تقول تانن: "تنزع النساء الى الاهتمام بالتفاصيل الشخصية: مَنْ قال ذلك؟ وماذا يعني؟ وكيف بدوا؟ ويتوقعن أن يشارك أزواجهن في هذا النوع من الحديث. لكن غالبية الرجال يجهلون كيف يشاركون."

ويقول ليهي: "بالنسبة الى الرجل، ليست ثمة علاقة بين الاحاديث الحميمة والمشاعر والتفاصيل الشخصية. فالرجال يحبون البحث في القضايا الهادفة، مثل كلفة تعليم الاولاد وزيادات معدلات الضريبة وتحسين أدائهم في لعبة ما، ولا يرون جدوى في مناقشة أمور لا دور لهم فيها."

"انه يتكلم مع الجميع إلاي." تشكو بعض الزوجات من أن أزواجهن يدَّعون أنهم متعبون عندما يعودون من أعمالهم لدرجة أنهم لا يرغبون في الكلام. أما إذا اتصل بهم صديق أو زارهم على حين غرة، فانهم يجدون فجأة ما يتحدثون عنه.

تقول تانن: "المحادثة بالنسبة الى المرأة تعني الارتباط العاطفي والشوق

والاهتمام." أما بالنسبة الى الرجال، فالمحادثة فعل لأنهم يستخدمونها للتأثير في الآخرين ونقل المعلومات الواقعية. وهم يحسون في المنزل أنهم أحرار في الاسترخاء، ولا يريدون الدخول في مناقشات.

يستطيع الازواج والزوجات التغلب على مصاعب التواصل الكلامي على رغم التباين في وجهات النظر.

جربي هذه الاساليب لجعل زوجك يعبر لك عن أفكاره ومشاعره:

١ **اختاري اللحظة المناسبة**. من المهم أن تعرفي متى تبدأين المحادثة. قد تكونين مفعمة بالحماسة لبدء حديث ما بعد العمل. لكن زوجك قد يكون في حاجة الى الاسترخاء في تلك اللحظة والثرثرة في وقت لاحق.

٢ **دعيه يبادر**. يقول ليهي: "الصمت يغضب المرأة أحياناً ويحبطها، فتشرع في تكرار شكواها، فيدعوها الرجل نقاقة."

لتفادي هذا الوضع، لا تملأي الصمت عندما لا يستجيب زوجك. ويقترح روبرت برامسون وهو عالم نفساني ومؤلف كتاب "التعامل مع الاشخاص الصعبين": "انظري اليه بهدوء وعدّي بصمت لكي لا يتنامى قلقك. فاذا لم يستجب، ساعديه على بدء الحديث بقولك مثلاً: هل يمكنك أن تخبرني لماذا تجد صعوبة في قول ما تفكر فيه؟ ولا تعلّقي على صمته إن استمر، بل أخبريه أنك ترغبين في متابعة بحث الموضوع غداً. ودعيه يدرك أنك تتوقعين جواباً."

٣ . **اطلبي تفاصيل**. يقول برامسون: "لتكن أسئلتك قابلة للتوسّع. لا تقولي: كيف كان نهارك؟ فهو يستطيع الاجابة بكلمة واحدة مثل جيد أو سيىء. جربي أسئلة مثل: ما البند الذي يرغب المدير في تغييره في الصفقة؟ وكلما كانت الاسئلة أكثر تحديداً ازداد احتمال حصولك على اجابات مفصلة."

٤ . **انتبهي لحركاتك**. من السهل على زوجك أن يبقى صامتاً اذا كنت تقلبين صفحات كتاب وأنت تتكلمين. أبقي ذراعيك حرّتين وتعابير وجهك هادئة وجسدك مسترخياً، وتحدثي بصوت لطيف.

٥ . **شاركيه في الاهتمامات**. يقول ليهي: "عندما يركز الزوجان كل اهتمامهما على الاطفال أو على العمل، يكتشفان غالباً أنهما لم يعد لديهما ما يتحدثان عنه."

سيكون لديكما الكثير مما تتحدثان عنه اذا اشتركتما في نشاطات جديدة متنوعة، مثل التنزه على الاقدام والسفر والبستنة والعمل التطوعي.

٦ . **أصغي بانتباه**. أعيري زوجك اهتمامك عندما يتكلم، ولا تفكري في ردك

ولا تدعي ذهنك يشرد. وينصحك ليهي: "تدربي على الاصغاء الفعلي. أعيدي صوغ عباراته عندما يتكلم، ولا تعارضيه أو تقدمي اليه معلومات." فقد يساعد الاصغاء الفعلي في حل عقدة لسانه.

٧. **شاجري، ولكن بانصاف.** تقول ويلز براندون: "يجهل معظم الازواج أصول المشاجرات الصحية. اذ تقوم المرأة غالباً بمعظم الحديث والشكوى فيما يبتعد الرجل عن الموضوع. فلا يتحقق شيء، ويعود الاثنان الى الشجار حول الموضوع ذاته بعد شهر أو نحوه."

يحاول كثير من الرجال تفادي المشاجرات كلياً. تعلّمي النقاش الايجابي لكي تخففي من مخاوف زوجك. يقول ليهي: "تحاشي العبارات السلبية ونبش أخطاء الماضي والجمل التي تبدأ بعبارات مثل: طوال حياتك لم... أو: أنت دائماً... وتحدثي عما تشعرين به مشيرة الى دورك في الموضوع. ولا تصبي عليه كامل اللوم وإن كنتِ مقتنعة بأنه المخطىء."

لنقل إن زوجك غضب لأنكما ذهبتما الى حفلة لم يكن راغباً في حضورها. تقبلي مشاعره وقولي له: "أنا أفهم سبب انزعاجك." ثم اشرحي له وجهة نظرك وحاولي الوصول الى حل وسط، مثل: "كانت الحفلة مهمة لي لأنها منحتني فرصة للتعرف الى أشخاص نافذين في عملي. لكننا في المرة المقبلة سنغادر باكراً."

إنَّ مشاجرة كهذه تحتاج الى مقدار هائل من ضبط النفس، لكنها فاعلة.

٨. **اطلبي المساعدة.** إنْ جربت كل هذه الوسائل ولم تنجح، فكري في استشارة اختصاصيين بالمشاكل الزوجية. فقد يساعد العلاج في ايجاد حلول لمعضلات ترفع جدار الصمت.

وليس من مشكلة زوجية الا ولها حل.

راين فوليمر ■

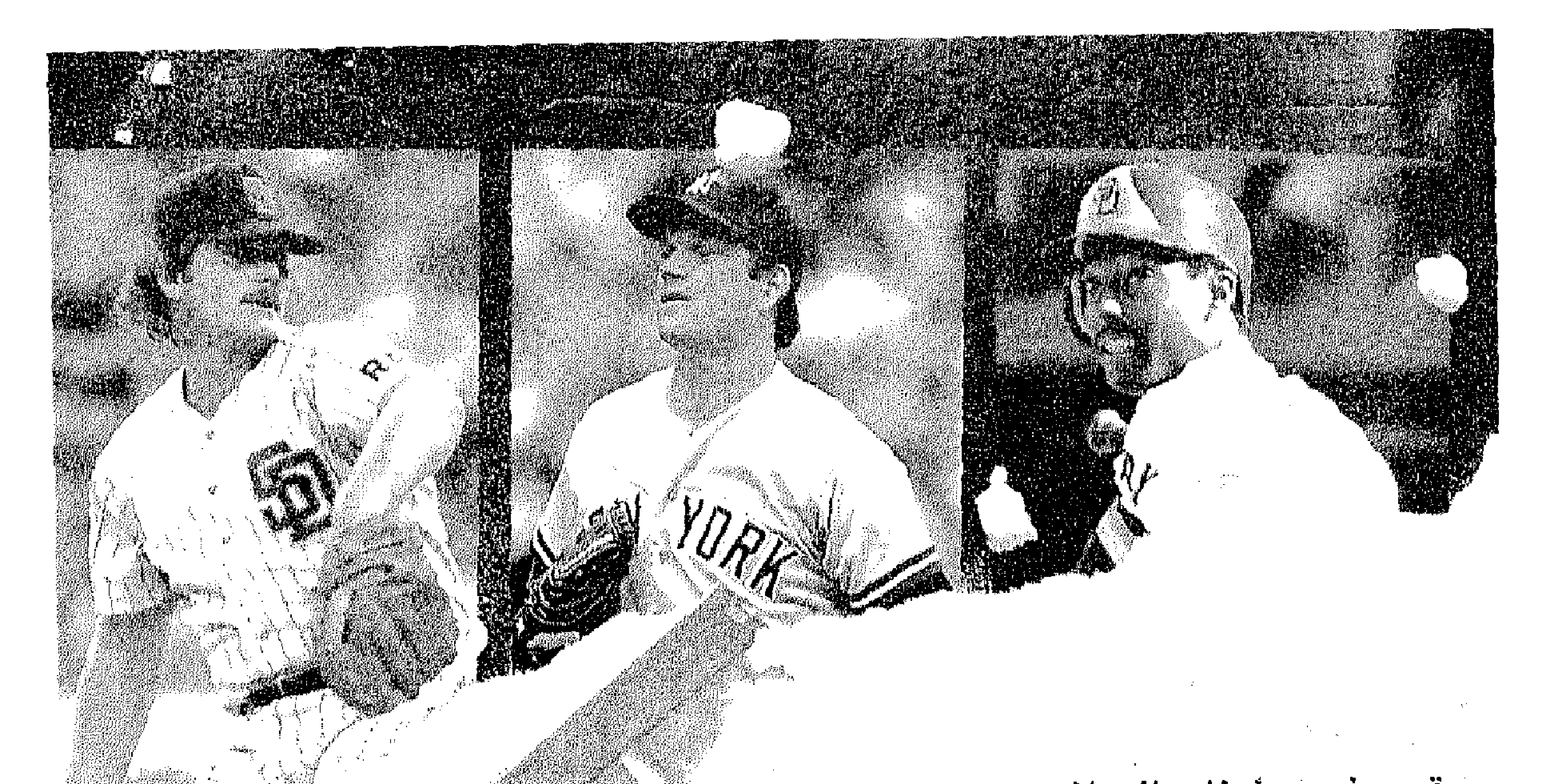
تعليمات...

تلقى موظفون في قوات الامم المتحدة المذكرة الآتية: يلقي الضابط المختص التعليمات الضرورية في الصالة الرئيسية بعد الظهر، قبل يومين من موعد السفر. ويُطلب الى الجميع الحضور ربع ساعة قبل الموعد المحدد الذي سيبلغ اليهم عند وصولهم!

ت.و.

قدّم الفتى البالغ سبعة اعوام صديقه الجديد الى اهله قائلاً: "اقدّم اليكم هاني، ابطا التلاميذ في الصف، وترتيبي لا ياتي بعده بكثير."

ج. موري - جنوب افريقيا



قد يخسر أعظم الرياضيين أمام الكوكايين. ويخامر كثيرين منهم شعور بأنهم لا يقهرون، فيحاولون السيطرة على المخدر، وينقطعون عنه سنوات، لكنهم يعودون الى تعاطيه بعد حين. ومهما حاولوا مقاومته في سبيل خلاص عائلاتهم أو تنفيذ عقودهم الرياضية، فقد يتخاذلون ويلجأون الى المسحوق الغاوي.

هنا قصص تروي تجارب أربعة من لاعبي البيسبول (كرة القاعدة) البارزين في الولايات المتحدة.

رياضيُون أدمَنوا ... وخسِرُوا

• ستيف هوي •

توافرت لدى ستيف هوي فرص نجاح لا حصر لها. ففي العام ١٩٧٩، وكان مع فريق "دودجرز"، بهر الهواة برمياته التي بلغ معدل سرعتها ١٤٥ كيلومتراً في الساعة. وفي العام ١٩٨٠ اختير "لاعب السنة" في البلاد. وفي العام التالي، في مباريات بطولة العالم، ربح شوطاً وأنقذ آخر وفاز "دودجرز" على "نيويورك يانكيز" بأربعة أشواط في مقابل شوطين.

ولكن في نهاية العام ١٩٨١ أصبح هوي مدمناً. ففي المدرسة الثانوية، كان يدخن الماريوانا (حشيشة الكيف). وفي جامعة ميشيغن اكتشف الكوكايين، وظل لسنوات يتعاطاه بتقطع، لكن المخدر ما لبث أن استولى عليه.

 PHOTOS, LEFT TO RIGHT: (LAMARR HOYT) © AP / WIDE WORLD PHOTOS; (STEVE HOWE) © JONATHAN DANIEL / ALLSPORT; (ALAN WIGGINS) © JACQUELINE DUVOISIN / SPORTS ILLUSTRATED; FOREGROUND: ERNEST COPPOLINO

أخذ هوي يتناول الكوكايين بانتظام ويختلق أعذاراً واهية، مما حمل الدودجرز على إنذاره بالطرد. فدخل في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ مركزاً للمعالجة من الادمان، وعاد اليه مرتين في العام ١٩٨٣. أخيراً، في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣، أعيا أمره مفوض البيسبول فأقصاه عن اللعب سنة واحدة.

ظلت سيندي هوي أمينة على حب زوجها الذي كان يخرج احياناً لشراء علبة حليب فيغيب أياماً. حتى إنه لم يتورع عن قضاء سهرة صاخبة في تعاطي الكوكايين ليلة ولادة ابنتهما.

وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ طرد فريق الدودجرز هوي الذي ما لبث أن عقد اتفاقاً في الشهر التالي مع فريق "مينيسوتا توينز" الذي طرده هو أيضاً بعد مدة وجيزة.

بعد سنتين، في يوليو (تموز) ١٩٨٧، كان فريق "تكساس رنجرز" في حاجة ماسة الى رام، فعقد مديره طوم غريف اتفاقاً مع هوي. فأجاد هذا الاداء حتى نهاية الموسم، ثم عاد الى مخيم التدرّب في منتصف فصل الشتاء. لكنه اختفى ذات يوم ثلثاء من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨، وراح يتناول الأمفيتامين بدلا من الكوكايين.

فتش عنه فريق الرنجرز، وبلغه رسالة بواسطة مسجلة الهاتف تدعوه الى العودة. ويقول غريف متذكراً عودة هوي: "بدا كأنه لم يعرف النوم منذ أيام. وكان مستثاراً وكذب في كل ما قاله."

اتصلت زوجته بمدير الفريق ملتمسة أن يمنحه فرصة أخيرة، فاعتذر غريف قائلا: "لا بد لنا من فصله."

عندئذ هبطت آمال الزوجين الى أدنى الدركات. فبعدما كانا يترقبان كسب ملايين الدولارات، انحصر همهما في الصمود وتأمين لقمة العيش. ولشدة حاجتهما الى المال، عمل ستيف في بناء شرفات خلفية لمنازل الجيران، فيما ظل يكافح للانقطاع عن الادمان.

نجح هوي، وإن ببطء، في تنقية جسمه من المخدر. وفي ربيع ١٩٩٠ عاد الى اللعب مع فريق من الدرجة الاولى في ساليناس في كاليفورنيا.

وعام ١٩٩١ عاد لاعبا متألقا. وعقد اتفاقاً مع فريق اليانكيز وإن بشروط قاسية. فعانق سيندي واعداً إياها ببداية حياة زوجية جديدة.

لعب هوي ببراعة لافتة، وكان أفضل لاعبي فريقه. وفي نهاية الموسم وقع اتفاقاً بقيمة ٦٠٠ ألف دولار تضمن حوافز مشجعة قد ترفع دخله الى ٢،٣ مليون دولار.

وذات يوم من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ دخل هوي بشاحنته موقفاً للسيارات في كالسبل في مونتانا، حيث اعتُقل بتهمة دفع مئة دولار الى أحد المخبرين لشراء غرام من الكوكايين. وبات ليلته في السجن.

وفي بداية الموسم الكروي الجديد واجه هوي احتمال إقصائه موقتاً أو حتى حرمانه من اللعب مدى الحياة.

في تلك السنة الرائعة، عام ١٩٩١، تكلم هوي كثيراً الى مراسلي الصحف عن سلطان إدمان الكوكايين. قال: "إن المسكرات والمخدرات صبورة طويلة الأناة. فهي تجثم هناك وتنتظر."

● لامار هويت ●

على الحدود المكسيكية الامريكية، بين تيخوانا في المكسيك وسان إيسيدرو في كاليفورنيا، لاحظ ضباط الجمارك ذلك الرجل الضخم الملتحي الذي كان يقترب من نقطة التفتيش. فطلبوا منه أن ينتحي جانباً، وبعد دقائق اعتقلوه، إذ تبين لهم أن الانتفاخ في سرواله يخفي نحو ٥٠٠ حبة غير مرخص بها من الفاليوم ومسكنات الألم.

لم يكن الأمريكي الملتحي إلا لامار هويت، نجم فريق "سان دييغو بادريس." وهو اعتقل في ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) للمرة الثالثة في العام ١٩٨٦.

يُساء استعمال الفاليوم أحيانا، إذ يُرفق بإدمان الكوكايين. إلا أن هويت نفى أن تكون تلك غايته من الحبوب، وألقى اللوم على "الأرق والألم الذي يعانيه في كتفه." لكن ادعاءاته لم تُجدِ، اذ دين بتهمة حيازة مواد تخضع لترخيص قانوني. وفي ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ حكم عليه بدفع غرامة مقدارها عشرة آلاف دولار وبالبقاء خمس سنوات تحت المراقبة وبالسجن ٣٨ يوماً. ثم حرمه مفوض البيسبول بيتر أوبروت من اللعب طوال موسم ١٩٨٧.

قبل بضع سنوات، كان لامار هويت مرشحاً ليكون نجماً متفوقاً. فهو لعب عام ١٩٨٢ مع فريق "شيكاغو وايت سوكس." وبفضل رمياته اليمينية القوية أحرز ١٩ انتصاراً. وفي السنة التالية نال ميدالية أفضل لاعب ورفع فريق وايت سوكس الى مرتبة التأهل للاشتراك في مباريات البطولة.

والواقع أن هويت كان غير مهيأ لتفعيل نجاحه، اذ أخفق في تنمية مزيتين حاسمتين في حياة كل رياضي هما الانضباط واحترام متطلبات الجسد. فحين كان طالبا في المدرسة الثانوية بدأ يدخن الماريوانا. وكان آنذاك نجماً في ثلاث رياضات، لكنه اختار البيسبول إذ، كما أوضح، "لم يكن عليّ بذل جهد كبير لأحسن الاداء."

بعد تخرجه عام ١٩٧٣ التحق بفريق نيويورك يانكيز للناشئين. وبعد أربع سنوات "بيع" الى فريق وايت سوكس. وعام ١٩٨٠، حين بلغ السن الخامسة والعشرين، بدأ اللعب مع المحترفين.

عام ١٩٨٥ بيع هويت الى فريق البادريس. وقال رئيس هذا الفريق آنذاك بالارد سميث: "لقد أبدع هويت في اللعب في النصف الأول من السنة، مما حملنا على الاعتقاد أنه سيفوز بميدالية أفضل لاعب للمرة الثانية."

رشح هويت لدخول "فريق النجوم" الوطني، واختير بصفته اللاعب الأغلى ثمناً والأبرز في منتصف الموسم.

وفي احدى المباريات شعر هويت بألم

في كتفه، وكان يجهد نفسه فتتوتر أعصابه لدى تسديده الرميات. وفي أواخر فصل الصيف بدأ يخطىء التسديد. وفي الشتاء ساءت حاله وتعاقبت اعتقالاته.

وطُرد من فريق البادريس. ولكن في أول يوليو (تموز) ١٩٨٧ تذكر جيري رينسدورف صاحب فريق وايت سوكس وما كان يعنيه لامار هويت لفريقه. فعقد معه اتفاقاً للعام ١٩٨٨. وكانت شروطه قاسية إذ فرضت على هُويت الخضوع لفحص دم منتظم وإنقاص وزنه ومباشرة التدرب مع الفريق في ديتونا بيتش في فلوريدا.

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ أظهرت ثلاثة فحوص مخبرية وجود كوكايين في جسمه. واعتبر ذلك انتهاكاً منه للحكم الذي صدر بإدانته في محاولة إدخال المخدر عبر الحدود وإطلاقه مع ابقائه قيد المراقبة. وبعد شهرين اعتقل في كارولينا الجنوبية حيث أقر بأن في حوزته كوكايين وماريوانا. فحكم عليه في يناير (كانون الثاني) بالسجن سنة واحدة لمخالفته شروط المراقبة.

وقضي الأمر، إذ أظهر الفحص الطبي تمزقاً في كتف هويت اليمنى مع فقدان ٢٥ في المئة من عظم المفصل. وتلك كانت نتيجة محتملة لسوء التدرب.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ نقل هويت من الاصلاحية الى منزل للتأهيل في كارولينا الجنوبية. وأُعتق في ديسمبر (كانون الاول) من تلك السنة.

يقول الاصدقاء إن هويت، الرياضي الذي لمع في الماضي، هو الآن عاطل عن العمل ويشكو من البدانة.

وتثير قصته غضب بالارد سميث الذي يقول: "يتدرب عشرات الالوف من الشباب سنوات في سبيل التأهل ليكونوا لاعبين في فرق الدرجة الاولى. والذين يحققون أمنيتهم متميزون. لذا يغضبني أن أراهم يهدرون ذلك التميُّز."

● ألن ويغنز ●

على ملعب "غرين دياموند" في ضاحية باسادينا في لوس انجلس، حيث اعتاد اللاعبون الصغار أن يتمرّنوا، كان ألن ويغنز أسرع الجميع في العدو وهو حافي القدمين. وفي المساء قبل كل مباراة كان يغتسل ويكوي بذلته استعداداً لليوم التالي. قالت شقيقته جاكلين ماكري: "كان يعرف تماماً أنه سيلعب يوماً في ملعب الدودجرز."

تخرج ويغنز في المدرسة الثانوية عام ١٩٧٦ وأمضى سنة في كلية باسادينا. وكان أول المرشحين للاحتراف. فاختاره فريق الدودجرز عام ١٩٧٩ وأرسله للتدرب في لودي في كاليفورنيا.

وفي العام ١٩٨٠ شاهده جاك ماكيون المدير العام لفريق البادريس فيما كان يلعب.

ويتذكر ماكيون: "كانت سرعته وتسديداته رائعة مدهشة. فأُخذت به وقلت في نفسي: إن لهذا الفتى موهبة فائقة!"

سجّل ويغنز في ذلك الموسم ١٢٠ اصابة، وهو ثاني أعلى رقم في تاريخ البيسبول آنذاك. وفي السنة التالية انتقل الى فريق البادريس فأحرز فوزاً عظيماً.

لكن ويغنز حين كان في المدرسة الثانوية مارس لعبة خطرة، إذ جرب المخدرات وهو لمّا يزل في سن المراهقة. وها هو الآن عاجز عن التوقف.

في ٢١ يوليو (تموز) ١٩٨٢ أوقفه أحد رجال الشرطة في سان دييغو لمخالفته قانون السير، فذعر ويغنز ورمى ورقة خارج السيارة. فالتقطها الشرطي واكتشف أنها تحوي مادة الكوكايين.

أوقف ويغنز عن اللعب وأمضى ٢٦ يوماً في أحد مراكز التأهيل. وقدّر فريق البادريس أنه شفي إذ بدا في حال أفضل. ففي العام ١٩٨٣ سجل ٦٦ هدفاً وكان ذلك رقماً قياسياً حطمه في السنة التالية.

عام ١٩٨٣ اعتُبر ويغنز اللاعب الأغلى ثمناً لدى البادريس. وعام ١٩٨٤ أطلق عليه مدير الفريق جاك ماكيون لقب "الحفّاز" لدى فوز البادريس ببطولة الاتحاد الوطني للمرة الاولى والوحيدة. وعام ١٩٨٥ وقع عقداً يكسب بموجبه اكثر من ٢،٥ مليون دولار.

وما إن حلّ شهر ابريل (نيسان) حتى توارى ويغنز وتخلّف عن الاشتراك في أي مباراة. فحنق المسؤولون في فريق البادريس وأدخلوه دارا للمعالجة ثم قايضوا به فريق "بلتيمور أوريولز."

واجه ويغنز ضغوطا قاسية في بلتيمور، إذ كانت زوجته انجي حاملا، فعجزت وابنتهما عن الانضمام اليه فوراً. ولشدة شوقه اليهما نشبت مشاحنات بينه وبين زملائه. وقد لعب في الفصل الاول على نحو مرض مع فريق الاوريولز، الاّ أن مستوى لعبه أخذ يتقهقر في منتصف العام ١٩٨٦، وفقد شعبيته لدى هواة اللعبة.

وذات مساء كئيب ارتكب ويغنز ثلاثة أخطاء في مباراة ضد التيغرز، فاهتزت مدرجات الملعب بصيحات الاستهجان والسخرية.

بعد شهر واحد أُنزلت مرتبته وأحيل الى فريق روشستر للمتدربين. وفي نهاية الموسم راح فريق الأوريولز يبحث عن بديل من ويغنز الذي بقي له مليون ونصف مليون دولار بموجب عقد الاتفاق.

وفي نهاية أغسطس (آب) ١٩٨٧، بعد موسم حافل بالمنازعات مع الزملاء، كشف الفحص الطبي وجود مخدر في جسم ويغنز. فأعتقه فريق بلتيمور في ٢٩ سبتمبر (أيلول)، وبذلك انتهت حياته كلاعب بيسبول.

أوائل العام ١٩٩٠ ظهرت على ويغنز أعراض طفح جلدي أثارت مخاوف الاطباء. ثم تأكد تشخيصهم المخيف: ألن ويغنز مصاب بمرض الايدز.* يقول جيم ماكغي العالم النفساني الذي كان يعالج ويغنز: "بعد ذلك الحدث المريع استسلم ويغنز لقدره."

(*) Acquired Immunodeficiency syndrome (Aids).
وهو داء نقص المناعة المكتسب.

أخيراً نال منه داء السلّ في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) وأضعف بنيته. فأدخل مركز "سيدرز سيناي" الطبي في لوس انجلس.

في عيد الميلاد اصطحبت زوجته وشقيقه ولديه الى الغرفة حيث كان راقداً لوداعه. وبعد أسبوعين كان وزنه هبط الى ٣٤ كيلوغراماً. وفارق الحياة في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ وله من العمر ٣٢ عاماً.

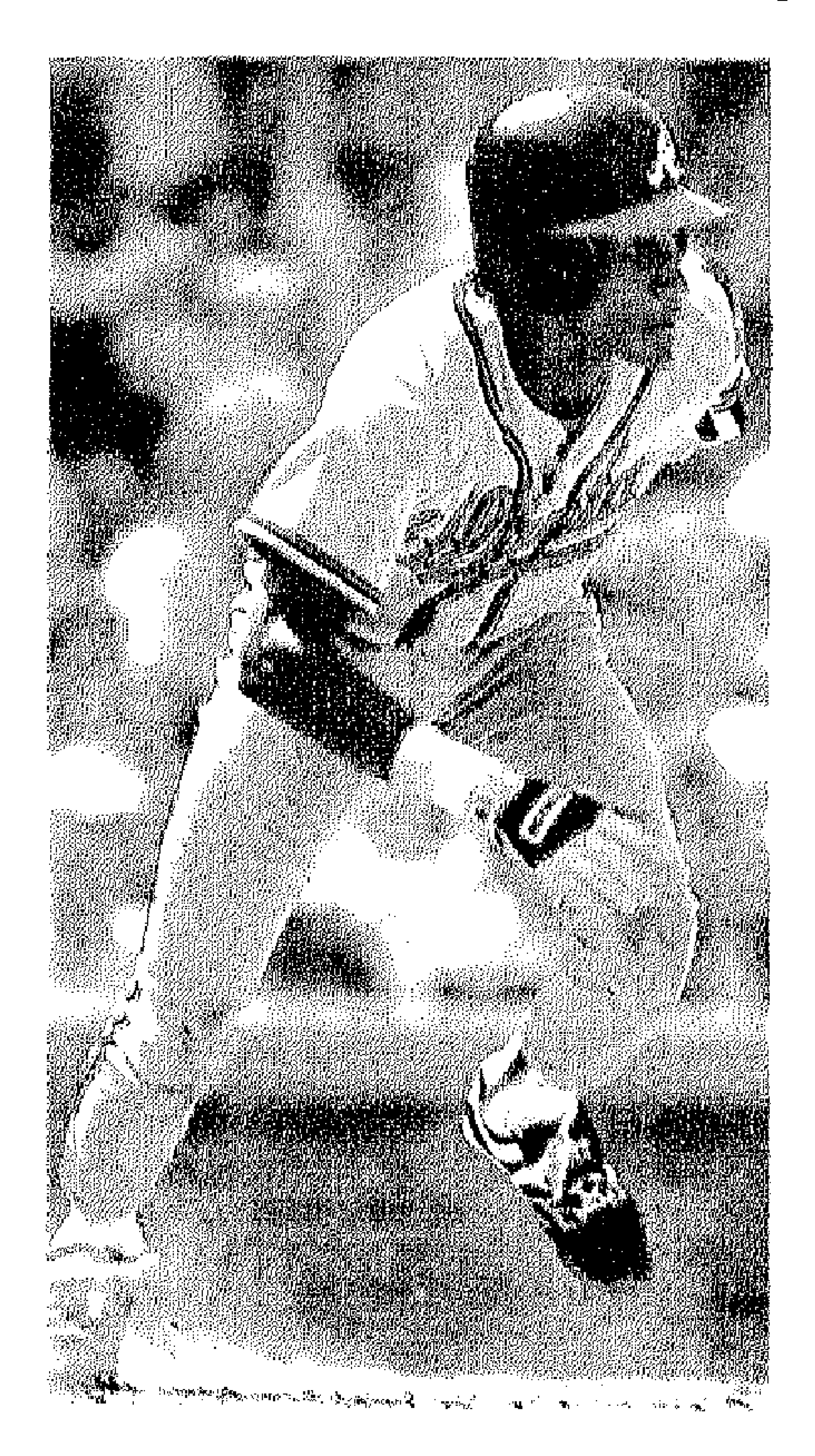
● أوتيس نيكسون ●

لم يتسنَّ للصغير أوتيس نيكسون أن يلمح الكوكايين في مسقط رأسه إفرغرين في ولاية كارولينا الجنوبية. وكان أوتيس في انشغال دائم، اذ كان وأشقاءه الأربعة ينهضون في الخامسة صباحاً لمساعدة والدهم في مزرعة التبغ الصغيرة التي يملكونها، ويعودون اليها بعد انتهاء الدراسة.

وكان طموح أوتيس العمل للانعتاق من المزرعة. ووجد في الرياضة فرصة لتحقيق أمنيته.

نال نيكسون بعد تخرجه في المدرسة الثانوية منحة دراسية رياضية لدخول كلية لويسبرغ في كارولينا الشمالية، وهي مشهورة بفريقها للبيسبول. طُلب منه مرتين أن يوقّع عقداً للعب: مرة مع فريق "سنسيناتي ردز" ومرة مع "كاليفورنيا انجلز"، لكنه رفض العرضين من أجل متابعة دراسته لنيل شهادة جامعية.

عقد فريق نيويورك يانكيز عام ١٩٧٩



اتفاقاً مع نيكسون. وبعد خمس سنوات ارتقى نيكسون السلّم وصار يلعب مع فريق الناشئين. وفي غضون ذلك دخل عالم الكوكايين.

حين عرض عليه زملاؤه المسحوق الابيض للمرة الاولى نفخه بخشونة الى الارض. ومرت خمس سنوات قبل أن يتعرف ثانية الى الكوكايين.

وفي أواسط الثمانينات أصبح نيكسون مدمناً "ترفيهياً" يستمتع بالكوكايين في حفلات منزلية عند أصدقائه للاسترخاء بعد المباريات.

وفي ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٨٧ أعطاه أحدهم قليلا من الكوكايين في ناد ليلي. ولدى خروجه من النادي شاهد شرطياً

PHOTO: (OTIS NIXON): © JOHN BIEVER / SPORTS ILLUSTRATED

فحاول ابتلاع المخدر. غير أنه اعتُقل وغرّم وأُرسل الى مركز للتأهيل مدة ٢٨ يوماً.

في مركز التأهيل، لم يفكر نيكسون في ما كان يقصده الطبيب اذ قال له: "ما لم تكافح الكوكايين وتحصّن نفسك ضده فإنه سيهزمك."

قال في نفسه: "أنا لست مدمناً. وفي إمكاني، إن لم أخضع لفحوص طبية خلال اللعب، أن أتعاطى الكوكايين على سبيل الترفيه."

لكنه كان يخضع للفحوص الطبية بانتظام، فأحجم عن الكوكايين بفضل اجتماعات تابع حضورها مع مدمنين آخرين. وفي السنوات الاربع اللاحقة أثبت ٢٥٠ فحصاً خلو جسمه من الكوكايين. لقد كان يكافح قلِقاً، لمعرفته أنه ما زال تواقاً الى المخدر.

عام ١٩٩١ بيع نيكسون الى فريق "أتلنتا بريفز" وصمم على متابعة حضور اجتماعات المدمنين المنقطعين في مدينته الجديدة. واستهل لعبه بأداء مثير، ثم تراخى، وبدأ يتخلّف عن الحضور. وقد عُدّ بين اللاعبين البارزين في البلاد. وفي ١٦ يونيو (حزيران) أحرز نصراً جديداً بتسجيله ستة أهداف في مباراة واحدة. وفي أسابيع قليلة بدأ فريق البريفز الهزيل، الذي كان يثير الشفقة سابقاً والذي احتل المرتبة الاخيرة في ثلاثة مواسم متعاقبة، اندفاعاً نحو القمة نُسب معظم الفضل فيه الى نيكسون.

في يوليو (تموز) أسرّ صديق صيدلي الى نيكسون أن ثمة عشبة اذا مُزجت بالملح والخل فانها تمنع ظهور الكوكايين في فحص البول. لكن فحصاً أُجري له يوم ١٣ يوليو (تموز) أظهر وجود المخدر في جسمه. وكان ذلك الفحص الاول منذ العام ١٩٨٧. عندئذ التمس نيكسون من المفوض المسؤول منحه فرصة ثانية، فحصل عليها، الّا أن الأوان كان قد فات، اذ انه عاود إدمانه الذي بات متحكماً فيه.

خلال شهر أغسطس (آب) أصيب نيكسون بفقر دم حاد. وفي ٧ سبتمبر (ايلول) أثبت فحص مخبري آخر وجود مخدر في جسمه. ولم يكن بقي لانتهاء موسم اللعب الّا ثلاثة أسابيع، فأُعفي نيكسون ٦٠ يوماً فيما كان فريقه يصارع لاحراز البطولة.

شعرت مدينة أتلنتا بأنها خُذلت. فصور نيكسون تصدرت صحف البلاد جمعاء. وأصيب هو بالهلع، فقد عرف أن الشرطة ستقبض عليه وأن حياته ستدمّر. وعلى رغم ذلك عجز عن مقاومة المخدر. وأخيراً أدرك الحقيقة: "إنني في حاجة الى مساعدة."

هذه المرة صدق عزم نيكسون على عمل كل ما يقتضيه انقطاعه عن المخدر. ويستغرق معظم برامج معالجة لاعبي الكرة من المخدرات ٢٨ يوماً فقط، لكن نيكسون حمل علاجه على محمل الجد، فبقي ثلاثة أشهر قيد التأهيل.

يقول نيكسون إن الاعتراف بالواقع هو أصعب الامور بالنسبة الى رجل ألف الزهو والتبجح اللذين يترافقان واحتراف

الرياضة. ويضيف: "لقد جُلدت بالسياط. هُزمت. كان الأمر أقوى مني." ولكن، حين جبه الادمان عرف ماذا يتعين عمله.

لقد رأى بوضوح الأمور التي تعيده الى حظيرة الادمان، فنبذها من حياته. وكان يقول: "الاندية الليلية، الحفلات، تلك أمور يستطيع آخرون الاستمتاع بها. أما أنا فلا أقوى على ذلك."

رتب نيكسون مع أطبائه شبكة من الاصدقاء والأهل والمهنيين لمراقبة تقدمه ومساعدته في الابتعاد عن المخدرات.

والآن، حيثما يتوجه، يحرص على حضور اجتماعات المدمنين المنقطعين ويظل على اتصال بأطبائه. كما يستمر اتصاله بعائلته، وهذا هو المنحى الأهم في شبكته الواقية. ويعرف نيكسون أن هذا التيقظ لا بد من أن يدوم لأنه متى توقف عاد وحش الكوكايين ينهش جسده وروحه.

لكن الأمر استحق كل هذا العناء، اذ ان التزام نيكسون الكفاح ضد الادمان شجع فريق البريفز في ١٢ ديسمبر (كانون الاول) على عقد اتفاق معه لمدة سنتين قابلتين للتمديد، في مقابل مبلغ خيالي: ٨،١ ملايين دولار يخصص منها ١٠٠ ألف دولار لانتاج فيلم فيديو يحذر الشباب من مغبة تعاطي المخدرات ويبيّن لهم أن كل امرىء معرض للوقوع في شركها.

والآن يقول نيكسون: "كان ما مررت به قاسياً جداً، ولا أتمنى لأي امرىء أن يعانيه. لكنه أعاد حياتي الى خطها الصحيح. كانت تجربتي نعمة مقنَّعة باليأس والمعاناة."

راشيل فليك فلدافسكي ■

بكل تقدير!

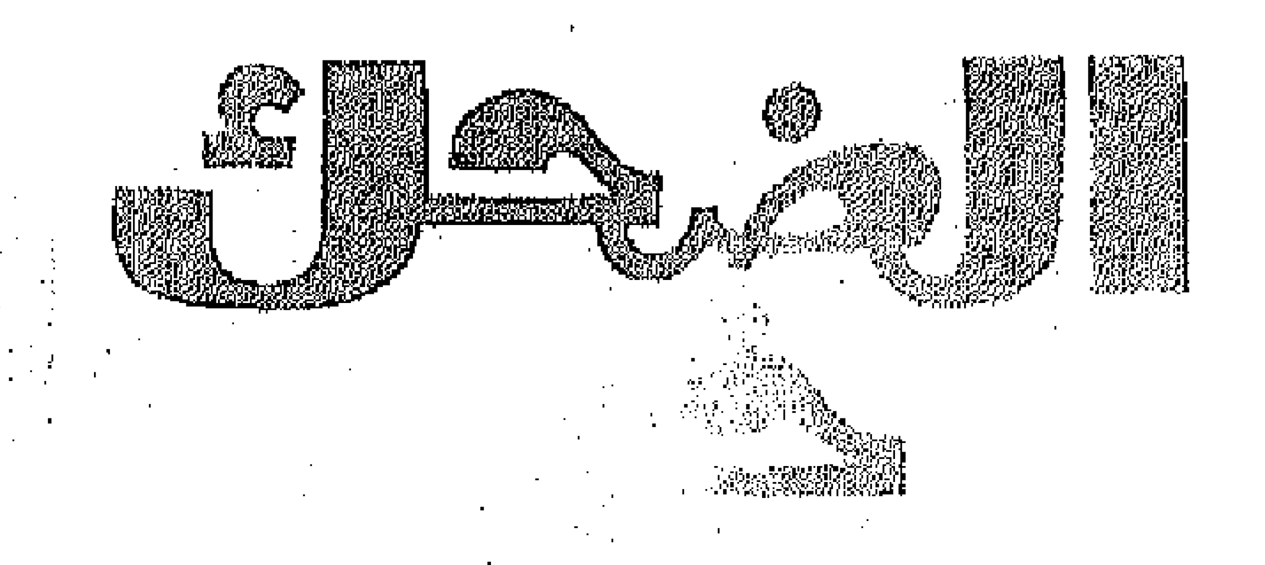
كنا نتمشى في الريف حين صادفنا سيارة معطلة. فعرضنا على سائقتها ان ندفعها. وبعد ساعة من الدفع المضني لمحنا مرآباً فاستبشرنا خيراً. ولكن ما إن رأت السيدة لافتة المرآب حتى صاحت: "هنا لا يقدمون القهوة مجاناً. هيا نبحث عن مرآب آخر."

ب.د.

انصرفوا من فضلكم

وقف الاستاذ ينتظر عبثاً انتهاء ثرثرة التلاميذ حتى يستطيع ان يبدأ الدرس. وفي النهاية ضاق ذرعاً بهم، فصاح باكثر التلاميذ ثرثرة: "عماد، هلّا تفضلت وتوليت مسؤولية الصف عنّي؟" فهبّ الفتى واقفاً وقال لرفاقه بكل رزانة: "انصراف."

ا.ك.



حظ.. من السماء

التقى رجلان على الطريق بعد غياب طويل فسأل احدهما:
- كيف حال زوجتك؟
"زوجتي ملاك."
- يا لك من محظوظ، زوجتي لا تزال على قيد الحياة.

ب.و.

كلب في الدار

فتح سليم الباب، فدخل صديقه حبيب يتبعه كلب كبير، وفيما هما يتحدثان، صدم الكلب مصباحاً فكسره ثم وثب على الاريكة بقوائمه المتوحلة. فلم يستطع سليم المحافظة على هدوئه فصاح بصديقه: "الا يمكنك ان تضبط كلبك؟" فأجابه: "ماذا؟ لقد اعتقدتُ انه كلبك!"

عن "روزنامة المزاح"

يتقن سرّ المهنة

تقدّم هاني الى وظيفة "جاسوس صناعي" لدى احدى الشركات الضخمة، فجُمع مع عدد من طالبي الوظيفة وأعطي كل منهم مغلفاً مختوماً وطلب اليهم ان ينقلوه الى الطابق الرابع. فانطلقوا، وما ان وجد هاني نفسه وحيداً في رواق حتى فضّ الختم فوجد داخل المغلف رسالة كُتب عليها: "انت هو الشخص المطلوب للوظيفة. وافِنا الى الطابق الخامس."

ل.ا.

خاطف سياحي

حاول احد الاشقياء خطف حافلة ملأى بالسياح، وكانت النتيجة ان حصلت الشرطة على خمسمئة صورة فوتوغرافية للمتهم.

ب.ك.

رشوة!

قرّر احد الأثرياء أن يهدي الى سياسي سيّارة فخمة، فاحتج هذا قائلا: "لا يمكنني أن اقبل منك سيّارة، فذلك يعدّ رشوة."
فاقترح الثري مخرجاً يقضي بأن يبيعه السيّارة بعشرين دولاراً.
فرد السياسي: "في هذه الحال، سآخذ سيارتين."

ا.ك.

سر العمر الطويل

اورد احد الممثلين الهزليين العجائز هذه النكتة: "سألتني امرأة: هل صحيح انك لا تزال تذهب الى الصيد؟ فاجبتها: نعم. ثم سألتْ: وصحيح انك تدخّن علبتي سجائر في اليوم؟ فاجبتها: نعم. ثم سألت: وصحيح ايضاً انك لا تستعمل المصعد للوصول الى شقتك؟ فاجبتُها: نعم. فسألت اخيراً: وماذا يقول طبيبك؟ فاجبتها: لقد توفّي منذ زمن."

ك.ب.



سبع وسائل مجدية لتجاوز المحن

حدث الامر بغتة. فما كادت طائرة شركة "ألوها" تغادر مطار هيلو في هاواي قاصدة هونولولو وتستقر على علو ٢٤ ألف قدم (٧٣٠٠ متر) حتى انفتح باب ركن الطيار. فالتفت القبطان بوب شورنستايمر الى الخلف ليرى صفوفاً من ركاب تتقاذفهم الريح ويغطّيهم الدم، فيما حلّت السماء الزرقاء محل سقف مقصورة الدرجة الأولى. فقد "طار" ثلث سقف الـ "بوينغ ٧٣٧" الهرمة بسبب اهتراء معدنها.

كان هذا الحادث فريداً من نوعه ولا طريقة معروفة لمعالجته. وسرعان ما تعطّل المحرّك الأيسر وأضيئت اشارات منذرة بالسوء. لكن القبطان ومساعده ميمي تومبكنز حافظا على رباطة جأشهما. وبعدما ارتديا أقنعة الأوكسيجين حوّلا مسار الطائرة في اتجاه جزيرة ماوي حيث أقرب مطار.

هبطت الطائرة وركابها التسعون متشبثون بمقاعدهم، فيما ذنبها الواهن يترجح صعوداً ونزولا مثل ذنب حوت. وبعدما لامست العجلات الأرض شد شورنستايمر الكوابح، ثم ساعد تومبكنز في إطفاء المحركات ورشّها بمادة مؤخّرة للاشتعال. بعدئذٍ أُجلي جميع الركاب في دقائق.

من خلال خبرتي ككاتب غطى أخبار شركات الطيران لسنين طويلة، كثيراً ما أدهشني الهدوء ورباطة الجأش اللذان يظهرهما الملاحون في الحالات الطارئة.

ولكن بعدما قابلت خبراء في حقول أخرى حيث الضغوط قاسية أيضاً، من إخماد الحرائق الى ادارة أزمات الشركات الكبرى، أيقنت أن ثمة أساليب يمكن أياً كان استخدامها في الأوقات العصيبة.

وإليكم سبعاً من هذه الوسائل التي تساعدكم، إن لم يكن على تخطّي المحنة، فعلى تعزيز إمكانات نجاحكم.

١. تفاءلوا بالأفضل، ولكن استعدوا للأسوأ.

يؤكّد الاطفائي فريد كروكر من هارتفورد في كونيتيكت أن "للأشخاص الذين يستعدّون لمواجهة الحريق حظاً أوفر في النجاة من الذين لم يفعلوا."

وفي هذا السياق يتذكر كروكر منزلا أخذت النار تلتهمه فجأة: "عندما نصل الى الموقع تواجهنا الفوضى، فلا أحد يعلم أين هم الآخرون، ويتملّك الأهل خوف من أن يكون أولادهم محتجزين في الداخل. غير أن هذا الحادث بالذات كان مختلفاً. فكل فرد من العائلة كان واقفاً بهدوء على الرصيف."

شرح الوالد للاطفائي كيف أن أحد أولاده سمع في المدرسة محاضرة في السلامة، فاقترح على عائلته أن ترسم خطة لاخلاء المنزل في حال حدوث حريق. وتابع الوالد: "ذات مساء، بدلا من أن نشاهد التلفزيون، أعددنا هذه الخطة."

وهذا ما أنقذ حياتهم بعد أشهر.

يمكنكم أن تخطّطوا للأزمات بسهولة. تخيلوا ما قد تفعلونه لو أن السيارة المنطلقة أمامكم توقفت فجأة. فمجرد التفكير في أسوأ الاحتمالات كفيل بابقائكم في حال تأهب وتيقظ دائمين. وهذا ما يجعلكم تربحون ثلاثة أرباع معركة السيطرة على الأزمة.

٢. أنظروا أولا، ثم اعملوا.

لا بدّ أننا سمعنا أحدهم يقول: "لا تقف مكتوفاً، إفعل شيئاً!" على أن الخبراء يؤكدون أن النصيحة الفضلى في الأزمات هي "لا تفعلوا شيئاً، قفوا مكتوفين."

هذا الدرس تعلّمه بول أبرلاين ومتطوّعون آخرون في مركز التدريب على الاسعافات الأولية في باراموس بولاية نيوجرزي. فخلال أحد التمارين كان على أعضاء فريق أبرلاين أن يمثلوا حادث سيارة سحقها صهريج كبير. ويتذكّر أبرلاين: "عملنا كل شيء على أكمل وجه. فتمكنّا من انتزاع باب السيارة، وثبّتنا أجساد الضحايا بصدرات وأربطة للعنق، ثم مددناهم على نقالات. وما إن انتهينا حتى قال لنا المراقب: يا شباب، لقد قمتم بعمل جيد، لكنكم أصبحتم في عداد الأموات. ثم أخذنا الى الجانب الآخر من الصهريج حيث أرانا خط كهرباء مقطوعاً وملقى على مقدَّم الشاحنة. وقال: كان يمكن أن يحمل هذا الخط عشرة آلاف فولط من الكهرباء. وأضاف: ما من كارثة

ملحّة الى حدّ أنها لا تمنحنا الوقت الكافي لننظر ونفكّر قبل أن نقدم على أي عمل."

يسمي رجال القانون التصرف من دون تفكير "استجابة مرتدة." ويقول الملازم بيتر روان من قسم الشرطة في مدينة نيويورك: "يواجه مجنّدونا في صالات التدريب أبواباً تنفتح ونوافذ تشرع فجأة، وتكون خلف بعضها رسوم لمجرمين حاملين أسلحة وخلف البعض الآخر صور مدنيين أبرياء. وعليهم أن يحسنوا توقيت إطلاق النار. أما في الحياة اليومية، فإطلاق النار أسرع مما ينبغي قد يشكل نهاية الحياة المهنية للشرطي."

٣. تصرفوا بقوة.

يؤكد روب فلاهرتي نائب رئيس شركة "كاتشام" للعلاقات العامة في مدينة نيويورك التي تقدّم استشارات للشركات في أزماتها الادارية: "غالبا ما يواجه الناس الازمات بأقل جهد ممكن على أمل أن تُحلّ المشكلة تلقائياً."

إن التصرف بقوة لا يتعارض ومبدأ التروي قبل الاقدام على أي عمل. فمواجهة الأزمة، كما يؤكد الخبراء، تشبه الى حدٍّ ما ولوج طريق رئيسية وسط حركة سير سريعة. فهذا الأمر يتطلب من السائق أن يتوقف وينظر أولا. ولكن متى صمّم على التحرّك فمن الأفضل له أن يضغط دوّاسة الوقود بقوة.

٤. اطلبوا المساعدة.

يُدرَّب رجال الشرطة على طلب الدعم في الحالات الطارئة. كذلك علينا نحن أن نحترس لئلا نفعل شيئاً من دون مساعدة حين تكون المساعدة متوافرة.

عندما بُلِّغ رجال الاطفاء عن حدوث حريق في مبنى للمكاتب في هارتفورد، ضمن منطقة فريد كروكر، دُهشوا لدى وصولهم لسرعة امتداد اللهب. فقد كان عمال البناء القريبون من المبنى المحترق يحاولون إخماد النار بأنفسهم. ويقول فريد كروكر: "عندما صمّموا على طلب قسم الاطفاء كان الدخان وصل الى الطبقة الثالثة. ومن العجب أن الجميع خرجوا أحياء."

كذلك تؤكد نانسي نابير الاختصاصية بمعالجة المشاكل الزوجية والعائلية في مدينة نيويورك: "حتى إن كانت الأزمة نفسية أو عاطفية، فالشفاء لا يبدأ إلّا حين يطلب الانسان المساعدة. فكروا في جمعية المدمنين المجهولين،* فهي تعتمد كلياً على أناس يساعدون أناساً آخرين يعيشون ظروفاً مماثلة. أما الذين يبقون وحدهم ولا يطلبون المساعدة فيعيشون أوقاتا عصيبة جداً."

٥. لا تدعوا التفاصيل تستحوذ على اهتمامكم.

يقول الدكتور نيل فلومنبوم رئيس قسم الطوارىء في مستشفى جامعة لونغ آيلند

(*) جمعية تضم مدمنين سابقين اقلعوا عن إدمانهم فباتوا يجتمعون لتداول امورهم والتشارك في تجاربهم.

في بروكلين، إن قادة الفرق في أقسام الطوارىء يتعلّمون ألّا ينهمكوا أكثر من اللزوم في بعض الاجراءات الطبية، الأمر الذي قد يلهيهم عن مراقبة غيرها.

ويتابع فلومنبوم: "من الضروري جداً أن يقف أحد ويراقب الوضع بكامله، وإلا فمن الممكن أن يفارق المريض الحياة من دون أن يتنبّه أحد الى ذلك."

أخبرني شورنستايمر الطيار في شركة "ألوها" أن أهم الأمور التي فعلها هو وتومبكنز لانزال تلك الطائرة كان إبقاء "الصورة الكبيرة" نصب أعينهما: "كنا نواجه مشاكل كثيرة، منها فقدان سريع في تكيُّف الضغط، وعطل في المحرك، وإشارات هيدروليكية، وإشارات متناقضة في جهاز التحكّم، والى كل ذلك همُّ الهبوط. لكننا أدركنا أن أولى أولوياتنا هي الهبوط. وفيما كنا نتمّم الاجراءات الطارئة، لم نسمح لأنفسنا بالانهماك في إحداها أكثر مما ينبغي."

٦. كونوا صادقين بصرف النظر عن سوء الأوضاع.

عندما نتسبّب في أزمة، نكون معرّضين لأن نكذب أو نحاول إخفاء الأمر. "ولكن ليس ذلك عملا غير أخلاقي فحسب، وإنما هو خطأ في التقدير." هذا ما تقوله كورين شاين من شركة "شاين" الاستشارية للشركات التي تواجه أزمات. وهي تضيف: "عندما تقترفون خطأ ما تكون لديكم مشكلة واحدة. أما عندما تعمدون الى إخفاء الأمر فتصبح لديكم مشكلتان."

ولا تنسوا: اذا كشفت الحقيقة فستلازمكم الكذبة أكثر من غلطتكم الأساسية.

يقول بوب فلاهرتي: "أثبتت لنا الفضائح السياسية أنه في الأوقات العصيبة تكون الاستقامة هي السياسة الوحيدة المعقولة والمقبولة. قد تكلّفكم الاجابة الصادقة وظيفتكم أو قضيتكم في المحكمة أو إحدى صداقاتكم. ولكن عليكم أن تحدّدوا أولوياتكم. إن خسارة وظيفة أو دعوى هي بمثابة خسارة معركة اليمة. أما الحرب فهي مهنتكم وسمعتكم وسعادتكم في المدى البعيد."

٧. تطلّعوا الى الجانب المشرق من المحنة.

يشير جيرالد مايرز الاستاذ الجامعي والرئيس السابق لشركة "أميريكان موتورز" الى أن أزمات كثيرة ليست في الواقع سوى حاجة ماسة الى مواجهة مشكلة كانت لفترة طويلة ناراً تحت الرماد.

ويتابع مايرز: "في حقل الأعمال، كل حالة إفلاس أو إخفاق في الانتاج تسبقها أزمة ممهِّدة يهمل المسؤولون تحذيراتها المبكرة. بعدئذٍ تأتي الأزمة التي تجبر المسؤولين على اجراء تغييرات كان عليهم اجراؤها منذ البداية."

وما يصحّ في حقل الأعمال غالبا ما

يصحّ في حياتنا الشخصية، أكان الحدث طلاقاً أو مواجهة مع حبيب أو خسارة وظيفة أو إصابة تقعدنا عن العمل.

فالمغني خوليو ايغليسياس اكتشف موهبته الحقيقية بعدما حطّم حادثُ سير خطير كل آماله بأن يصبح لاعب كرة قدم. فبينما كان جريحاً ممدداً في مستشفى مدريد، تعلّم أن يعزف على الغيتار. وبعد خمس سنوات فاز في مباراة دولية للغناء، واستمر صعود نجمه الى أن أصبحت مبيعات أسطواناته هي الكبرى في العالم.

وهو يعزو نجاحه الى الدروس التي تعلّمها حين واجه محنته.

ويؤكّد الدكتور سيمور روزنبلات أستاذ علم النفس في نيويورك: "مهما شعرتم بصعوبة الأزمة وأنتم في وسطها، حاولوا أن تضعوا نصب عيونكم أن الأزمة تقدّم اليكم فرصة. فإن خسرتم تكونون على الأقل اكتسبتم حكمة لأنكم تألّمتم. وإن ربحتم فقد يكون ذلك أعظم انتصار في حياتكم."

رينولدز دودسون ■



حارس...

انتهت نوبة عملي حارساً ليلياً عند السادسة صباحاً، فتناولت سماعة الهاتف وادرت القرص طالباً المنزل لايقاظ زوجتي كالعادة وسألتُها: "هل استيقظتِ؟" فاجابت بصوت يغالبه النعاس: "لا، لقد فعلتَ حسناً باتصالك بي الآن، عليّ ان انهض في ايّة حال."

– الافضل لكِ ان تفعلي، عليكِ ايضاً ان توقظي الاولاد.

"الاولاد؟ اولاد من؟"

– اولادنا.

ثم صمت كلانا لبرهة، سألت بعدها المتكلمة:

"من المتكلم؟"

– من انتِ؟

"لستُ زوجتك."

واقفلت الخط.

المفتاح والباب

وصلتُ وزوجي الى معرض السيّارات لنتسلم سيّارتنا الجديدة، فقال لنا الموظف انه اقفلها ناسياً المفاتيح في داخلها، ووجدنا احد التقنيين بقربها يحاول جاهداً فتح قفل باب السائق. فتطلّعتُ فاذا الباب الآخر مفتوح، فصحتُ بالتقنيّ: "هذا الباب مفتوح." فرد: "اعلم ذلك، فقد فتحته لتوّي."

د.م.

مَنْ أشد خطراً من صانع قنابل روسي؟
إن نزف الادمغة
من الاتحاد السوفييتي السابق
يهدد بكوارث نووية
لا يحصرها خيال

لطالما راقب ألكسندر تشرنيشيف في صباه غيوماً فطرية الشكل تنبثق من صحارى كزاخستان في الخمسينات. فقد حرص والده الذي كان يعمل في موقع سيميبالاتنسك للاختبارات النووية على اصطحاب العائلة لمشاهدة عظمة الانفجارات الذرية أو "درع الوطن الأم" كما سماها ستالين.

وفيما كان أترابه يحلمون بأن يصبحوا رواد فضاء، تاق ألكسندر النجيب الى أن يصبح صانع قنابل. فغادر كزاخستان لدراسة الفيزياء في لينينغراد. ثم اختفى مثل غيره من كبار العلماء السوفييت. وكان جل ما استطاع قوله لاصدقائه أنه انتقل للعمل في "صندوق البريد" اشارة الى الرمز البريدي للارخبيل النووي السري في الاتحاد السوفييتي. وهكذا بدأ ألكسندر مهنته كصانع قنابل. ويروي ايفجني أفرورين قصة يأس مماثلة. وهو عالم في الستين يشغل منصب كبير العلماء في مختبر "تشليابنسك - ٧٠" للاسلحة النووية في الاتحاد السوفييتي السابق. وهذا المختبر مدينة مغلقة في جبال الاورال يسكنها نحو ٤٥ ألف شخص، وقد بات في حال تقرب من الافلاس، إذ يكاد يعجز عن دفع الرواتب البائسة لموظفيه



وعددهم ١٦ ألفاً، ولا يستطيع حتى تحمل شراء المجلات العلمية الاجنبية. وفي حين كان راتب أفرورين عام ١٩٩٢ ١٥٠٠ روبل (١٥ دولاراً) شهرياً، وهو ربما كان أبرع علماء بلاده في حقل تصميم الرؤوس الحربية، لم يتجاوز ما تقاضاه سواه نصف هذا المبلغ.

واليوم يتولى تشرنيشيف منصب مدير قسم الفيزياء في "أرزاماس – ١٦" وهو مركز للتصميم النووي يبعد ٣٨٠ كيلومتراً الى الشرق من موسكو. إلا أنه بدأ يراجع حساباته، اذ يرى انهيار عالمه وعالم عشرات الألوف من الموظفين في صنع القنابل النووية السوفييتية.

فبعدما كان "أرزاماس – ١٦" مميزاً ومحظياً بأطعمة ومشروبات لا يحلم بها السوفييت العاديون، بات مسيَّباً مهملاً من موسكو. إلا أنه بقي "مدينة مغلقة" يحظر على الدخلاء ولوجها. وقد خوت متاجره الحكومية من محتوياتها ومُنع المزارعون من مقاربته، الامر الذي دفع تشرنيشيف الى القول: "لقد أصبحت أسرارنا مأساتنا."

فبدلاً من وضع مختبرات مثل "أرزاماس – ١٦" و"تشليابنسك – ٧٠" في معزل عن سياسة موسكو الاقتصادية التي اعتمدت "العلاج بالصدمات"، باتت هذه المختبرات في وضع حساس جداً. ونتيجة الخفض الكبير الحاصل في موازنة وزارة الدفاع، وجد أفرورين وزملاؤه أنفسهم مجبرين على البحث عن شركاء تجاريين في الخارج.

ويختصر أفرورين المتغيرات الحاصلة بقوله: "عندما بدأت، كنا جميعاً نؤمن بصحة التهديدات التي يمثلها الغرب، وكنا على استعداد لفعل أي شيء دفاعاً عن بلدنا. أما اليوم فعلى الناس أن يفكروا في أنفسهم."

وكان أفرورين يحب البستنة، فأعطي قبل عشر سنين قطعة أرض مفرزة زرع فيها زهوراً وأشجاراً. لكنه تحول اليوم الى استثمارها لانتاج طعام.

نزف الادمغة. كان أفرورين وتشرنيشيف شخصين ثانويين في "نظام العالم القديم" الذي سادته قوتان قطبيتان عظميان والذي لم يعد موجوداً. بيد أن من المفارقات الكبرى في "نظام العالم الجديد" أنْ ليس ثمة ما يقلق الغرب أكثر من صانع قنابل روسي إلا صانع قنابل روسي عاطل عن العمل. والسبب أنه اذا كانت موسكو لا تستطيع القيام بأود علمائها الذريين، فإن القوى النووية المحتمل نشوؤها في العالم الثالث ستعمد مسرورة الى إنقاذهم من عبء زرع البطاطا في حدائقهم.

والواقع أن مجموع المواهب المتوافرة كبير جداً. فبحسب وزارة الطاقة الذرية الروسية، يتجاوز عدد العاملين في صناعة الاسلحة النووية ١٠٠ ألف، وهو رقم يتضمن ثلاثة آلاف من الخبراء الذين يملكون معلومات فائقة السرية. أما وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية فتقدر المجموع بمليون، إلا أنها توافق على

صحة الرقم المتعلق بمالكي المهارات في مجال تصميم القنابل.

وما زالت القوانين السوفييتية المدرجة توجب على العلماء الضالعين في أعمال عسكرية سرية الانتظار فترة تراوح بين خمس سنوات وعشر سنين قبل إقدامهم على الهجرة. ولكن مع انكماش السلطة المركزية بات للمال ثقل أكبر، وتتوافق وفرة العرض مع شراهة الطلب.

وينزع أفرورين الى الاعتقاد أن زملاءه لن يرحلوا في هذه الآونة على الأقل. ويقول: "علينا ألا ننحو الى المبالغة، اذ لم تطالعنا الى الآن أي حالة هجرة من هذا النوع. إن استنزاف الأدمغة يحتّم اختراق حاجز أخلاقي كبير. ثم إن العلماء يدركون ما يترتب على ذلك من أخطار." إلا أنه يعترف بأن المغريات ستكبر، مضيفاً: "اذا جاع الناس، فقد يحدث أي شيء."

بيد أن نزف الادمغة بدأ فعلاً، وإنْ يكن في مجمله ما زال متجهاً الى الغرب. وقد بلغ عدد العلماء السوفييت الذين هاجروا منذ العام ١٩٩٠ نحو ٧٠ ألفاً. ويقول غليب سكليزكوف وهو أستاذ في أحد معاهد الفيزياء في موسكو، إن عدداً من الباحثين في المعهد غادروا الى ألمانيا وأوستراليا وبريطانيا. ويضيف أن "الوضع بات مأسوياً."

ويسود المزاج إياه معهد كورتشاتوف للطاقة الذرية، وهو أكبر مركز للابحاث النووية في موسكو ويتألف من مُجمَّع ضخم تصل بين مبانيه الخربة ممرات موحلة. كان هذا المجمع في الاربعينات المقر الذي اعتمده ستالين في مسعاه الى امتلاك القنبلة الذرية. أما اليوم، فغالبية أشغاله مدنية. الا أنه أثار قلق الغرب لما له من علاقات وثيقة مع كوبا والجزائر وليبيا التي بنى لها مركزاً للابحاث النووية. وهو، الى ذلك، يسعى الى المال، اذ إن موازنته القديمة، كما يقول فلاديمير شوخوروشكن رئيس مختبر السلامة النووية، "تكاد لا تكفي لتغطية الرواتب بحيث لا يتبقى منها شيء لتسيير الاعمال."

واليوم يفكر كثير من العلماء في خيارين اثنين: الهجرة أو العمل في التجارة. ومن هؤلاء خبير في تصميم المفاعلات النووية اسمه فياشسلاف روزانوف حاول الافادة من الفرص التي يوفرها النظام الاقتصادي الحر الجديد. ومن مكتب وسخ تتكدس فيه أكوام مهملة من الكتب العقائدية، يتاجر روزانوف بأجهزة الكمبيوتر اليابانية وغيرها من البضائع الالكترونية. كما صمم برنامجاً للتكهن بأسعار الاسهم التجارية، استناداً الى معادلات احتساب احتمالات الحوادث النووية.

إلا أن حساباته جاءت في مارس (آذار) ١٩٩٢ مغايرة للواقع بنسبة ٣٠ في المئة. وتفسيراً لذلك يقول: "إننا نحاول تطبيق العقلية العلمية في الشؤون التجارية، لكننا نفتقر الى حس البيع والشراء."

ونظراً الى ضعف الايمان بالقدرة على

جني الارباح، يتحدث روزانوف وأصدقاؤه عن الهجرة: "كثيرون من الناس يودون الرحيل. والخيار الاول هو أمريكا. لكنهم إنْ لم يتمكنوا من الذهاب الى هناك فسيحاولون الحصول على وظائف أخرى. وأي دولة تدفع لهم سيذهبون اليها."

وفي واشنطن خلصت وكالة الاستخبارات المركزية الى استنتاج مماثل قوامه، كما يقول مديرها روبرت غيتس، أن "معظم العلماء السوفييت الراغبين في الهجرة يفضلون أمريكا، لكننا لا نستطيع استيعابهم جميعاً." وقد أعلنت واشنطن في فبراير (شباط) ١٩٩٢ خطة لاقامة مركز عالمي للعلوم والتكنولوجيا في موسكو كجزء من برنامج يكلف ٤٠٠ مليون دولار لنقل الاسلحة النووية وخزنها وتدميرها. وسيوفر هذا المركز وظائف لكبار العلماء أملاً بالحؤول دون بيعهم خدماتهم في الخارج. ويعلّق مسؤول في وزارة الخارجية الامريكية موافقاً على هذه الفكرة: "لن نعالج أزمة نزف الادمغة على نحو يزيدها سوءاً. فما نريده هو إبقاء العلماء داخل الاتحاد السوفييتي السابق."

ويربط مشروع آخر بين معهد كورتشاتوف ووزارة الطاقة في الولايات المتحدة. ففي مقابل ٩٠ ألف دولار، أي ما يعادل راتب أستاذين مساعدين في الولايات المتحدة، ستوظف الحكومة الامريكية أكثر من ١٠٠ خبير نووي لمدة سنة، الامر الذي قد يشكل نموذجا لتعاون مستقبلي. وفي هذا الاطار يقول أحد مستشاري الرئيس الروسي بوريس يلتسين: "لدينا التجهيزات، ولدينا الناس. أما هم فلديهم المال."

إلا أن العقول وحدها لا تصنع القنابل. ودلالة على ذلك يقول ديفيد كاي مدير معهد اليورانيوم في لندن وقائد فريق الامم المتحدة المرسل لمراقبة المنشآت النووية العراقية بعد حرب الخليج: "كانت الصعوبة القصوى التي واجهها العراق هي الحصول على مواد قابلة للانشطار مع مستلزماتها الالكترونية."

وهذا يشير الى الطريق الابسط لبلوغ مرتبة القوى النووية، وفحواه: "لا تصنع قنبلة، بل اشترِ واحدة جاهزة."

مطارق ومسامير. قبل سنة كانت قلة ضئيلة في واشنطن ولندن وباريس قد زارت كزاخستان. أما اليوم فيتدافع السياسيون للتودد الى الجمهورية التي غدت فجأة رابعة القوى النووية الكبرى في العالم. وليس أدلّ على ذلك من زيارات وزراء خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا للرئيس نور سلطان نزاربايف في عاصمته ألما - آتا التي تبعد ٤٠٠٠ كليومتر عن موسكو.

ويشير المتحدث الرسمي الرئاسي سيتكازي ماتاييف الى أن "للدولة التي تملك قنابل نووية صوتا حاسماً في شؤون العالم،" خصوصاً عندما يبرز خطر انطلاق القنابل على غير هدى. وبسبب المركز الذي تتبوأه كزاخستان بصفتها

الدولة الوحيدة في آسيا الوسطى التي تملك أسلحة نووية، فانها تثير أحلك مخاوف الغرب: القنبلة الاسلامية!

ولكن، على رغم استقلال كزاخستان رسميا، فما زالت تلك الاسلحة خاضعة لحراسة موسكو ومراقبتها. وما زالت الرؤوس الحربية في كزاخستان مختزنة تحت الارض في جبال نائية ومناطق صحراوية يصعب الوصول اليها ويكاد يتعذر نقلها. وهي مزودة صمامات أمان تعطلها أو تدمرها فور فصلها عن نظم إطلاقها. أما القنابل التي يسهل اختلاسها، أي الاسلحة التكتيكية الاصغر حجما والرؤوس الحربية القائمة في قاذفات القنابل المركزة في منطقة كزاخ، فقد نقلت الى روسيا. وكانت كزاخستان وافقت في ربيع ١٩٩١ على نزع سلاحها مع نهاية القرن، إلا أن ذلك لن يزيل الشك في منزلتها النووية.

ويؤكد الجنرال سيرغي زلنتسوف من دائرة نقل القنابل الذرية وخزنها في وزارة الدفاع: "إن السلامة مضمونة." إلا أن هذا القول لم يبعث الطمأنينة في نفس وليم بوتر الخبير في انتشار الاسلحة النووية في معهد مونتري للدراسات الاستراتيجية في كاليفورنيا، اذ يقول: "ليس ثمة دليل داحض على اختفاء الرؤوس الحربية. لكن الأسلوب المتبع في مراقبة جردتها يجعلني اتساءل عما اذا كان هناك من يستطيع تأكيد ذلك."

ويبدو في بعض الاوقات أن المسؤولين يدلون بتصريحات متباينة. ففي حين أكد الرئيس الروسي بوريس يلتسين للعالم في أوائل مارس (آذار) ١٩٩٢ أن أوكرانيا ستشحن أسلحتها النووية الى روسيا، أكد الرئيس الاوكراني ليونيد كرافتشوك بعد أيام قليلة أن تلك الأسلحة ستبقى حيث هي. ثم عاد وزير دفاع أوكرانيا ليتوسط قائلاً إن الأسلحة ستُسحب، إلا أن ذلك لن يتم ما لم تشرف أوكرانيا على عملية تدميرها.

والفوضى متجذرة في النظام، يشير اليها غينادي نوفيكوف رئيس جهاز الامن في "تشليابنسك – ٧٠" قائلاً: "الاسلحة النووية هي ملك دوائر مختلفة، إذ تتولى إحدى الوكالات تطوير العبوة النووية، وتتولى الصواريخ وكالة أخرى، والسفن والغواصات وكالة ثالثة. وهذه الاجهزة متباعدة، لذا ننحو الى اخفاء المعلومات."

وقد بدأ ظهور التوتر الناجم عن انسحاب روسيا العَجول من الامبراطورية السوفييتية. فالصحف الروسية تتحدث عن رؤوس حربية تبرز من نوافذ مراكز التخزين، وعن قطارات متداعية محملة بالقنابل تمر عبر الدساكر والبلدات، وعن مراقبة غير وافية لقوائم الجرد، وعن أجزاء نووية مفقودة. ويقول نوفيكوف: "لم يحدث أي تغيير في الامن التقني، إلا أن الامن بمعناه الواسع هبط بحدة."

وبحسب "مركز مراقبة الاسلحة" في موسكو، بات الوضع يهدد بأخطار تعجز الاجهزة العسكرية عن مواجهتها، لأن الرؤوس الحربية أهداف جذابة

للارهابيين والتجار. وقد حذر مدير وكالة الاستخبارات المركزية من أن "الحظر المفروض على الاتجار بمواد الاسلحة الخاصة قد يضعف ويختفي."

وبمقتضى اتفاقات نزع الاسلحة المعقودة بين واشنطن وموسكو، يتعين تعطيل نحو ١٥ ألف رأس حربي، أي نصف ترسانة الاتحاد السوفييتي السابق، الأمر الذي سيخلف ١٠٠ طن من البلوتونيوم و٥٠٠ طن من اليورانيوم المخصَّب الذي تتشوق اليه الدولة الراغبة في أن تصبح صانعة قنابل ذرية والذي سيبقى مشعاً لأكثر من ألف عام. ومن الاهداف المحتملة أيضاً عشرات المفاعلات النووية المعدة للابحاث والمنتشرة في أرجاء الاتحاد السوفييتي السابق من دون حراسة عسكرية وفي مواقع خارج سيطرة موسكو.

ولربما كان الامر الاكثر إقلاقا هو تأثير الاعمال الحرة. ومثال على ذلك ما تقوم به "تشيتيك"، وهي شركة شبه خاصة في موسكو، من ترويج لخبرات "أرزاماس – ١٦" في الاسواق المفتوحة. وقد عمدت الى طبع كراس صقيل روجت فيه لسلسلة مواقع تحت الارض اعتبرتها "آمنة كليا" لتفجير القنابل النووية. وقد قال عالم غربي في تعليق مقتضب على ذلك: "لديهم قنابل، لذا يودون استعمالها. وحالهم كحال مَنْ عنده مطرقة ويرى في كل معضلة مسماراً."

ويحذر وليم بوتر من أن "المسؤولين الروس لا يرون التضارب القائم في المصالح. وهم، في سعيهم الدائب الى أن يصبحوا أصحاب أعمال حرة، باتوا على استعداد لبيع موجوداتهم النووية." وبذلك أصبحت الدولة النووية الخارجة من الحرب الباردة عرضة لخطر التحول سوقا نووية حرة.

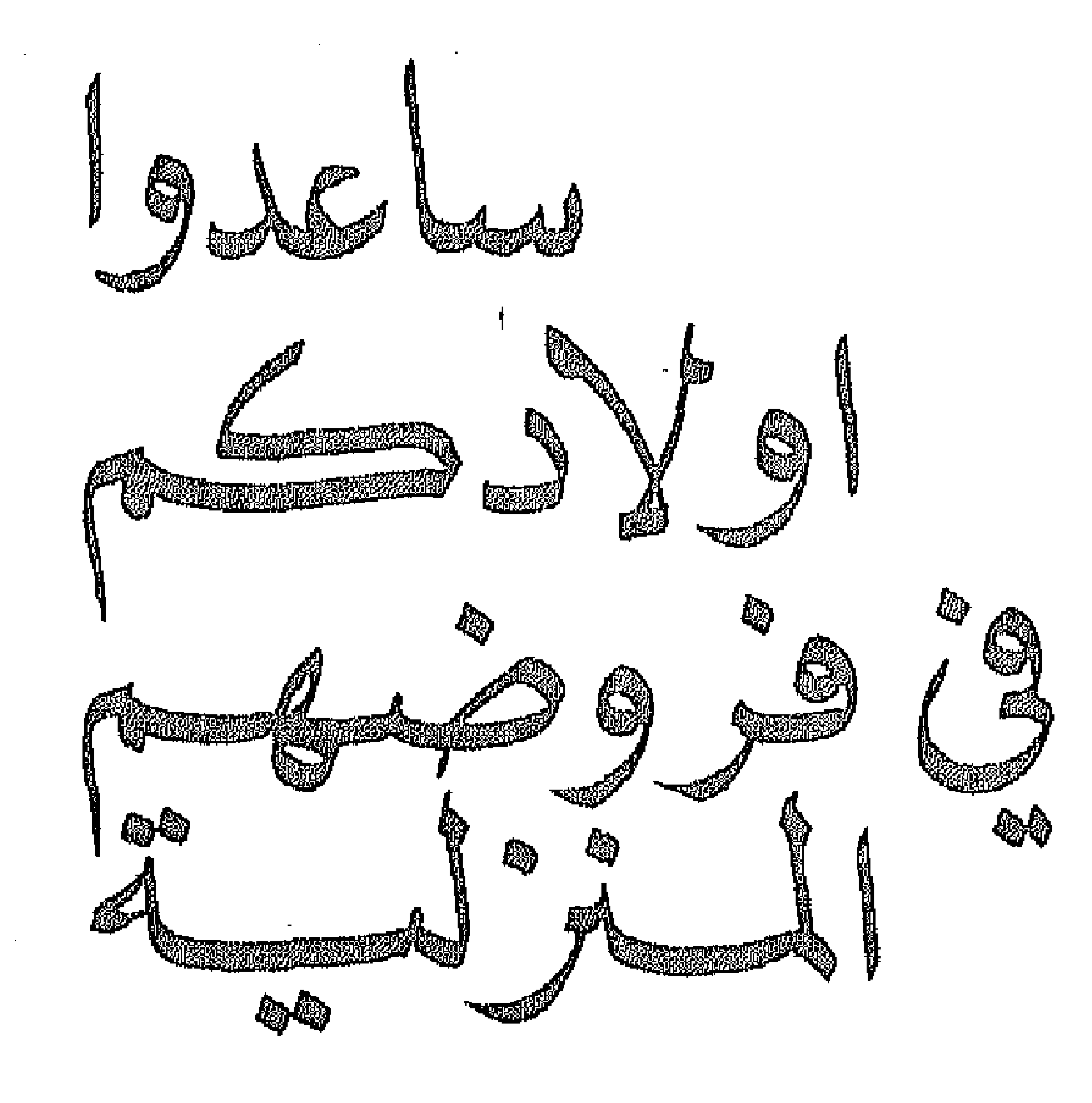
في هذه الاثناء وجد المجرمون والمحتالون مجالاً واسعاً لأعمالهم. وقد قبضت الشرطة الايطالية على رجال أعمال سعوا الى بيع "الزئبق الاحمر" وهو مادة يقال إنها تستخدم في المجال العسكري، إلا أنها، بحسب ما يؤكد خبراء مستقلون، لا تساوي شيئاً. كما قبض على ألمانيين من مواليد الاتحاد السوفييتي كانا يحاولان بيع ١٢٠٠ غرام من اليورانيوم بسعر يربو على مليون دولار، أي ١٠٠٠ ضعف سعر السوق لما تبين أنه يورانيوم متدني التخصيب ولا فائدة منه في صنع القنابل.

ومع أن الأفاّقين لا يشكلون وسيلة لنشر أسلحة الدمار الشامل، إلا أنهم يلقون الضوء على المشكلة: فهناك سوق جاهزة لتلقي المواد النووية، وهناك سوق لتلقف العلماء النوويين. ومع أن البضائع التي حاول الافاّقون بيعها كانت زائفة، إلا أن الجشع حقيقي بلا ريب.

أندرو هيغنز ■

ترجمة فريد شديد

تبدأ رحلة ٢٠٠٠ كيلومتر بتأخير ساعتين فقط قبل الاقلاع. ب.ل.



البيت مدرسة ثانية والاهل معلمون مساندون

لم يتجاوز وليم التاسعة من عمره، الا أنه بدأ يعاني مشاكل الفروض المدرسية. كل مساء بعد العشاء يلهو بألعاب الفيديو ويدير التلفاز ويضايق أخته الكبرى. ويحاول والداه ممالقته وملاطفته ليجلس الى طاولة الدرس ويركز. وفي النهاية، قرابة العاشرة، يذهب الجميع الى النوم منهكين بعد كثير من البكاء والصياح.

أما في بيت ساره فالمعركة مختلفة. تجلس ساره باحساس بالمسؤولية الى طاولة الدرس مباشرة بعد العشاء. الا أن والدها يقف الى جانبها مراقباً كل جرة قلم ويقاطعها قائلا: "ليس هذا الجواب الصحيح يا ساره. الا يمكنك أن تجيبي على نحو أفضل؟" وبعد دقائق تبدأ ساره بالبكاء. وعندما تنجز الفرض يكون والدها أجاب هو عن معظم الاسئلة.

هل يبدو أي من هذين المشهدين مألوفا؟ بالنسبة الى الاختصاصي بعلم النفس

فريدريك م. ليفاين احد مؤلفي كتاب "كيف تربح حرب الفروض"[1] فإن ٨٠ في المئة من الخلافات العائلية بين زبائنه تتركز على الفروض المنزلية. وهو يقول: "تُحدث الفروض توتراً كبيراً في العلاقات العائلية." وهو يعترف بأن الخلافات في عائلته أوحت اليه تأليف كتابه.

وللفروض المنزلية الآن أهمية أكثر من أي يوم مضى في الحياة التربوية لولدكم. وقد أظهرت الدراسات أن للفروض المدروسة والمصححة بدقة تأثيراً في النجاح الاكاديمي أكبر من تأثير أي عامل آخر كالدخل العائلي أو الوضع الاجتماعي أو الخلفية التربوية.

وثمة برنامج تقويمي متبع في ولاية كاليفورنيا يختبر التحصيل العلمي في المرحلتين الابتدائية والثانوية في كل من القراءة واللغة والرياضيات والتاريخ والاجتماع والعلوم. وفي أحدث اختبار اجري في مادة القراءة سئل التلاميذ عن كمية الفروض المنزلية التي كانوا ينجزونها يومياً. فتبين للباحثين ان تلاميذ الصف المتوسط الثالث الذين كانوا يعملون على فروضهم ساعتين كل مساء تقدموا على رفاقهم الذين لم ينجزوا أي فروض بـ٨٤ نقطة من أصل ٤٠٠ تشكل العلامة الكاملة، كما تقدموا بـ١٩ نقطة على أولئك الذين كانوا يعملون على فروضهم بين ساعة وساعتين يومياً. أما طلاب السنة الثانوية الاخيرة الذين عملوا ساعتين يومياً على فروضهم فتقدموا على الذين لم ينجزوا أي فروض بـ٦٣ نقطة وعلى الذين كانوا يعملون لمدة ساعة بـ٣٤ نقطة.

يقول بيل هونيغ مؤلف كتاب "الفرصة الاخيرة لاولادنا"[2]: "انه لامر منطقي. فكلما صرفت مزيداً من الوقت على أمر ما جاء انجازك أفضل."

لكن الفروض المنزلية قيِّمة لاسباب أخرى أيضاً. فهي تعلِّم التلاميذ الانضباط والتوجيه الذاتيين، وتهذب عادات الدرس الحسنة وتنمي روح المبادرة.

والى ذلك يمكن الفروض ان تكون "الموازن الاكبر." ففي وسع ولدكم أن يلحق برفاقه أو يتفوق عليهم بمزيد من الدرس في البيت. ففي مقاطعة هولمز بولاية مسيسيبي مثلا استطاع أولاد عائلات فقيرة، كان بعض أهاليهم أميين، رفع علاماتهم على نحو مفاجىء عندما أشرف أولياؤهم على فروضهم من خلال برنامج خاص.

أخيراً، العادات الحسنة في انجاز الفروض تعزز نشوء علاقات عائلية أكثر انسجاماً. يقول ليفاين: "يحب الاولاد أن يعرفوا ما هو متوقع منهم. فاذا وضعتم برنامجاً للفروض ومجموعة واضحة من القواعد تتبع يومياً، انتهت حروب الفروض."

ان دور الاهل في انجاز الفروض المنزلية حاسم في رأي التربويين، إذ ان المنزل هو في صميم نجاح الولد. وفي ما

---
(١) Winning the Homework War
(٢) Last Chance for Our Children

يأتي اقتراحاتهم لجعل الفروض أقل إتعابا وأكثر فائدة.

١. ابدأوا من اليوم الاول. ينصح ليفاين: "ان أعظم هدية يستطيع الاهل تقديمها الى أولادهم هي أن يبينوا لهم أن العلم مهم وأن هناك قواعد لتحصيله." وحتى ان كان ولدكم في مرحلة الحضانة ولا تتوجب عليه أي فروض منزلية، فخصصوا له بين عشر دقائق وعشرين دقيقة يوميا لتقرأوا له أو تتباحثوا واياه في دروسه اليومية. فذلك يعبر عن اهتمامكم بثقافته ويبين أن العلم يحصَّل في المنزل أيضا.

وتنصح بات غرين وهي مديرة برنامج لاشراك الاهل: "لا تسمّوا ذلك وقت الفروض المنزلية، لانه يقود الولد الى التبرّم قائلا: لكنني لم أعطَ أي فروض اليوم! أو: لقد أنجزتها في المدرسة! سمّوه وقتا للدرس أو وقتا هادئا. واحرصوا دائما على أن يكون لدى الاولاد فروض، قراءة أو كتابة رسائل أو ترتيب ملاحظات أو تحضير للغد. بينوا لهم أن ما ينجزونه في المنزل لا يقل أهمية في التعلم عما ينجزونه في المدرسة."

٢. لا تقلقوا لايجاد مكان مثالي للدرس. ان منضدة مضاءة جيداً في غرفة نوم الولد ومجهزة بكل ما يحتاج اليه من أقلام وأوراق ومراجع هي المكان المثالي لبعضهم، وكأنها تناديه "تعال ادرس هنا." لكن أي مكان آخر هادىء خال من الالهاءات – وخصوصاً التلفاز – يفي بالغرض.

بعض الاولاد يكرهون زجهم في غرفة النوم، وبالنسبة اليهم قد تفي طاولة المطبخ بالغرض. السطح المستوي والكرسي الثابت المريح ضروريان للعمل الكتابي، وهما يخففان التعب واجهاد العينين. لكن الولد بعد جلوسه طوال النهار على كرسي الصف قد يفضل سريرا يقرأ عليه. تقول بات غرين: "اثنان من أولادي يدرسان على نحو أفضل وهما على سريريهما. لم أمانع في ذلك، بل اشتريت لهما طاولتين توضعان فوق الحضن."

٣. اتبعوا برنامجاً يومياً. يجب التقيد بمدة الدرس، ولكن ليس ضرورياً التقيد بالموعد ذاته طوال أيام الاسبوع. يمكن تنظيم البرنامج ليتوافق ودروس الموسيقى وتمارين كرة القدم ولقاءات الكشافة وحتى البرامج التلفزيونية المفضلة. الا أن مدة الدرس يجب أن تحافظ على الحد الادنى كل مساء، بصرف النظر عن كمية الفروض المعينة. ويتكفل ذلك بالولد الذي "ينسى" فروضه، كما يتكفل بالمتسرع الذي لا يفتأ يدعي: "أنجزت كل شيء!" سواء أكان انجازه خطأ أم صواباً.

وعندما تبدأ فترة الدرس يجب عدم مقاطعتها: لا طعام لا تلفاز ولا مكالمات هاتفية.

٤. قدموا المشورة ولا تعلّموا.

هاريس كوبر أستاذ في علم النفس اختبر قضايا الفروض المنزلية. ويتذكر يوم عادت ابنته ايمي من دار الحضانة واخبرته بفخر أنها تعلمت ربط شريط حذائها. يقول: "راقبتها، فلم أستطع فهم طريقتها، فقاطعتها قائلا: هذه طريقة خاطئة، دعيني أريك الطريقة الصحيحة. ثم أدركت أنني أتصرف خلاف ما أنصح به الاهل. فعلمتها طريقة "أسهل" أربكتها تماماً. فنسيت كيف تربط شريط حذائها على طريقة المدرسة، كما لم تفلح في ربطه على طريقتي. وهكذا تعلمت أن أشجِّع التوصل الى النتائج لا السبل."

احدى اهم الغايات من اعطاء الفروض هي أن يكتشف المعلم مقدار فهم ولدكم شرح الصف. فاذا أنجزتم فروضه عوضاً عنه عرف المعلم مقدار ما تعلمون أنتم. ثم ان "المساعدة" تعطل هدف تشجيع الاستقلالية.

لكن ذلك لا يعني التمنع كلياً عن المساعدة خلال فترة الدرس. يترتب عليكم الجلوس بجانب ولدكم الصغير لترشدوه وتشرحوا له وتتأكدوا من فهمه أمثولته. وفي وسعكم أن تساعدوا أولادكم الاكبر سناً في التمارين والحفظ والتسميع. وفي وسعكم أيضاً أن تدعموا الشرح المدرسي. إذا كان ولدِكِ يدرس الكسور، ففي امكانك أن تحضّري واياه كعكاً محلى بالشوكولاته، وأن تضاعفي الكمية فتساعديه على تصور طريقة ضرب ثلاثة أرباع كوب من الطحين في اثنين.

٥. احفظوا سجلا للفروض.

دعوا ولدكم يسجل دروسه اليومية في "مفكرة" واحدة ويعرضها عليكم. اطلبوا من معلمه أن يتأكد من أن كل درس مسجل في المفكرة. راجعوا لائحة الدروس مع ولدكم قبل أن تبدأ فترة درسه. ان سجل الفروض اليومية يساعد ليس فقط في توضيح ما يجب انجازه بل أيضاً في الغاء المكالمات الهاتفية المسعورة والمضيعة للوقت مع رفاق الصف حول الدروس اليومية، كما يلغي أعذاراً من قبيل "نسيت ورقة الفرض في المدرسة."

تحققوا من اتمام الفروض. يحبذ بعض المعلمين أن يوقع الاهل على الفرض ويؤرخوه. اذا لم تكن لدى ولدكم فروض ينجزها، اسألوا المعلم عن السبب. واذا كانت كمية الفروض تفوق الحد المعقول (أو كان الولد يدعي أن واجباته تفوق امكاناته) تحدثوا الى معلمه أيضاً. واذا كانت المدرسة لا تتبع سياسة فروض رسمية، اعملوا مع "رابطة الاهل والمعلمين" وادارة المدرسة لوضع سياسة كهذه.

٦. كونوا لولدكم مثالاً صالحاً.

إذا كنتم لا تريدون أن يتلهى ولدكم أمام شاشة التلفاز عوضاً عن الدرس، فلا تشغلوا التلفاز. ولكي تثبتوا أن لكل فرد عملاً، استغلوا فترة الدرس للقراءة أو لكتابة الرسائل. يمكنكم حتى أن تقولوا: "لننجز فروضنا الآن!"

بيِّنوا، من خلال تصرفاتكم، أنكم تحبون القراءة، وسيقبل ولدكم على القـراءة. بيّنوا أن عـائلتكم تعتبـر الرياضيات مادة مهمة، وسيعتبرها ولدكم مهمة أيضاً.

تذكروا أن ليس واجبا عليكم أن تعرفوا كل شيء. بعض الاهل ينفرون من الفروض لأنهم لا يشعرون بأنهم مؤهلون لحل مسائل الجبر أو مناقشة مسرحيات شكسبير. ذلك عمل المعلم. عملكم أنتم توفير الدعم والتشديد على قيمة الفروض. هكذا تساعدون أولادكم في بناء مستقبل يقوم على المسؤولية والاعتماد على الذات.

ادوين كيستر الابن
وسالي فالنتي كيستر ■



فقدان الكرامة

ادرك جدّاي ان العمل جزء اساسي من الحياة، فهما عاشا وعملا في مزرعة وسط بنسلفانيا تملكها العائلة منذ قرن ونصف قرن وقد كفتهما حاجتهما، فربّيا العجول للحصول على اللحم، والدجاج من اجل البيض، واعتنيا بالابقار من اجل حليبها وقشدتها اللذين صنعت جدّتي منهما الزبدة والجبنة.

ولم يُحدث الانهيار الاقتصادي في الثلاثينات تغييرات مأسوية في حياتهما، لكنه حمل اليهما سيلا لا ينضب من الرجال العاطلين عن العمل الذين تنقلوا من وظيفة الى اخرى حتى انتهوا امام بابهما. وصل اوّلهم ووقف امام باب المطبخ، بالغ التهذيب على رغم منظره المزري، فرفع قبعته وشرح لهما بهدوء انّه مضت عليه فترة من دون ان يتناول طعاماً، فحدّق إليه جدّي لبرهة ثم قال: "هنالك كومة من الحطب مرصوفة قرب السياج خلف مخزن الغلّة، اريد نقلها الى الجهة الاخرى. لديك ما يكفي من الوقت لتنهي نقلها قبل ان يحين وقت الغداء." وللحال، مدّ اليه يده الخشنة الملمس مصافحاً.

تقول جدّتي: "حدث عندئذ امر مدهش، فقد التمعت عينا الرجل الغريب وظهرت ابتسامة خلف شعيرات لحيته النانئة، ثم هرول في اتجاه مخزن الغلّة." واضافت مقعداً الى المائدة وخبزت فطيرة بالتفّاح على عجل. لم يتكلم الغريب كثيراً خلال الغداء، لكنه غادرهما مستقيم الكتفين. قال لي جدّي: "لا شيء يحطّم المرء كفقدانه كرامته."

وبعد مدّة وجيزة، وفيما كان جدّي يصلح محشّة التبن في تخشيبة العدّة، ظهر رجل آخر يرتدي بزّة وفي يده حقيبة مخلّعة وطلب طعاما. فخرج جدّي يلوّح بيديه نافضاً الغبار من حوله، وتطلّع اليه ثم صافحه وقال: "هناك كومة من الحطب عند السياج اريد نقلها الى خلف مخزن الغلّة، ايمكنك ان تقومَ بذلك؟ يسرّنا طبعا ان تبقى للغداء." فوضع الرجل حقيبته على الارض ثم القى سترته فوقها بتأنٍّ وانطلق الى العمل.

تقول جدّتي انها لا تتذكّر كم من الغرباء شاركهما في وجباتهما خلال فترة الإنهيار الاقتصادي وكم مرة نُقلت كومة الحطب من مكانها.

س.هـ.



هل ثمة أمل في حياة طبيعية بعد نوبة قلبية؟

بعد انتهاء العرض التجريبي على ظهور الجياد في متنزه هايد بارك في لندن استعداداً لحفلة افتتاح البرلمان، قفلت عائداً الى مكتبي في مقر اسكوتلنديارد.[١] كان ذلك في الخامسة الا ربعا عصر يوم اثنين رمادي ماطر. وكان الرذاذ يتساقط هادئاً، وقد شعت الأنوار من السيارات ونوافذ المكاتب، ومع ذلك كانت ملابسي مبللة بالعرق. وكنت أتوق الى حمام ساخن وفنجان شاي.

لم يكن عليّ الا أن أطالع بعض الاوراق في مكتبي ثم أتوجه الى حفلة استقبال مسائية في السفارة التركية. لن يستغرق ذلك طويلاً. كنت مرهقاً طوال ذلك النهار في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠، كذلك في اليوم الذي سبقه. وكم تمنيت أن أكون في منزلي متنعماً متكوّماً في فراشي.

فجأة انقضّ عليّ الألم. ثقل رصاصيّ

(١) اسكوتلنديارد شرطة لندن وخصوصاً دائرة التحري فيها.

PHOTOS: THE 649 SERVICE LTD.

ضاغط نزل على كتفي وانساب الى ساعديّ، فاستحوذ عليّ احساس حارق فيْ حلقي. ناديت سائق سيارتي: "بوب! أسرع بي الى مستشفى سانت توماس."

من حسن حظي كمفوض شرطة أن صفارة إنذار وضوءاً أزرق وامضاً كانا مخبّأين تحسّباً في مقدم سيارتي الـ"جاغوار" السوداء الرسمية. وكان بوب سمولي شرطياً وسائقاً من الطراز الاول. فشغّل الصفارة والضوء معلناً حالة طوارىء. واجتاز زحمة السيارات بمهارة. وما هي إلّا دقائق حتى كنا في قسم الطوارىء في مستشفى سانت توماس.

قال لي سمولي: "إبق هنا يا سيدي المفوض." وهرع يطلب فريق الاسعاف.

عادت بي الذكرى الى عهد شبابي يوم كنت شرطياً أدعى الى التحقيق في حال انهار أحدهم فجأة ومات في الشارع العام. وكم من مرة كنا نُسرع بالمصاب الى المستشفى لنجده وقد فارق الحياة، فأدوّن في دفتر ملحوظاتي: "توفي فور وصوله."

ارتعبت وصممت على الصمود لئلا يُكتب ذلك عني. ورفعت نفسي عن المقعد الخلفي فخامرني شعور غريزي بدائي حضّني على الاستمرار في التحرك. بذلك قاومتُ تلك القوة الغامضة الضاغطة التي نزلت علي.

غمزة عين. في قسم الطوارىء، ادخلني طبيب شاب مهجعاً في غرفة الانعاش حيث أُجريت لي الاسعافات الفورية، وتمّ فحص ضغط الدم وتخطيط القلب لكشف أي خلل في النبض أو تلف في عضل القلب.

ثم صُورتُ بالأشعة السينية (إكس) لمعرفة ما اذا كانت رئتاي ممتلئتين بالماء كما يحصل عادة في حالات الاصابة بنوبة قلبية، أو للتحقق من احتمال إصابتي بعلة سابقة في القلب. وتلقيت حقنة من المورفين لتخفيف الألم في صدري، وأخرى من الستربتوكيناز لتسهيل تحلّل أي جلطة دموية قد تكون تكتلت في شراييني التاجية. كانت الحقنة قوية، فشعرت بالبرد فجأة وأخذت رجلاي ترتجفان بلا توقف.

وبينما كان الممرّض ينزع عني بزة ركوب الخيل ألمّ بي غثيان حاد فهتفت منتصراً: "هوذا سبب علتي! كانت بي تخمة ولا بدّ أني أشكو من سوء الهضم."

غير أن الطبيب الأنيق المجلّل بالشيب الذي انضم الينا هز رأسه بلطف وقال: "لا يسعني أن أوافق علي ذلك أيها المفوض، وعليّ ابلاغك أنك أصبت بنوبة قلبية." ذلك كان البروفسور رونالد برادلي مستشار وحدة العناية المركزة حيث كنت سأُنقل في كرسي ذي عجلات.

في طريقي الى غرفة العناية المركزة التقيت نائبي في اسكوتلنديارد السر جون ديلو الذي أخبرني أن زوجتي قادمة الى المستشفى. فقلت له: "عليك أن ترئس الاجتماع السياسي غداً اذا أبقوني الليلة هنا. فلا أخال أنهم سيسمحون لي الآن بالعودة الى العمل."

في غرفة العناية المركزة أُجري لي تخطيط ثان للقلب. وأولجت قثطرة في عنقي لتسهل على الممرّضين إمدادي بالحقن، وأخرى في شريان كُعبري في معصمي لتبيّن ضغط دمي على شاشة عارضة.

أخيراً نعمت بالهدوء. ولم يكن مرّ أكثر من ساعة على نزولي عن صهوة جوادي "إنكا" في هايد بارك. فجأة أحسست يداً ناعمة على يدي. تلك كانت يد إريس زوجتي. ثم جاء ابني سيمون وابنتي الكبرى إيلين. ركانت سالي صغرى أولادي الثلاثة طالبة تدرس الفن في برمنغهام، وهي في طريقها الينا.

حاوطتني العائلة، فشعرت في كنفها بسلام وغبطة هما أوفى مما يتاح لمن كان في مثل حالي. ولاحظتُ زوجتي وولديَّ يرمقون شاشة مراقبة جهاز التخطيط حيث يسجّل معدل النبض. فجأة نهضوا مذعورين إذ شاهدوا موجات التخطيط وقد ازدادت تسطّحا وغابت الأرقام عن الشاشة.

أخذ جهاز مراقبة التخطيط يرسل انـذارات: "بليت! بليت!" فهـرع المسعفون وعاجلني أحدهم بضربة عنيفة على صدري فيما سمعت الطبيب يحضّه: "تابع! تابع!"

إنها نوبة قلبية ثانية!

كان قلبي مصاباً باختلاج عضلي. وهذه حالة اضطراب تنقبض فيها ألياف القلب جميعها في فترات متفاوتة بدلا من أن تعمل متزامنة في عملية ضخ طبيعي. وفي بعض الاحيان، من شأن ضربة قوية على الصدر أن تعيد القلب الى نبضه المنتظم. إنما ليس الآن!

حُقنتُ أدوية مسكّنة للألم. ثم حمل أحد الاطباء قطبَي الجهاز المانع للاختلاج فوق جانبي قلبي، وأطلق صدمة كهربائية بقوة ٤٠٠٠ فولط ففكّت الاستقطاب الكهربائي دفعة واحدة عن كل الالياف، فعاد انقباضها منسجماً وعاد قلبي الى نبضه الطبيعي المنتظم.

استغرق تنفيذ هذا العمل المدروس أقل من دقيقة. وفيما ابتعدت زوجتي نحو الباب شاهدت الخوف متجلياً في عينيها. فأردت طمأنتها الى أن كل شيء سيكون على ما يرام. أردت أن أقول لها إني أحبها. ولما كنت عاجزاً عن الحراك فقد عبّرت لها عن ذلك بغمزة من عيني.

ذلك المساء اتصل البروفسور برادلي من منزله مؤكّداً لي أن كل شيء مضبوط جيداً. لكن إريس بقيت في المستشفى حتى الرابعة صباحاً.

صراع البقاء. في اليوم التالي، بعد البحث في شؤون الشرطة الملحة مع السر جون ديلو وسكرتيري الخاص، كرّست جهدي لأتعافى. أصغيت الى كل ما يجري حولي، مراقباً، وَجِلاً، مركّزاً طاقتي على البقاء حيا في الثواني والدقائق والساعات المتوالية. وبعد أسبوع أُبلغ الي أن في امكاني مغادرة غرفة العناية المركزة.

شعرت بفرح عظيم. لكني في الوقت

ذاته خشيت التخلي عن كل تلك الادوات والآلات التي كانت معي في رفقة دائمة. فطمأنتني احدى الممرضات: "لا تجزع، ولا تخش حصول أي خطأ، فنحن هنا، وستظل عيوننا عليك."

نُقلت الى غرفة في الجانب الآخر من المستشفى حيث نعمت بمنظر رائع لساعة "بيغ بن"[٢] ومبنى اسكوتلنديارد القديم الذي يضم حاليا مكاتب أعضاء البرلمان. وكنت عملت هناك من العام ١٩٥٦ الى العام ١٩٦٧، وعدت عام ١٩٨٥ برتبة نائب مفوض الى المكاتب الجديدة لشرطة العاصمة في شارع فكتوريا. وها قد بلغت الآن منتصف فترة السنوات الخمس المعيّنة لي كمفوض. ترى، هل ستُتاح لي العودة الى ممارسة نشاطي الفعلي في جهاز الشرطة؟ وهل ثمة حياة بعد نوبة قلبية؟

الواقع أني فكّرت في سجل عائلتي فغمرتني الكآبة لأني لم أجد فيه ما يشجعني. فوالدي أصيب بنوبة قلبية وهو في السنّ السابعة والخمسين، أي في سني، وتوفي بعد سبع سنوات. إلّا أنني منذ مدة أحافظ على ضغط دمي مضبوطاً بتناول أقراص دواء خاصة، وأتبع نظام حمية بغية خفض وزني نحو خمسة كيلوغرامات، وأخضع لعناية طبية متقدمة جداً بالمقارنة مع الخدمات الطبية التي كانت متوافرة في عهد والدي.

قال لي البروفسور برادلي: "لا تفرط الآن في رسم الخطط المستقبلية. إستكن، الوقت يساعدك على تحقيقها."

حكم بالجراحة. كان هدفي المباشر بعد ثلاثة أسابيع في المستشفى أن أتعافى تماماً. فمارست رياضة المشي بالقرب من منزلنا. وسار كل شيء على ما يرام، الى أن استيقظت ذات ليلة في الثانية فجراً، فسمعت حشرجة غريبة صادرة عني: "كليك! كليك! كليك!" كانت العلّة في جهاز تنفّسي. فبصقت دماً.

نقلت من جديد في سيارة إسعاف الى مستشفى سانت توماس. فبقيت مضطجعاً لشعوري بأني على وشك الاغماء. وارتعبت اذ أحسست أنني أفقد وعيي. ثم اشتدّ وهني في غرفة الطوارىء حيث راح النور يتلاشى أمام عيني. فهل تأتي ساعة الموت على هذه الصورة؟ الموت ينسلّ وئيداً فيتغلغل في الجسم هادئاً كأنه قوة طاغية تلقى الترحيب.

أفرطت في تخيلاتي. وحين استيقظت في التاسعة صباحا طمأنني البروفسور برادلي: "لا، هذه لم تكن نوبة قلبية أخرى، بل ربما أفرطت في التمرين مما سبب ضغطاً زائداً على القلب والرئتين. ولن تلبث الأدوية والراحة أن تحل المشكلة."

أُجريت لي الفحوص التي كانت مقررة في يناير (كانون الثاني). وعدت الى العالم الرائع، عالم التكنولوجيا الطبية العالية. كان الفحص الأهم، في الواقع، تصوير الأوعية التاجية[٣] الذي أجراه

(٢) Big Ben ساعة شهيرة في برج مبنى البرلمان في لندن، سميت كذلك تيمنا بمفوض الاشغال البريطاني الراحل السر بنجامين هول.
(٣) Coronary angiogram

طبيب القلب الهادىء والمطمئن الدكتور مايكل ويب ببلو المسؤول عن حالتي.

لم يكن الفحص مريحاً ولا سهلا. فقد أُولجت في أحد شرايين أربيتي (أصل الفخذ) قثطرة (ميل) تمّ دفعها وصولا الى الشرايين التاجية. ثم حُقن في القثطرة صبغ خاص أظهر على صور الأشعة السينية أن إحدى شعب الشريان التاجي الأيسر منسدّة كليا تقريبا.

ذلك كان سبب النوبتين اللتين نُكبت بهما. كان الانسداد كثيفا وقاسيا تتعذر إزالته بواسطة البالون،[٤] وهذه تقنية يُنفخ فيها بالون في طرف القثطرة لتوسيع الشريان في مكان الانسداد. فاقتضى اللجوء الى جراحة مجازية.[٥]

تنبيهات مشجعة. في ٢١ يناير (كانون الثاني) عدت الى مستشفى سانت توماس. وفي الثامنة من صباح اليوم التالي أُدخلت غرفة العمليات حيث بقيت ساعتين ونصف ساعة تحت مبضع الجراح. بادىء الامر، عمد الجراحون، في اشراف جرّاح القلب غراهام فن، الى شق عظم الصدر للوصول الى الغلاف الليفي الذي يحتوي على القلب والى الشريان الثديّ الداخلي الأيسر الذي يمدّ بالدم جزءاً من جدار الصدر.

ثم وصلوا دورتي الدموية بآلة تقوم مقام القلب والرئتين، فتضخ الدم وتمدّه بالاوكسيجين. ووصلوا الشريان الثديّ الداخلي بالشريان المنسدّ في قلبي. وبذلك يتوفر إمداد جديد من الدم للجهة المعطوبة. تمت العملية من غير أن تحصل مشاكل ولا مضاعفات.

وأُعدت الى غرفتي قبل الحادية عشرة صباحاً. وأفقت على صوت إحدى الممرضات تكلم زوجتي. فناديت الممرضة: "قولي لزوجتي إني بخير وإني أحبها." وغمرني شعور رائع بالحيوية... وبألم ممزّق.

أفقت لاحقاً من نوم عميق، فرأيت إريس وابنتي الكبرى إيلين الى جانب سريري. قلت لهما: "لن يُسمح لكما بالبقاء حتى انتهاء الجراحة." فذكّرتاني بلطف بأن الجراحة تمت.

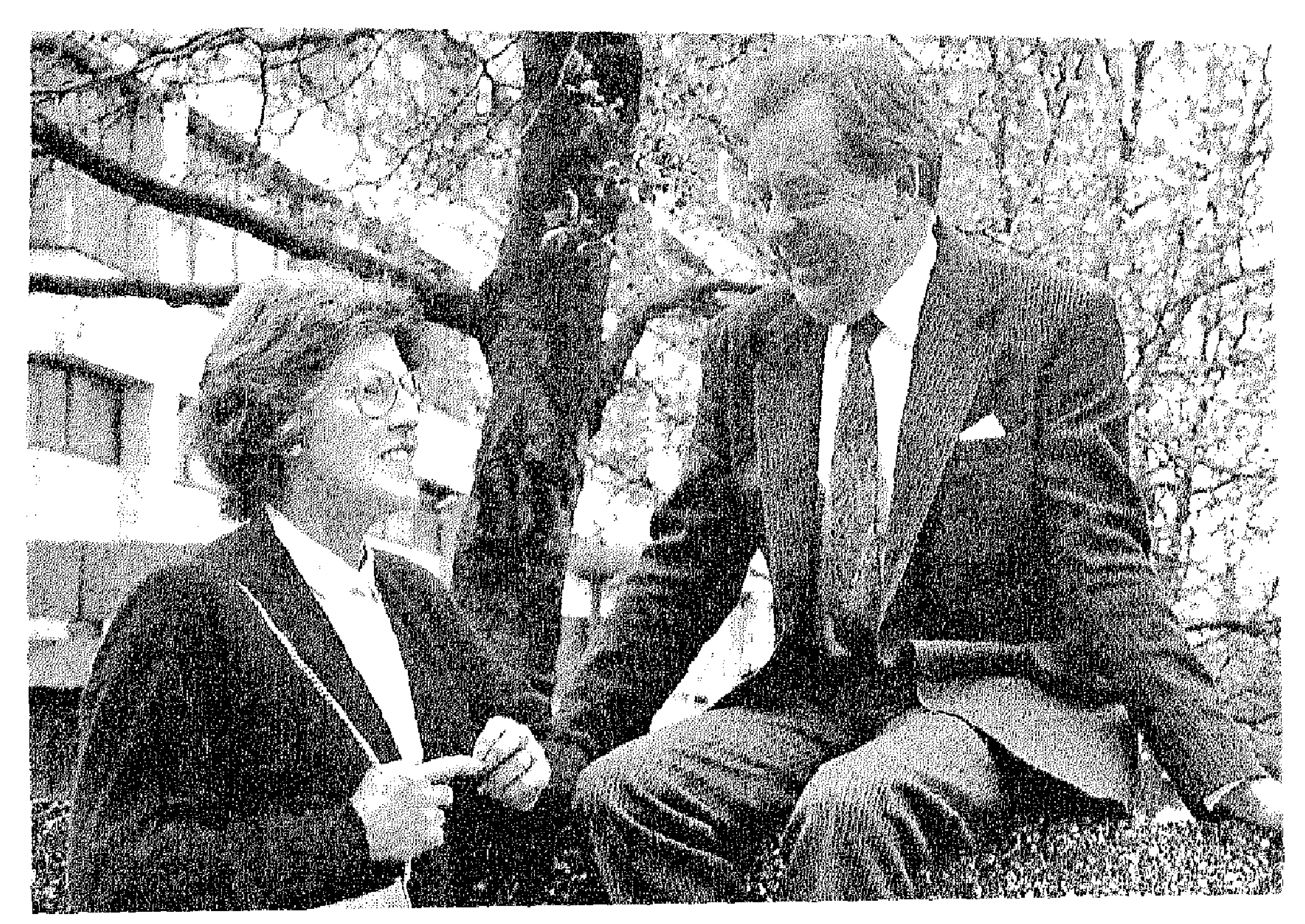
عندئذ تذكرت جيداً ما حصل، وهممت بالسعال، لكني خشيت تقطع الأسلاك التي تشدّ عظم صدري. ومرّت أسابيع وأنا أحس ألماً عضليا في صدري وعنقي وظهري وساعديّ فيما كان العظم يشفى ببطء.

ساعدتني تنبيهات هيئة الاطباء على تفهم تقلبات المزاج التي ترافق الجراحات الكبرى. فمن شعور بالحيوية والأمل الى إحساس بالخيبة والاحباط. وأرتني إحدى الممرضات صوراً لمرضى مروا قبلي في وحدة العناية المركزة. كان بعضهم يلعب الكريكيت والغولف وبعضهم يشترك في سباق ماراثون. إلاّ أن أياً منهم لم يرجع الى وظيفته مفوضاً لشرطة العاصمة. فهل أعود أنا؟

---

(٤) Angioplasty

(٥) Coronary bypass . وهي ما يعرف بجراحة "القلب المفتوح."



السر بيتر إمبرت وزوجته الليدي إريس في صورة حديثة.

كنت أمارس تمرين المشي بانتظام على آلة في المنزل، فأمشي بين خمسة كيلومترات وثمانية من دون انقطاع. وكلما زادت التمارين من قوتي ازدادت رغبتي في تحقيق طموحي. وقيل لي في المستشفى إن القصد من إجراء الجراحة المجازية ليس دفع ستة آلاف جنيه استرليني (نحو ١١ ألف دولار) والتسمّر بقية الحياة في كرسي ذي عجلات، وانما القصد أن يعود المرضى الى أعمالهم التي كانوا يزاولونها قبل الجراحة. وتظهر الدراسات أن ما بين ٧٥ و٨٠ في المئة من المرضى الذين يخضعون لجراحة في القلب يرجعون الى أعمالهم. ولم يعد ثمة سبب يجعل إصابتي بنوبة قلبية ثانية أكثر احتمالا من اصابة أي رجل آخر في مثل عمري. ولكن، ماذا عن الإجهاد؟

أجاب البروفسور برادلي: "في الواقع، بعض الذين يتعاطون أعمالا تتطلب دقة وعناية فائقة يصابون بمرض في القلب. كما يصاب به أشخاص لا يحرّكون ساكنا. وبعض الناس تتحسّن حالهم تحت وطأة الاجهاد."

كنوز حقيقية. بعد فحص طبي نهائي أجري لي بناء على طلب وزير الداخلية، وهو رئيسي المباشر، عدت مبتهجاً الى عملي في اسكوتلنديارد. وكانت عودتي في ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٩١ بعد ستة أشهر تماما على إصابتي بالنوبة القلبية.

وما لبثت مشاكل الشرطة أن تراكمت على مكتبي، جرائم وعنف وإرهاب وإنذارات بتفجير قنابل وجرائم احتيال. ولكن، مهما يكن، فان عودتي الى فريق النخبة بعد معاناتي القاسية هي في ذاتها إنجاز رائع.

وعملا بنصيحة الدكتور نورمن جونز، الطبيب المستشار لدى شرطة العاصمة، غيّرت نمط حياتي. فخفضت ساعات عملي بعدما كنت أعمل ست عشرة ساعة يومياً، وفوضت كثيراً من مسؤولياتي الى معاونيّ. وبتّ أعمق ادراكاً لواقع الحياة، فصرت أعرف كم هي عزيزة وكم يتعلّق بقاؤها على ذلك الخيط الرفيع.

والآن، حين أجتمع بأحفادي الثلاثة، أحس أنهم الكنوز الحقيقية في العالم.

وعلاوة على إصغائي الى نصائح زوجتي إريس، عليّ أن أصغي أيضاً الى ابني سيمون الذي يمطرني – الى حد الازعاج – بأسئلته عن ساعات عملي وماهيته، ويحذّرني من مغبة الافراط في الجهد الذي يخشى منه عليّ، ويقول لي بكياسة: "الآباء والأجداد الطيّبون نادرون، وليس في نيّتنا أن نفقد مَن لنا."

فأردّ مؤكداً بثقة: "ليس في نيتي أنا أيضا الارتحال الى أي مكان. على الأقل، ليس في وقت قريب."

السر بيتر إمبرت ■

الكاتب مفوض شرطة لندن.



اقتصاد قروي

دار الحديث خلال احد اللقاءات القرويّة حول اسعار القمح والمواشي، فقال احد المزارعين: "مما لا شكّ فيه ان اسعار الحنطة لم تتغيّر ابداً." فنظر الحضور اليه مدهوشين، فاضاف: "عام ١٩٦٥، بعتُ غلّتي من الحنطة واشتريت بثمنها شاحنة جديدة من طراز العام ١٩٦٥، وهذه السنة، ايضا، بعتُ غلّتي من الحنطة واشتريتُ بثمنها شاحنة من طراز العام ١٩٦٥."

ل.ر.

عرس "البنيّة"

مع اقتراب موعد زفاف ابنتنا ليلى، وجدتُ وزوجي صعوبة في تامين النفقات اللازمة للعرس خصوصا بعدما تلكا زبائن مخزننا في دفع الديون المترتّبة عليهم. وفي النهاية قرّرت ليلى ان تحضّر الفواتير بنفسها وتبعث بها اليهم. فبدات الشيكات تردنا كالسيل وسدّد كل الزبائن فواتيرهم. وحين دقّقنا في احدى هذه الفواتير وجدنا ان ابنتنا قد اضافت في نهاية الصفحة العبارة الآتية:

"الرجاء ان تدفعوا بسرعة حتى يتمكن والداي من دفع مصاريف عرسي.

ليلى."

ب.ب.



المغامرة

ماذا نطلب من الحياة اكثر من العلم والحرية والجمال والمغامرة؟ الطيران يقرن كل هذه العناصر التي احبّ. فالعلم يتجسّد في كل ثنية معدن، في كل دعامة وكل عجلة، في الهندسة الفنّية وفي لون اللهب الذي ينفثه المحرّك. والحرية هي الآفاق الشاسعة ورحابة السهول حيث نحط. والجمال هو الاطار الأرضي السماوي الذي يحوط الطيار حين يحلّق كالعصافير فوق رؤوس الاشجار ويقفز فوق الوهاد والأنهار ويسبر الوديان الممتلئة غيوماً التي عرفها صغيراً. والمغامرة تحملها الينا كل هبّة ريح.

تشارلز ليندبرغ

الصواب والخطأ

نمضي حيّزاً كبيراً من حياتنا نحاول جاهدين اقناع ذواتنا، فضلاً عن الآخرين، بان سعة مداركنا هي اكبر بكثير مما هي حقاً. ويمكننا، متى قبلنا جهلنا واقررنا به، ان نقف في مكتبة وننظر الى رفوف الكتب العظيمة متطاولة حتى السقف، ونحترم اكثر حينئذ الحكمة المجتمعة على مرّ العصور ونفهم في الوقت نفسه ان هذه الكتب عينها هي ايضاً الجنون المجتمع على مرّ العصور. لا احد معصوماً عن الخطأ. ولا غضاضة في ذلك، اذ لا يستطيع احد ان يَخْبر كل شيء. حتى في حقل خبرتكم، فكلما تعمقتم في دراستكم، كلّما ادركتم الأكثر عن القليل القليل، لكنكم في الوقت عينه، تعرفون الاقلّ عن الكثير الكثير.

تشارلز اسغود

الثقة

انظروا الى العلاقات الناجحة، ترون انها مبنيّة بين اصدقاء طيبين يعاملون بعضهم بعضاً باحترام ويتشاركون في القيم ذاتها ويثقون ببعضهم البعض. الثقة هي الاساس ولا احساس بالامان من دونها. والاحساس بالامان يجعل الشخص مرهفاً، حساساً لأدنى جرح وهذا ما يجعل علاقاته حميمة اكثر.

لوني بارباش

الصحافة

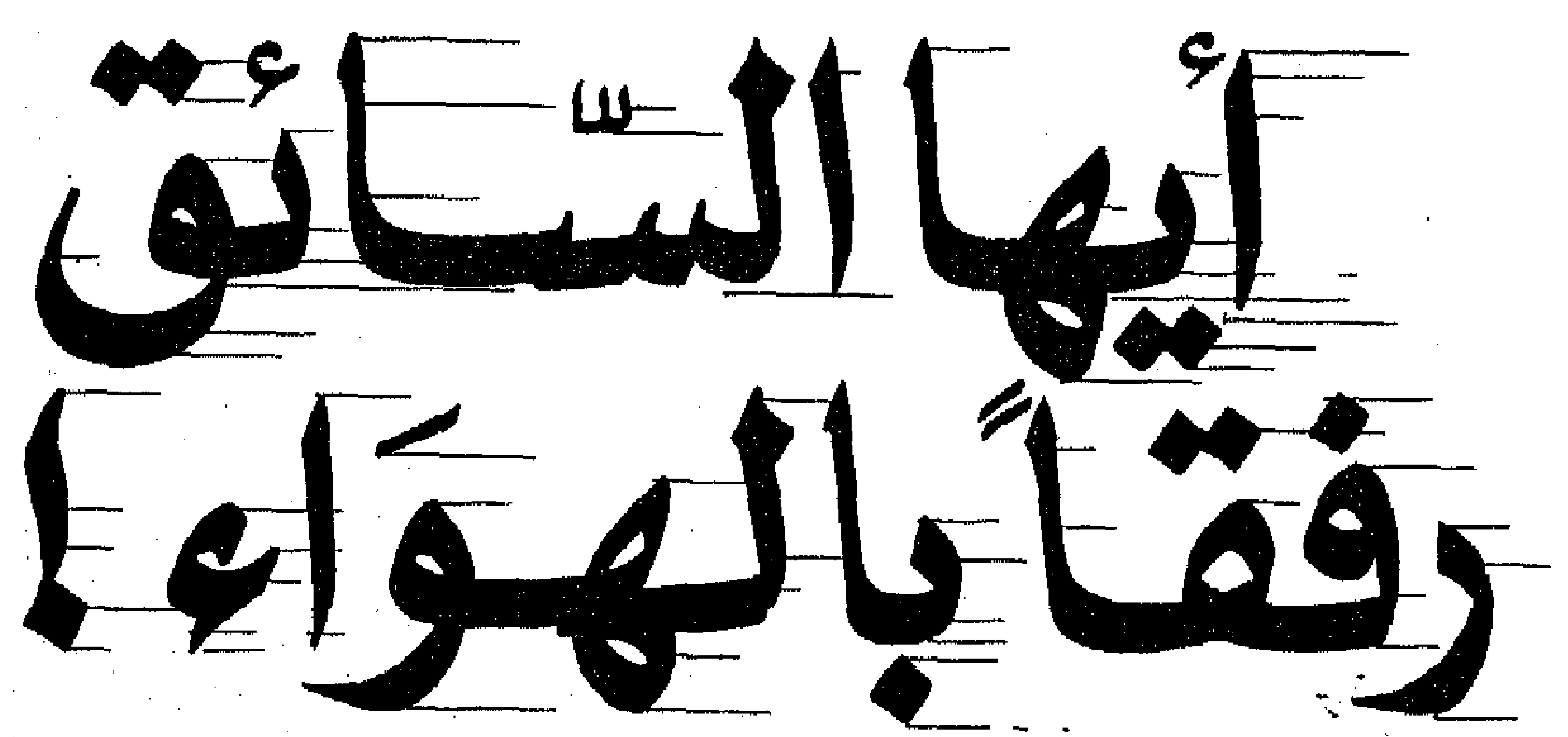
لمهنة الصحافة ميزة كبرى، فهي تمنح ممارسيها حسا فائقا يتيح لهم التعرف الى التهريج المبتذل الذي تقوم به السلطة واولئك الذين يسعون اليها او يمارسونها.

مالكولم ماغريدج - صحافي وناقد بريطاني

حيث الناس للناس

اذا لم يدرك احد حقيقة المشاكل التي عانيتَها، فمن الجلي انك لا تعيش في بلدة صغيرة.

جويس ستال



هل أنت من أصدقاء البيئة أم من أعدائها؟ قيادتك تكشف حقيقتك

السيارات هي ملوِّثات الهواء الرئيسية في عصرنا. ففي كل يوم تنفث السيارات السياحية والشاحنات والحافلات ألوف الاطنان من الملوثات التي تحوي أكثر من نصف كمية أول أوكسيد الكربون ونحو ثلث كمية أوكسيد النيتروجين والهيدروكربون في الهواء الذي نتنشقه.

وكنا حققنا تقدماً في العقدين المنصرمين، إذ أصبح احتراق وقود السيارات أكثر فاعلية، وانخفض نفث الغازات بنسبة كبيرة، وبات الوقود أنظف وأنقى. إلا أن الافادة من هذه التحسينات تظل رهن التزامك أنت العناية بسيارتك.

حين يُطرح موضوع تأثير السيارات في البيئة، يعتقد معظم الناس أن ليس في امكانهم عمل أي شيء، وأن معالجة المشكلة هي مسؤولية الحكومة ومصانع السيارات وشركات النفط والوقود. ولكن ليس ثمة ما هو أكثر خطأ من هذا الموقف. ففي امكان كل واحد منا أن يفعل شيئاً مفيداً لدى قيادته سيارته، اذ يكفي أن نحرص على صيانة سياراتنا وأن نقودها بفاعلية.

تعمل السيارة الجديدة وفق مقاييس مثلى للنفث والضبط. ومسؤولية الحفاظ عليها لتفي بهذه المقاييس تقع أولا على صاحبها. وهنا بعض المعلومات التي تساعدك في المحافظة على "نظافة" سيارتك.

■ **إبحث عن التسرّب.**

معظم مواقف السيارات بؤر للزيوت المعدنية والسوائل الراشحة، مما يدل على عدم اكتراثنا وعنايتنا بسياراتنا. ونحن غافلون عن ملايين الليترات المهدرة التي ترشح من سياراتنا وتتبخر في الهواء.

إفحص طريق منزلك كل يوم. واذا

CONDENSED FROM «CAR TIPS FOR CLEAN AIR,» © 1991 BY ROBERT SIKORSKY, PUBLISHED BY PERIGEE BOOKS, A DIVISION OF G.P. PUTNAM'S SONS, N.Y.

وجدت تسربا، أصلح الثقوب التي تتسرب منها السوائل قبل أن يتفاقم الامر فتصبح العملية مكلفة. وتسربات الوقود هي الاكثر إضراراً بالهواء، لذا تنبغي معالجتها على الفور.

■ تفحص أنبوب العادم.

اذا أردت التأكد من سلامة محرك سيارتك، أدر إصبعك داخل أنبوب العادم. ففي الحالات المثلى، تكسو الاصبع طبقة خفيفة من مسحوق بني ضارب الى الرمادي. واذا تبيّن لك لون آخر، فقد يكون ثمة عطل في المحرك أو ضوابط النفث او المحوّل الحفّاز.[1]

■ أبقِ إطاراتك منفوخة جيداً.

إن نفخ هواء في الاطارات هو خدمة جُلّى للهواء خارجها. فالاطارات المنفوخة بحسب المعايير الصحيحة تخفّف مصروف الوقود وتقلل التلوث. ويجب فحص ضغط الهواء في الاطارات مرة على الاقل كل أسبوعين على أن تكون الاطارات باردة.

■ إعتنِ بمكيف الهواء اذا كانت سيارتك مكيّفة.

مكيفات الهواء في السيارات هي المصدر الرئيسي لتسرب غاز الفريون (كلوروفلوروكربون).

لذا يتعين أن يكون المكيف محكم السد. والوقاية الفضلى من التسرّب هي صيانة المكيف سنوياً، أي تفكيكه وإصلاح ما قد يبرز فيه من أعطال. وفي الشتاء، شغّل مكيّف الهواء لأن ذلك يساعد في إبقاء الأختام مزيتة فتحول دون تسرب غاز الفريون.

■ تفحّص شرّاقة الهواء.[2]

ينجم خطر رئيسي من الشراقة (المخنقة) الآلية التي تدفع مزيجا سخيا من الوقود الى المحرك، فتخرج مقادير غير محترقة من الهيدروكربون عبر أنبوب العادم.

اذا أُعدت الشراقة بحيث تدخل مزيجاً ضئيلا، فلن يدخل المحرك البارد مقدار كاف من الوقود، ولن يدور المحرك إلا بصعوبة.

واذا أُعدت الشراقة لمزيج غني، طالت فترة انغلاقها وفاض الوقود في المحرك واستمر دورانه على هذه الحال حتى بعد أن يحمى. إن ضبط الشراقة هو من اختصاص الميكانيكيين.

■ لا تدع الزيت يحترق.

اذا رأيت دخاناً أزرق أو أبيض ضارباً الى الزرقة خارجا من أنبوب العادم، فذلك دليل على أن سيارتك تحرق الزيت وأنك تتسبب في التلوث. فيتعين عليك فحص المحرك.

■ إفحص أنابيب الهواء.

ثمة أجزاء مهملة تحت غطاء المحرك

(١) Emissions control; catalytic converter

(٢) الشراقة (choke) صِمام لقطع الهواء عن المكربن.

هي أنابيب الهواء الخاصة بالمكربن (الكربوراتور) والبخاخ.[٣]

والأنابيب نوعان: أنابيب الهواء النقي التي تزود المحرك هواء من الخارج حين يكون حامياً، وأنابيب التحمية التي تمدّ المحرك البارد لدى إدارته بهواء مسخّن. وهذان النوعان من الانابيب يشبهان خراطيم ضخمة متغضنة.

تفحص هذه الأنابيب لبضع دقائق وثبّتها اذا وجدتها مرتخية. واذا كانت تالفة فيتعين إبدالها. إنها قليلة الكلفة نسبياً.

▪ إستخدم مصافي نظيفة.

إن مصفاة الهواء الوسخة تجعل المحرك يستهلك مزيداً من الوقود مما يسبّب تلوثاً نحن في غنى عنه. فالمصافي الوسخة أو المنسدّة سبب رئيسي لأداء ضعيف، خصوصاً في السيارات المزودة بخّاخات. أبدل المصافي بعد كل فترة بحسب ارشادات كتيّب الصيانة الخاص بسيارتك.

▪ أبدل الزيت في فترات منتظمة.

إن غيار الزيت أمر ضروري، والافضل أن يكون الزيت المستخدم من النوع الذي يزيد فاعلية الوقود. إتبع في الغيار الجدول الزمني الموصى به في كتيّب الشركة المنتجة، أو اعتمد تغيير الزيت والمصافي مرة على الاقل كلما قطعت مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر أو مرة كل ثلاثة أشهر.

تأكد من أن يكون قضيب قياس الزيت ملامساً قعر الخزان (الكارتير).

▪ كن ملماً بأجهزة ضبط الابخرة التي ينفثها العادم.

كل السيارات المصنوعة بعد العام ١٩٧٥ مجهزة بنوع من أنظمة ضبط نفث الغازات. وعليك أن تكون ملماً بالنظام الموجود في سيارتك.

فمن السهل اجراء فحص عياني تتبيّن فيه الامور الآتية: هل كل الاسلاك مربوطة؟ هل من خراطيم أو أنابيب مرخية؟ هل المصافي وسخة؟ هل الأحزمة متينة وغير تالفة؟ فمهمّ أن تكون ضوابط النفث فاعلة في كل الاوقات. والسيارة يمكن أن تسير وان تعطل اثنان من أجهزة التحسس[٤]، إلا أنها تنفث ملوثات تبلغ عنان السماء. أما السيارة المضبوطة والمعيّرة كما يجب فتنفث حداً أدنى من الابخرة.

▪ إحرص على أن يكون محرك سيارتك مضبوطاً دائماً.

إن المكربنات والبخاخات الوسخة ومصافي الهواء المنسدة والبلاتين وشمعات الاشعال التالفة وجهاز الاشعال المهمل لا تتسبب في هدر الوقود وخفض أداء المحرّك فحسب، بل تتعدى ذلك الى زيادة حجم النفث. لذا يتعين إجراء عملية ضبط وتعيير كاملين للمحرك تشمل فحص

---

(٣) Carburetor and fuel-injection air ducts

(٤) Sensors

أجهزة ضبط التبخر والنفث واصلاحها اذا اقتضى الامر.

■ ثق بحواسك.

إن حواس النظر والشمّ والسمع واللمس قد تنبئك بالكثير. فكلما شممت رائحة غير عادية أو رأيت ثقبا أو سمعت صوتا أو شعرت باهتزاز، كان ثمة خطأ في مكان ما من السيارة. فبادر الى فحص سيارتك للحدّ من الضرر قبل استفحاله.

الى طرق الصيانة التي تحفظ سيارتك في أوج أدائها، ثمة أيضا تقنيات قيادة تتيح تخفيف استهلاك الوقود، مما يوفر المال ويخفض الملوثات. هنا بعض من تلك التقنيات:

■ تجنب ما استطعت ادارة المحرك وهو بارد، وقلل الرحلات القصيرة.

فالمحركات الباردة نكبة على سيارتك وعلى جيبك وعلى الهواء. لا تحرك السيارة حين يكون المحرك بارداً إلا في حالات الاضطرار.

إن إشعال المحرك وهو بارد للذهاب في رحلات قصيرة من ثلاثة كيلومترات أو أقل، قد يخفض معدل الكيلومترات التي تقطعها السيارة بكمية الوقود الى ١٠ في المئة من طاقة المحرك وهو ساخن. فاشعال المحرك البارد والقيادة مسافات قصيرة يؤديان الى نفث ملوثات تزيد على ما يُنفث في كل القيادات الاخرى.

■ تجنب ابقاء المحرك دائراً فيما السيارة متوقفة.

دوران المحرك في اثناء توقف السيارة لا يوصلك الى أي مكان، بل يولّد مقداراً كبيراً من التلوث.

■ إضغط الدّواسة برفق.

ان طريقة ضغطك الدواسة تنعكس في مقدار الغازات الخارجة من العادم. وقد دلّت التجارب على أن الانطلاق السريع قد يحرق وقوداً يزيد ٥٠ في المئة على الاستهلاك في الانطلاق الطبيعي، وبذلك يزداد معدل النفث بنسبة ٥٠ في المئة. تخيَّل أن هناك بيضة نيئة بين الدواسة وقدمك، ودُس برفق بحيث لا تكسرها.

وتخفيف السرعة فجأة قد يتسبب أيضاً في نفث مقادير كبيرة من الغازات. فاذا رفعت قدمك فجأة عن دواسة الوقود فيما السيارة منطلقة بسرعة ١٠٥ كيلومترات في الساعة، فسوف يحصل خواء (فراغ) كبير في المحرك يشفط فائضاً من الوقود. السيارات القديمة تسبب تلوثاً كبيراً لدى تخفيف السرعة فجائيا. ومع أن السيارات الجديدة مزودة أجهزة تخفض مقادير النفث في حال تخفيف السرعة، ففي إمكانك أنت أيضاً المساعدة في ذلك. إرفع قدمك برفق عن الدواسة فتتيح للمحرك وقتا ليعدّل ذاته.

■ قُد سيارتك ضمن "السرعة الاقتصادية."

في المدينة التزم سرعة تراوح بين ٥٠

و٧٠ كيلومتراً في الساعة، فهذه تصرف مقداراً أقل من الوقود وينجم عنها نفث أقل مما لو قُدت بسرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة.

■ إلتزم سرعة ثابتة في قيادتك.

يكون النفث في حده الادنى عندما تسير بسرعة ثابتة هي ١٠٠ كيلومتر في الساعة. أما ترجح السرعة بين ٨٠ كيلومتراً و١٠٥ كيلومترات في الساعة فيولّد مزيداً من الملوثات ويزيد استهلاك الوقود. لا تقترب كثيراً من السيارة التي تتقدمك لأن ذلك يدفعك الى ضغط الكابح والتسريع تكراراً وفقاً لسرعتها.

■ حافظ على زخم السيارة.

إبقاء السيارة متحركة عامل مفيد، لأن استهلاك الوقود في انطلاقة السيارة بعد توقف تام هو أكبر من استهلاكه عندما تنطلق من مسيرة بطيئة. وبتفاديك التوقف التام ما أمكن، تساعد في حفظ الهواء نقياً.

■ أسرع في إقفال فتحة خزان الوقود بعد تعبئته.

تنبعث في الجو مقادير كبيرة من الوقود الذي يتبخر لدى تعبئة خزانات سياراتنا. بعد التعبئة أعد غطاء الخزان سريعا وأقفله باحكام، ففي بضع ثوان تتسرب كميات من بخار البنزين حتى عبر الفتحة الصغيرة.

أبدل حشية غطاء الفتحة اذا وجدتها بالية. ولا تقد سيارتك، وإن لمسافة قصيرة جداً، من دون هذا الغطاء.

■ إملأ الخزان ولكن لا تجعله يفيض.

كلما قللت عدد مرات التعبئة قلّت فرص التبخر. اترك بعض الفراغ في أعلى الخزان تحسباً لتمدد الوقود الى حد الفيض. في كثير من السيارات الجديدة سبل وقاية من فيض الوقود، لكنها غير متوافرة في السيارات القديمة.

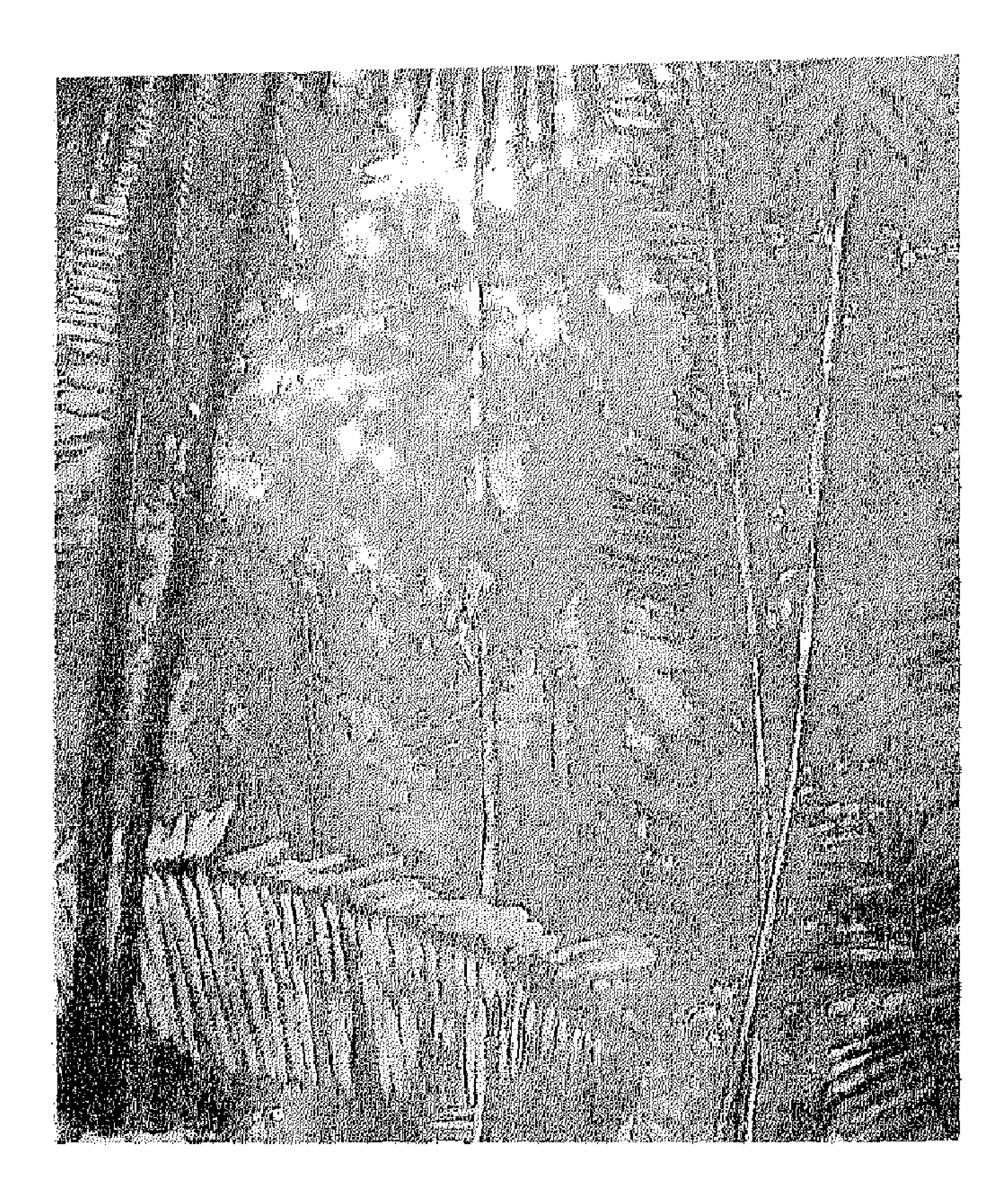
ما إن تتعلم صيانة سيارتك وقيادتها بالسبل الفضلى حتى تصير تلك العادة عندك طبيعة ثانية. إن تنظيف البيئة من القاذورات، والتخلص من النفايات الكيميائية والاشعاعية الخطرة، وغرس الأشجار، هي جميعها اجراءات مفيدة.

إلّا أن اكثر التدابير ايجابية بالنسبة الى البيئة هو اعتناؤك بسيارتك وقيادتك إياها بمسؤولية وانضباط.

روبرت سيكورسكي ■

الرجال رجال قبل أن يكونوا محامين أو أطباء أو تجاراً أو صناعيين. فاذا صنعتم منهم رجالا قادرين وعقلاء، فسيصنعون من أنفسهم محامين أو أطباء أو تجاراً أو صناعيين قادرين وعقلاء.

جون ستيوارت ميل، فيلسوف واقتصادي بريطاني



قصة من واقع الحياة

طبيب في الأدغال

عطلة في افريقيا تحولت صراعاً للبقاء

اشتدت قبضتا الدكتور ليونسيو برافو سلفادور على مقود سيارته إذ انتهت الطريق المعبّدة الى درب وعرة مكسوة بالغبار الأحمر. وبعد اجتياز بضعة كيلومترات اكتنف الطريق غاب استوائي كثيف وظهرت أمامه لافتة كُتب عليها "شلالات بوبارا" وهي الشلالات العظيمة التي كان الدكتور سلفادور وزوجته كلير وولدهما كريستيان (١١ عاما) يقصدون مشاهدتها في نهاية عطلتهم في افريقيا.

كان ذلك يوم الاربعاء في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١. إنه فصل الخريف في وطنهم فرنسا، أما هنا في هذه الزاوية من جنوب شرق الغابون فها هم يتصبّبون عرقاً بفعل حرارة خانقة بلغت ٥٠ درجة مئوية.

وعلى رغم الحرارة الشديدة غمرتهم النشوة وشعروا بالارتياح إذ شارفت رحلتهم نهايتها بعد مسيرة ٣٥ كيلومترا من بلدة فرنسفيل.

كان سلفادور رجلا نحيف البنية قصير القامة ودوداً مولعاً بالتصوير ويكنّ حباً عميقاً لافريقيا. هذا الطبيب المولود في اسبانيا رأى في الغابون، التي كانت في الماضي مستعمرة فرنسية، فردوساً أرضياً.

لدى وصولهم الى نهر أوغويه أوقفوا السيارة قرب محطة لتوليد الكهرباء. ثم، بارشاد أحد الصبية من السكان المحليين، قطعوا جسراً مجدولا من نبتات معترشة صعوداً الى الشلالات المتساقطة من علو ١١ متراً والمتدفقة عبر حافة صخرية يزيد طولها على ٢٠٠ متر. وبالقرب من الشلالات تقوم بلدة بوبارا وفيها أكواخ متفرقة وملجأ سياحي.

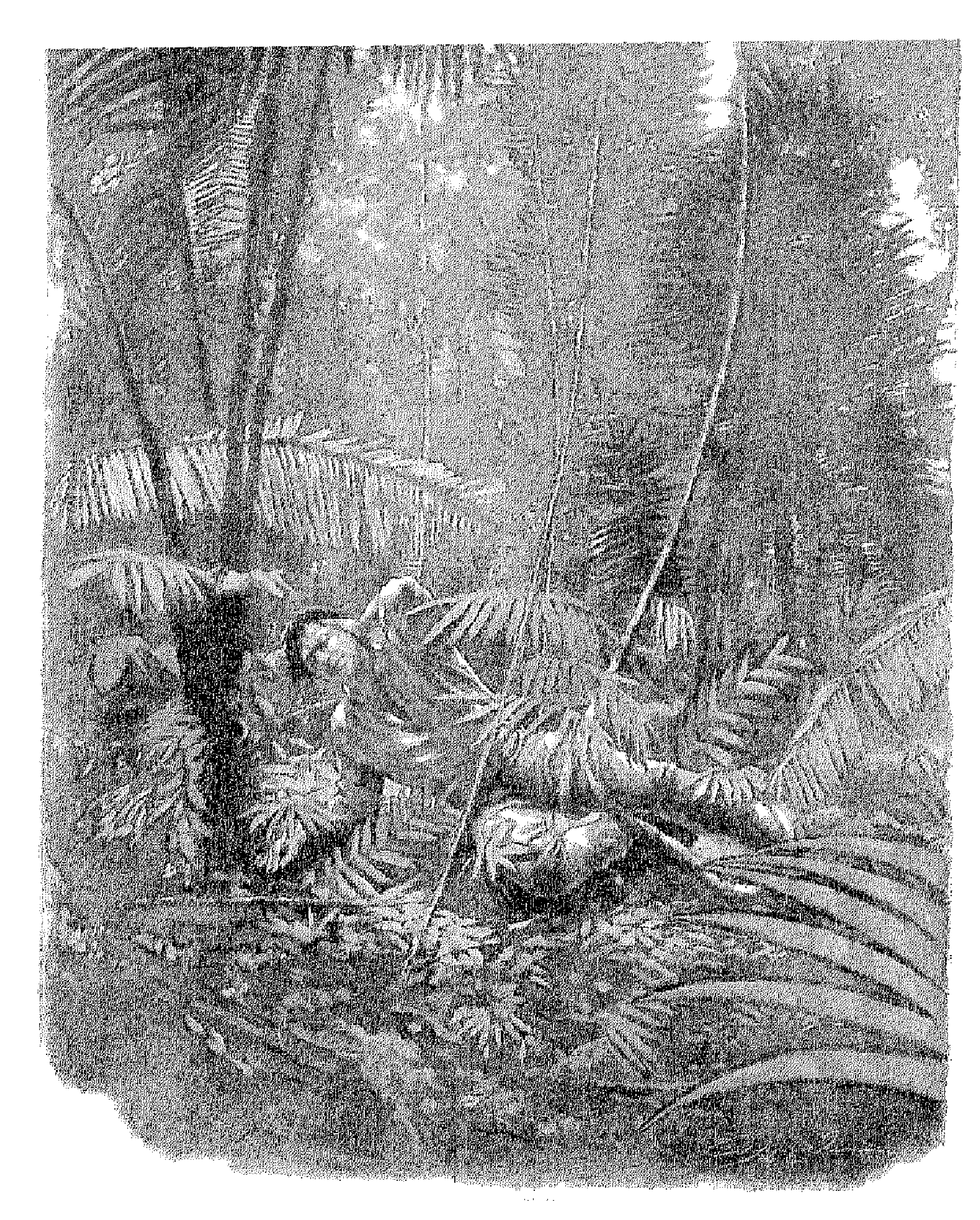
دلّهم الصبي الى الممر الذي يتعيّن عليهم سلوكه عبر الاشجار. وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر، فلاحظ سلفادور أن النور في الغابة ضعيف لا يتيح له التقاط صور. فصمم على الارتقاء الى مكان أعلى وترك عائلته من دون أن يقول لأحد شيئاً. وبينما كان يتلمّس طريقه وسط الدغل الكثيف، شعر فجأة بألم خاطف في رأسه وانهار. لكنه فيما كان يهوي لمح أربعة أقدام سمر وتلقى ضربة ثانية أسقطته مغمى عليه. وتاه في فراغ وظلام.

أين سلفا؟ فكرت كلير، وهي تتبع الصبيين صعوداً في الغابة، أن من عادة زوجها المضي بعيداً في طلب المغامرة، وقدرت أنه سيلاقيهم بعد قليل مختصراً الطريق. لكن سلفادور لم يكن ينتظرهم لدى بلوغهم الشلالات. فارتاعت كلير ونادته، غير أن الشلالات الراعدة طمست كلماتها. وفكرت: أتراه انزلق الى هذه الأعماق؟

على أن ثمة فكرة واحدة شجعت كلير وقوّت عزيمتها النازعة الى الوهن، وهي أنه سبق لزوجها أن جبه الخطر مراراً وتحدى القنابل والرصاص في اقليم بيافرا السوداني حيث كان يعمل جراحاً ميدانياً خلال الحرب الأهلية بين ١٩٦٧ و١٩٧٠، وبقي حياً سالماً. ولدى مجيئه الى الغابون عام ١٩٧٠ كان عليه مكافحة سوء التغذية والامراض الواسعة الانتشار. وفي قرية أوكوندجا شمال فرنسفيل سُلِّم مستوصفاً يفتقر الى الكهرباء والماء والأدوات الصحية، فحوّله وحدة جراحية حسنة التجهيز، ومن خلال عمله تعرّف الى جيروم أوكندا وزير الصحة في الغابون.

نشأت بين سلفادور وأوكندا صداقة متينة في السنوات التي تلت. وكانت تلك أياماً رضية تُوّجت بالحب المشبوب بينه وبين كلير. كانت كلير مهندسة فرنسية أصغر منه بثلاثين عاماً، تعلمت فن التمريض بالممارسة والخبرة رغبة في البقاء الى جانب سلفادور. وعام ١٩٧٧ عادا الى فرنسا حيث تزوجا. وبعد ثلاث سنوات ولد ابنهما كريستيان.

وها هم الآن في الغابون ضيوف على أوكندا الذي كتب الى الزوجين في



عيادتهما الصغيرة في ماندليو جنوب فرنسا رسالة يدعوهما فيها الى قضاء عطلة معه في فرنسفيل، فسارعا الى تلبية دعوته. وكانت الرحلة رائعة كما ترقبا... حتى تلك اللحظة حين وجدت كلير نفسها أمام الشلالات تنادي زوجها هلعة فيضيع صوتها في عباب المياه الهادرة.

أفاق سلفادور فألفى نفسه مبللا. وشعر ببرد وألم في صدره. كانت أذنه اليسرى مشرومة ورأسه متورما. وطغى على مسمعه هدير عال جعله يخشى أن يكون ثمة كسر في جمجمته. كان عاجزاً عن سماع أي صوت آخر. لقد أصيب بالصمم!

غاب سلفادور عن الوعي ثانية، وعندما أفاق اكتشف رهبة واقعه في الضوء الخافت. فالنبتات المعترشة كانت تطوّقه،

واختفت آلة التصوير التي كان يحملها وأُفرغت محفظة جيبه من محتوياتها. إلا أن ساعته بقيت مخبأة تحت ثنية كم قميصه. وكانت عقاربها تشير الى الثامنة صباح الجمعة في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني). لكنه حين رأى كلير وكريستيان للمرة الاخيرة كانت الساعة الرابعة بعد ظهر الاربعاء.

لقد مرت عليه ٤٠ ساعة وهو فاقد الوعي!

تمشيط الغابة. تمالكت كلير نفسها حين نادت زوجها فلم يرد. فتوجهت مع كريستيان الى السيارة علها تجده داخلها، فيما هرع الصبي الغابوني ليطلب النجدة. ثم قصدت كلير الملجأ السياحي حيث لم تجد هاتفاً. وأخيراً ذهبت الى محطة توليد الكهرباء حيث أملت الحصول على مساعدة.

سمح لها مدير المحطة جان كلود هوميز بالاتصال بأوكندا لكي يرسل نجدة. وعلى رغم انحسار ضوء النهار وغزارة المطر، أصرّ أوكندا على تفتيش المنطقة للحال. فاصطحب كلير وكريستيان في سيارته المعدة لجميع أنواع الطرق وقطعوا مسافة ٧٠ كيلومتراً ملتفين في اتجاه فرنسفيل، اذ لم تكن ثمة طريق أخرى للعبور فوق نهر أوغويه.

مرت ساعات وهم ماضون في السيارة التي راحت ترتطم هنا وتنزلق هناك على أرض الريف الوعرة، وعيونهم شاخصة في كل اتجاه علّهم يلمحون شيئاً أبيض في ضوء المصابيح الامامية. وكانت كلير تبتهل: "يا رب، دع سلفا يرى هذه الاضواء. المطر ينهمر بغزارة وسيرتجف في البرد الذي يصل الى العظام."

لكن الظلام الدامس لم يكشف لهم شيئاً.

كانت الساعة تجاوزت منتصف الليل حين عادت كلير وكريستيان مع أوكندا الى فرنسفيل. وكان أوكندا أخطر المسؤولين الأمنيين الذين وعدوا بالمساعدة في اليوم التالي. أما كلير فلم يغمض لها جفن تلك الليلة.

صباح اليوم التالي انضم أوكندا وكريستيان وكلير الى رجال الدرك في محيط الشلالات حيث راحوا يمشطون المنطقة. لكن البحث توقف حين رجعت العاصفة لتضرب المنطقة من جديد. وبعد الظهر أعارهم نادي الطيران المحلي طائرة استطلاع صغيرة. ولكن كيف السبيل الى تبيّن أي شيء تحت غطاء الغابة الكثيف؟ ولما جنّحت الطائرة قريباً من النهر وفوق السهول تصوّرت كلير سعير الحرارة اللاهبة على الأرض تحتها. وفكرت: الى متى يستطيع رجل الصمود في ذلك الجحيم؟

غراء في الفم. حدق سلفادور الى الغابة حوله. كان الالم الناجم عن تمزق أضلاعه والضجيج الصاخب في رأسه عذاباً مبرحاً. لكنه كاد لا يرى شيئاً. فالأشجار الظليلة الباسقة حجبت النور. وارتسمت في مخيلته صور الافاعي

الافريقية السامة التي قد تشبّ عليه في أي لحظة وتلدغه بجرعة سم قاتلة في أقل من ١٥ دقيقة. ولم ينسَ ذباب الـ"تسي تسي" مصاص الدماء الذي يحمل مرض النوم والموت.

مرّ يومان وسلفادور لم يذق طعاماً ولا شراباً. فحاول أن يصرف أفكاره عن الجوع والظمأ ويركزها على كلير وكريستيان وأوكندا. وسيطر عليه شعور بالذنب لما سبّبه لهم من قلق، وفكّر: "انهم في انتظاري الآن. يجب ألاّ استسلم." وصلّى: "يا إلهي، أعطني القوة لكي أجد طريقا للخلاص."

وفيما هو يبحث حوله عن منفذ ما إذا به يحظى بعصا طويلة تركها مهاجموه. ففرح بها وأصبحت له سنداً في صراعه للخلاص من شرك الغاب. وفيما كان يضرب بالعصا ليشق درباً وسط الدغل الكثيف الشائك، تمزق قميصه وسرواله وتجرَّح جسمه. فتذكّر ما يقوله السكان المحليون: "اذا أمسك بك الغاب فلن يرخي قبضته."

عرف سلفادور أن أكل الأوراق أو ثمار العلّيق يعجّل في موته لأنه سيصاب بالديزنطاريا (الزحار) أو بالتهاب غشاء المعدة. وفيما كان يتخبط في مشيته على غير هدى وصل الى فسحة في السهل حيث انكشف له الضوء. وشاهد طائرة فحاول التلويح لها، لكنها انعطفت سريعاً في اتجاه الشمال. كان ذلك في ساعة باكرة من قبل الظهر، وكانت الحرارة خانقة، فأصبح ريقه كالغراء.

كان السبت اليوم الأخير في عطلة آل سلفادور. وقد حُددت تلك الليلة موعداً لعودتهم في الطائرة من ليبرفيل عاصمة الغابون الواقعة على بعد ٤٠٠ كيلومتر. لم يكن سهلا على كلير نسيان العيادة ومدرسة كريستيان. ولكن هل تقوى على مغادرة الغابون ومصير زوجها ما زال غامضاً؟ لذا قررت إلغاء بطاقة السفر والعودة مع أوكندا الى بوبارا حيث انضم ثلاثون عنصراً من رجال الدرك الى فريق البحث.

عيون ضفادع. تطلّع سلفادور الى ساعته، فكانت تشير الى التاسعة صباح السبت في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني). ففكّر: "الليلة موعد سفر كلير وكريستيان الى نيس." كان مخزونه من الشجاعة بدأ يتضاءل. ففي الامس أعاده بحث يائس عن الماء الى الغابة متتبعاً آثار أقدام الفيلة التي قادته الى حفرة ماء. فشرب حتى ارتوى وصمّم على قضاء الليلة هناك يعبّ من الماء ما طاب له، ويخرج في النهار الى السهل المكشوف علّ طائرة عابرة تكشفه، ويسير شمالا في الاتجاه الذي انعطفت فيه الطائرة قبلا الى العالم المتمدّن.

وهكذا اتبع سلفادور نمطاً نموذجيا في ملحمة عودته ومعاناته: في المساء كان يحشو داخل قميصه بالأوراق لتشكيل واقٍ عازل من هبوط درجة الحرارة. ومن شأن الحشوة أيضا أن تمتص سمّ أنياب الافاعي. وحنّط جسمه بالطين متمرغاً فيه

كأنه فرس نهر. وكان الاقزام الذين عالجهم سابقا علّموه هذه الحيلة لاتقاء ذباب الـ"تسي تسي" وبعوض الملاريا. أما الخطر الأكبر فتمثل في ذباب صغير أسود يندفع داخل الأنف والفم والأذنين حاملا طفيليات قد تسبب العمى. لذا لجأ سلفادور الى حيلة أخرى تعلّمها من الاقزام حيث يمسك بفمه نبتة سرخس (خنشار) كبيرة يغطي بها وجهه كحجاب، فيما يضع أوراقاً أصغر حجماً في أذنيه كأنه يحشوهما بالقطن.

وقدر سلفادور أن عليه أن يشرب ثلاثة ليترات من الماء كل ليلة. فحفر الى جانب فراشه الطيني حوضاً صغيراً ليمتلىء بماء المطر.

ليلة الجمعة، انحنى ليشرب، فاذا به يرى جداراً من أنوار زرق. كان ذلك سرباً من ضفادع الطين الكبيرة وقد انتشرت حول الحوض وهي تحدق اليه بعيون حادة تلتمع في الظلام. لم يكن في امكانه الّا أن يتصوّر نقيقها، لأنه فقد سمعه.

نهار الاحد ضاقت كلير ذرعا بخيبات فرق البحث. ولم تكن راغبة في الاتصال بالعيادة في فرنسا لأن ذلك اعتراف بأن سلفادور قد مات. ولكن كيف السبيل الى الغاء مواعيد المرضى؟ قال لها كريستيان: "لا تبكي يا ماما." لكنها عجزت عن كبت أساها.

آمال زائلة. الخامسة صباح ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) استيقظ سلفادور على دغدغة دافئة ونسيم عليل، فأدرك قبل أن يفتح عينيه أن ثمة فيلا يتفحصه بخرطومه وأن النسيم العليل ليس سوى الهواء الذي تحركه أذنا الفيل الكبيرتان كمروحتين. وما إن همَّ بالنهوض حتى ولى الفيل مذعوراً. لقد أسعده الحظ، اذ كان ممكنا أن يدوسه الفيل فيسحقه.

خرج سلفادور من الدغل الى السهل الفسيح ليصحح وجهته ثانية، فوقع نظره على شجرة أكاسيا فقصدها علّه يجد بعض الراحة في ظلها. لكنه عندما بلغها شاهد آثار أقدام اتضح له أنها آثار قدميه هو. فقد كان يسير دائرياً في حلقة مقفلة. قال في نفسه: "عليّ ألّا أكون انهزامياً. يجب أن أستمر في الكفاح." فالتقط عكازه ومشى مجهداً في اتجاه الشمال، مدركا في قرارة نفسه أنه لن يستطيع الاستمرار طويلا، لا جسدياً ولا عقلياً.

بزغ فجر الاربعاء فيما كان سلفادور غارقاً في نومه. وشعر بلسان يلحسه، فمدّ يده فلامست خطماً مكسواً بالشعر، وسمع شخيراً هائلا، فقفز مرتاعاً ليشاهد خنزيراً برياً يعدو هاربا وهو يطلق صراخا طويلا حاداً. سمع سلفادور صراخه ففكر: "انني أسمع! الحمد لله. يا رب، لا تدع أوكندا وكلير ييأسان ويوقفان البحث عني."

في ساعة مبكرة من ذلك الصباح تراءى له أنه كشف موقعا جديدا في مكان بعيد وراء الغابة. فهل كانت عيناه تخدعانه؟ أدرك تدريجاً ان تلك مزرعة صنوبر يستثمر شجرها في صناعة عيدان

الثقاب. فابتهج وهتف: "المدنية!" لكن الليل أطبق واكتنفته ظلمة الغاب الموحشة قبل بلوغه المزرعة.

في تلك الليلة انحبس المطر واشتد ظمأ سلفادور حتى كاد يُجنّ. وزاد في عذابه إدراكه أن خلاصه، وإن بدا محتملا جداً، ما زال بعيداً.

تلاشى أمل كلير في العثور على زوجها، فطارت الى ليبرفيل لطلب مزيد من المساعدة. وكانت اللامبالاة وبلادة الاجراءات البيروقراطية تزيدان من كربها.

ثم اتصلت بها السلطات الطبية في نيس طالبة منها العودة لتنظيم شؤون العيادة. لذا أقنعها أوكندا بالعودة مع كريستيان واعداً اياها بأن يهتم بالأمر شخصياً الى أن تعود.

كانت الساعة ١١،٣٠ ليل الاربعاء موعد إقلاع الطائرة من ليبرفيل، لكنه أرجىء أربعاً وعشرين ساعة بسبب إضراب طارىء. في تلك الليلة نامت كلير منهكة وعيناها مخضلّتان بالدموع.

"أنا سلفادور!" بزغ فجر اليوم الثامن، الخميس في ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، واستيقظ سلفادور في الخامسة صباحا فشعر بجفاف شديد في فمه وظمأ قاتل كاد يدفعه الى الهذيان. ثم ألفى نفسه عالقاً في أخدود لا يبعد عن مزرعة الشجر سوى أمتار قليلة. وفي الثامنة صباحا أيقن أنه سمع أصوات سيارات.

فتشجع وحاول تسلّق الأخدود ست مرات فأخفق. أخيراً تمكّن من رفع جسمه نصف المسافة وحشر نفسه بين النبتات المعترشة. الا أنه لما حاول متابعة تسلّقه رأى أن النبتات المتشابكة تسدّ طريقه. فقال في نفسه: "هذه هي النهاية. فهنا سيكون مثواي."

واذا به يسمع أصواتاً، فصاح: "من هناك؟"

ساد سكون في الغابة، ثم صاح ثانية: "هل هناك أحد؟ أنا سلفادور!"

– إنه الدكتور سلفادور! تعال الى هنا. تسلّق.

"لا أستطيع."

– اذاً تابع صياحك وسنتبع صوتك.

أدرك سلفادور أن الرجال يشقون طريقهم اليه بين النباتات الشائكة الضخمة التي كان يسمع هسهسة نصالها وهي تقترب منه، ثم شاهدها تلتمع في نور الشمس. وبرز رجلان غابونيان ضخما البنية من طوق الدغل الذي كان يكبّله. كانا يلهثان ويتصبّبان عرقاً.

قال سلفادور في نفسه: "الحمد لله." وهتف فرحاً.

أما الرجلان فتجمدا منشدهين وهما يحدقان الى الشبح الواقف أمامهما والمغلّف بالطين من رأسه حتى أخمص قدميه.

رفعاه من الأخدود وساعداه في المشي قرابة خمسة كيلومترات الى طريق معبّدة، ثم انطلقوا في سيارة عابرة الى

فرنسفيل الواقعة على بعد ١٥ كيلومتراً. وهناك أعطي بعضاً من فاكهة المانغو فأخذ يمتص عصارتها بنهم وهو الذي لم يذق طعاماً منذ ثمانية أيام.

كان سلفادور ابتعد عشرة كيلومترات عن شلالات بوبارا. وهو أدهش الأطباء الذين عادوه في المستشفى في فرنسفيل، اذ كان فقد عشرة كيلوغرامات من وزنه وأصيب بضعف في سمع أذنه اليسرى كما كان يعاني كسراً في اثنين من ضلوعه. وغطت الجروح والرضوض وجهه ويديه وساعديه ومقدّم ساقيه. ولكن اتضح أن الطين الذي كسا به جسمه كان فاعلا في تخفيف معاناته والتعجيل في شفائه. وقال الجميع إن بقاءه حياً يشبه معجزة.

الحادية عشرة قبل ظهر الخميس رن جرس الهاتف في منزل أوكندا في ليبرفيل. فصاح هذا منفعلا: "كلير؟ إن سلفا حي."

فكادت كلير تطير فرحاً. وأخذت تمطر أوكندا بالأسئلة، فأجابها: "كل ما أعرفه أنه وُجد. أنا ذاهب الآن الى المستشفى لأراه."

أقفلت كلير الخط وأغرقها جميع من كان عندها بالعناق والتهنئة.

في اليوم التالي، في فرنسفيل، اصطحب أوكندا كلير وكريستيان الى جناح سلفادور. كان هذا جالساً مسنداً في سريره، وفي ذراعه أنبوب مصل. وحين رأى زوجته مدّ يديه وقال لها والدموع تنسكب من عينيه: "كلير، سامحيني. كل ما حدث كان خطأ مني." لكنه شعر في تلك اللحظة بأنه أسعد رجل على وجه الأرض.

طوني روكا ■
ترجمة الياس عقل



مكافأة

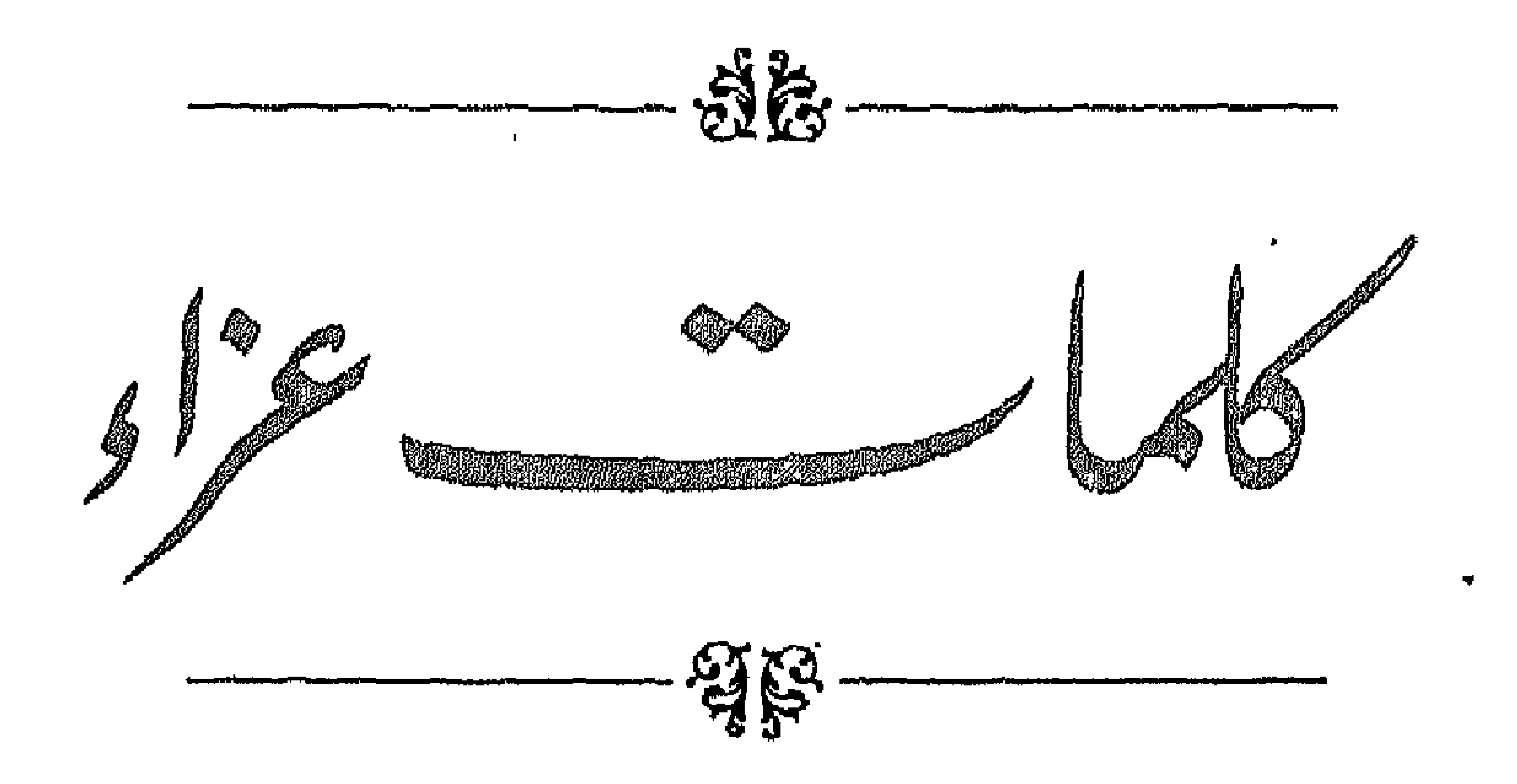
بعدما نجحت السيدة في اقناع ولديها الضجوجين بالهدوء اثناء اقلاع الطائرة، تقدمت المضيفة واعطت كلا منهما كاس عصير ثم التفتت الى الام وقالت: "اختاري اي مشروب يا سيدتي، ويسعدنا أن نقدم اليك كاسين بدلا من واحد."

د.ل.س.

ليس المهم ماذا نعرف وانما من نعرف. لكننا مضطرون الى معرفة "ماذا" لكي ننتقي "من." ولذا نذهب الى المدرسة.

ج.ا.

حضور لطيف ومبادرات بسيطة وكلمات مختارة



وقعت ابنتنا كايت (١٨ عاما) قبل ثلاث سنوات ضحية لما تسميه الشرطة "إطلاق نار عشوائيا." فاستدعينا، أنا وأبوها، الى غرفة الطوارىء في منتصف الليل لنجدها غارقة في غيبوبة لم تفق منها. وفي المساء التالي فارقت الحياة.

ما زلت أذكر بوضوح بعض ما جرى خلال الساعات الأربع والعشرين التي حاولتْ فيها كايت التشبث بالحياة. لكن أكثر ما بقي عالقا في ذهني هو أننا لم نكن وحيدين.

جاء أحد الأصدقاء حاملاً كيسا من قطع النقد المعدنية كيما نستطيع إجراء ما نشاء من المكالمات الهاتفية. وانتظر آخرون أولادنا في المطار لاصطحابهم الى المستشفى لدى عودتهم من رحلة. وفي البيت، تولى أحد الجيران الاعتناء بكلب العائلة.

لم أكن أعرف قبل وفاة ابنتي كيف أتصرف اذا ما واجهتني مأساة. وكنت، لخشيتي التصرف على نحو يزيد الامور سوءا، أنأى جسديا وعاطفيا عن أصدقائي في محنهم، وأكتفي بارسال بطاقات وزهور محدثة نفسي بأنهم يعرفون أني لن أتوانى عن مساعدتهم إذا ما احتاجوا الي. لكن أحداً لم يتصل بي ليعلمني بحاجته.

أما اليوم فبتّ أعرف أن الأشخاص الذين يمرون بأزمة يحتاجون الى من يقف بجانبهم. والقيام بعمل أخرق أفضل من التمنّع عن إتيان أي عمل، اذ غالبا ما تكون أبسط الكلمات هي ألطفها.

هنا بعض نصائح أتمنى لو أُسديت إليّ أيام كان الأسى غريبا عني:

لا تخشوا التطفل. لطالما كان الخوف من التدخل في شؤون الآخرين هاجسي الأكبر. ولهذا كنت أتردد في إقحام نفسي حيث قد لا أكون موضع ترحيب، معللة ذلك بقناعة خاطئة هي أن المفجوعين يحتاجون الى العزلة.

وأذكر كيف تخليت يوما عن زميلتي في

التدريس عندما دخلت المستشفي للمعالجة من السرطان. وكنت ذهبتُ لعيادتها بدافع الواجب، لكن زيارتي كانت متكلفة وخرقاء. فكيف يحادث المرء شخصاً مريضاً هكذا؟ واذ بدا لي أن التحادث في الامور العادية أمر قاس عليها فقد أردت تجنيبها إياه. لكني في الواقع لم أجنب سوى نفسي، اذ عندما عدت لزيارتها بعد أسبوع وجدت غرفتها خالية. وعلمت أنها ماتت.

أخبرتني ضحية أخرى من ضحايا السرطان: "خلال أسوأ مراحل مرضي كان الأشخاص الذين دأبوا على عيادتي هم الخيط الذي شدني الى الحياة. وكنت لا أطلب منهم الحديث أو المكوث طويلا لأن مجرد معرفتي بالاهتمام الذي يدفعهم الى التعريج على غرفتي كان كافياً لانقاذي من الشعور بأني وحيدة منسية."

خذوا زمام المبادرة. قد تبلغ معاناة أصدقائكم درجة ينسون معها حاجاتهم. كانت أولى الواصلين الى دارنا بعد وفاة ابنتنا أرملة فقدت زوجها قبل فترة قصيرة، وكانت ما زالت تلملم جروحها. فألقت نظرة على وجهينا، ثم اصطحبتنا في سيارتها الى مؤسسة دفن الموتى. وتولى أصدقاؤنا الرد على المكالمات الهاتفية واستقبال المعزين. وجز أحد الجيران مرجة العشب أمام دارنا، واستقبل آخر الأقارب الوافدين. لم ينتظر هؤلاء الأشخاص أن نطلب مساعدتهم، بل تحسسوا حاجاتنا وتطوعوا للمساعدة.

لا تقولوا "نعرف حقيقة شعوركم." لكم سمعت هذه العبارة، ولكم كان وقعها ثقيلا إذ وددتُ لو أصرخ في وجه قائليها: "ليس في امكانكم أن تعرفوا حقيقة شعوري، لأن كايت ليست ابنتكم."

لكني أحسست بعض عزاء عندما وصفت لي سيدة ثكلت ابنتها عما عانته خلال عودتها البطيئة والأليمة الى العيش الطبيعي. وقد أسرَّت إليَّ: "مرت بي لحظات ظننت خلالها أني فقدت صوابي، اذ كنت أسمع وقع خطاها في البهو وصوتها وهي تغني في الحمام."

مدتني هذه الرواية ببعض الطمأنينة، خصوصاً عندما مررت بأوقات الجنون اياها ورحت أستيقظ ليلة إثر ليلة وفي أذنيّ زعيق هاتف يدعونا الى المستشفى.

لكن والدة الفتاة لم تبدأ سرد قصتها بعبارة "أنا أعرف حقيقة شعورك،" بل اكتفت بسرد ما جرى لها تاركة لي مهمة الربط بين تجربتينا.

لا تبحثوا عن جانب مشرق. إنَّ الجهود المبذولة للتقليل من أهمية المأساة ليست عقيمة فحسب، بل إنها تخلِّف شعوراً هائلا بالذنب يرخي ثقله على الشخص المتألم.

قالت لنا إحدى السيدات: "ما زال لديكم أبناء آخرون. تصوروا كم كان الأمر صعباً لو كانت كايت ابنتكما الوحيدة."

وقال لنا أحد معارفنا وهو – صدقوا أو لا تصدقوا – طبيب نفساني: "يكفيكما

عزاء أن ابنتكما ارتاحت من صراعات الحياة."

إني بالطبع أشكر المولى على عائلتي الباقية، ولكن لا علاقة لذلك بواقع فقداننا كايت. فهل علي أن ابتهج لأن صراعها انتهى وهي بعد في مستهل العمر؟

اكتبوا رسائل عزاء. إنَّ البطاقات المتوافرة في المكتبات لا تحل محل الرسائل الشخصية مهما تكن بليغة، ولا يمكنها أن تكون بديلا من رسائل التعاطف التي وردت علينا ومدت كل فرد منا بالقوة والعزاء.

ولعل أبلغها ما حمل الينا ذكريات سعيدة. فقد كتب الينا جار سابق أنه يذكر ابنتنا يوم كانت في السادسة من عمرها، وكيف "علَّقت سلة توت على مقبض الباب ثم قرعت الجرس واختبأت بين الجنبات مسترسلة في الضحك."

وتذكرت إحدى رفيقات صفها ما كانت كايت تبذله من جهود باسلة لتعلم التزلج على الماء: "كانت تسقط وتنهض تكراراً، إلا أنها رفضت الاستسلام على رغم البرد والتعب."

كما كتبت الينا صديقتها بالمراسلة: "كانت ابنتكما ذكية ومضحكة ولها آراء شائقة. أشعر الآن كأن حياتي أظلمت برحيلها."

لم تنقل الينا تلك الرسائل اهتمام الناس بمصابنا فحسب، بل أظهرت لنا أن حياة كايت، على رغم قصرها، أثرت في حياة الآخرين.

تذكروا أن الشفاء يتطلب وقتاً. بقيتُ أشهراً بعد وفاة كايت استلقي على السرير ساعة بعد ساعة وأنا عاجزة عن التركيز على أي فكرة أو موضوع. وكان مجرد قيامي بالتسوق والأعمال المنزلية كافياً لاستنفاد ما استجمعته من قوة. ولطالما سألني أصدقاء من أصحاب النيات الطيبة: "متى ستعودين الى العمل؟" فكان يصعب عليَّ اقناعهم بأني لا أملك القدرة على الانتاج، وبأني سأعلم في الوقت المناسب متى أعود.

كونوا آذاناً صاغية. إن حضوركم واستعدادكم للاصغاء هما أثمن هدية تقدمونها. لقد كان أفضل معزِّينا أولئك الذين لم يحاولوا إلهاءنا عن مصابنا، بل شجعونا على تكرار وصف تفاصيل كابوسنا المفجع. وساعدنا هذا التكرار على تبديد حدة ألمنا وجعل طريق الشفاء سالكة.

إن مغالبة الحزن والكآبة عملية طويلة وبطيئة قد تستلزم سنوات. ويساعد فيها الانخراط في أمور بسيطة مثل التسوُّق وقبض الشيكات وإعادة الكتب الى المكتبة. وأهم من ذلك كله مساعدة الآخرين على تحمل ما يفوق طاقاتهم.

عدت الى عملي. وبدأنا، أنا وزوجي، إعادة بناء حياتنا. وقد شرعنا في الاعداد لمشاريع مستقبلية.

وبفضل مساعدة الأصدقاء تم لنا اجتياز شوط كبير.

لويس دونكان ■

ثم أقبلت سيارة "نيسان" وتوقفت قربي فجأة. وفتح بابها شاب أشار اليّ بالدخول.

ركبت السيارة وأنا ارتجف غضباً وبرداً.

عرّفني الشاب بنفسه بتواضع ياباني قائلا انه الموظف الذي تكلمت معه ثلاث مرات ذلك الصباح. لقد اضطر الى مغادرة مكتبه والقدوم في سيارته الخاصة لايصالي الى المطار. وهو بالغ في الاعتذار، لكنه لم يوضح لي لماذا لم تحضر سيارة أجرة لأخذي الا بالقول "انهم مشغولون جداً جداً هذا الصباح."

أوصلني مباشرة الى موقف حافلات المطار، وأبى أخذ ٢٠٠٠ ين دسستها في يده، ورجاني، مكرراً اعتذاره، أن أستمر في التعامل مع مكتبه مستقبلا.

بعد ساعات، فيما أنا مسترخٍ في مقعدي أثناء اقلاع الطائرة التي أخّرتها العاصفة، تناولت صحيفة الصباح. فاستوقفني في الصفحة الثانية خبر قصير: "اضراب سائقي الاجرة يبدأ هذا الصباح في كيوتو!"

بول فادن ■



تربية الاولاد

رزقت ابنتي ولدين، ووجدت صعوبة فائقة في الإعتناء بهما فطلبت مساعدتي في رسالة ناعمة وارفقت طلبها بعبارة مجاملة: "لو عرفتُ ما هي عليه تربية الاولاد، لكنتُ فتاة اخرى."

ج.ب.

هاتف يتسوق

شاهدتُ في احد المخازن الكبرى رجلا يتحدث عبر هاتف من دون شريط، فخيّل اليّ انّه متباه يحاول جذب انتباه الآخرين الى وضعه الميسور. واذ كنتُ ادور في الاجنحة صادفته امامي من جديد في قسم الاجبان وامامه عدّة اصناف. وسمعته يقول عبر هاتفه: "يجب ان تقرري يا عزيزتي، هل تفضلين الجبن الكثير الملوحة ام الخالي من الملح؟"

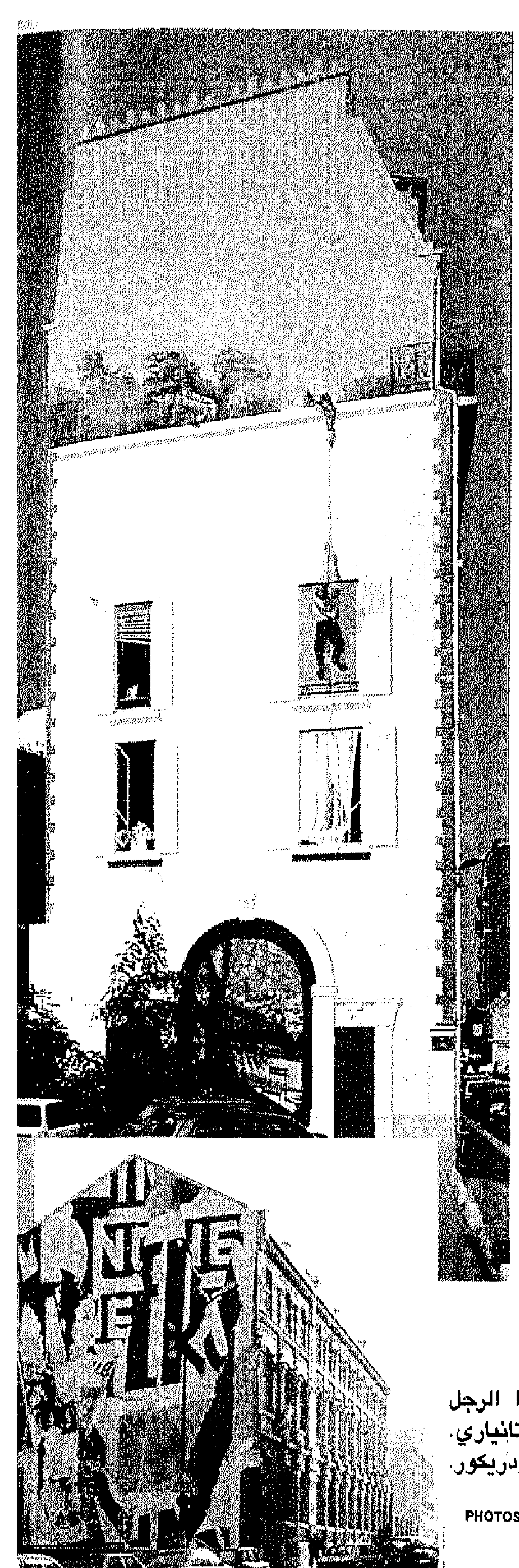
م.ا.

تمارين طقسية

اوصاني الطبيب بأن اقوم لثلاث مرّات في اليوم بتمارين لتقوية ذراعي المكسورة. وتقتضي التمارين بان القي يدي على الحائط واتسلّقه باصابعي الى اقصى ما يمكنني.

وقالت لي يوماً شريكة غرفتي في المستشفى: "هلاّ اوضحتِ لي الى اي ديانة تنتمين؟"

ر.ف.



جداريات باريس

في هذه المدينة الفاتنة تقع عيناك على مشاهد تدهشك عند كل منعطف

يطالعك في شارع برسي في الدائرة الثانية عشرة من باريس درج طويل يمتدّ صعوداً فوق أغصان أشجار عمرها مئات السنين. وأبعد منه قليلاً ممرّ ظليل تحفّ به أشجار سرو ضخمة ويفضي الى قلب غابة. غريب أن تكون هذه المناظر الريفية البهيجة الساكنة مجاورة لنهر السين وكاتدرائية نوتردام!

ولكن ما إن تقترب قليلاً حتى يتلاشى الانخداع: إنها صور مرسومة على جدران!

واذا تجوّلت في الدائرة الخامسة

(فوق) لن يعرف المارة أبداً لماذا يتدلّى هذا الرجل بحبل في ١٤ شارع كاستانياري.
(تحت) جدار ملعب مدرسة في ٥٣ شارع بودريكور.

PHOTOS: DAUVP

عشرة على مسافة قريبة من خطوط السكك الحديد التي تلتقي في محطة مونبارناس، تقع على منظر طبيعي آخر. وقد تؤخذ على حين غرة في شارع كاستانياري بمنظر رجل معلّق بحبل يصل الى منتصف علو أحد الأبنية السكنية، وهو يحاول مذعوراً الوصول الى شرفة قريبة. أهو لصّ؟ أم عاشق؟

تطالعك مفآجات كهذه في كل مكان من باريس فتزيد جمالها جمالاً. وحيث لم يكن هناك سوى فسحات كئيبة مهملة يتقشّر طلاؤها، تنبسط اليوم جداريات موشحة مبهجة تضجّ بالالوان والابداع والظرف.

عام ١٩٨٠ كانت هناك عشر فقط من هذه الجداريات. أما الآن فهناك ما يزيد على السبعين موزعة في ١٧ دائرة من الدوائر الادارية العشرين في المدينة. وتحضّ الكتيبات السياحية على زيارة مناطق مثل الدائرتين الثالثة عشرة والخامسة عشرة حيث ذاع في السنوات القليلة المنصرمة صيت ١٩ من هذه اللوحات الضخمة.

وبانتشار هذه الثورة الفنية في الشوارع، تتحوّل باريس متحفاً للفن في الهواء الطلق.

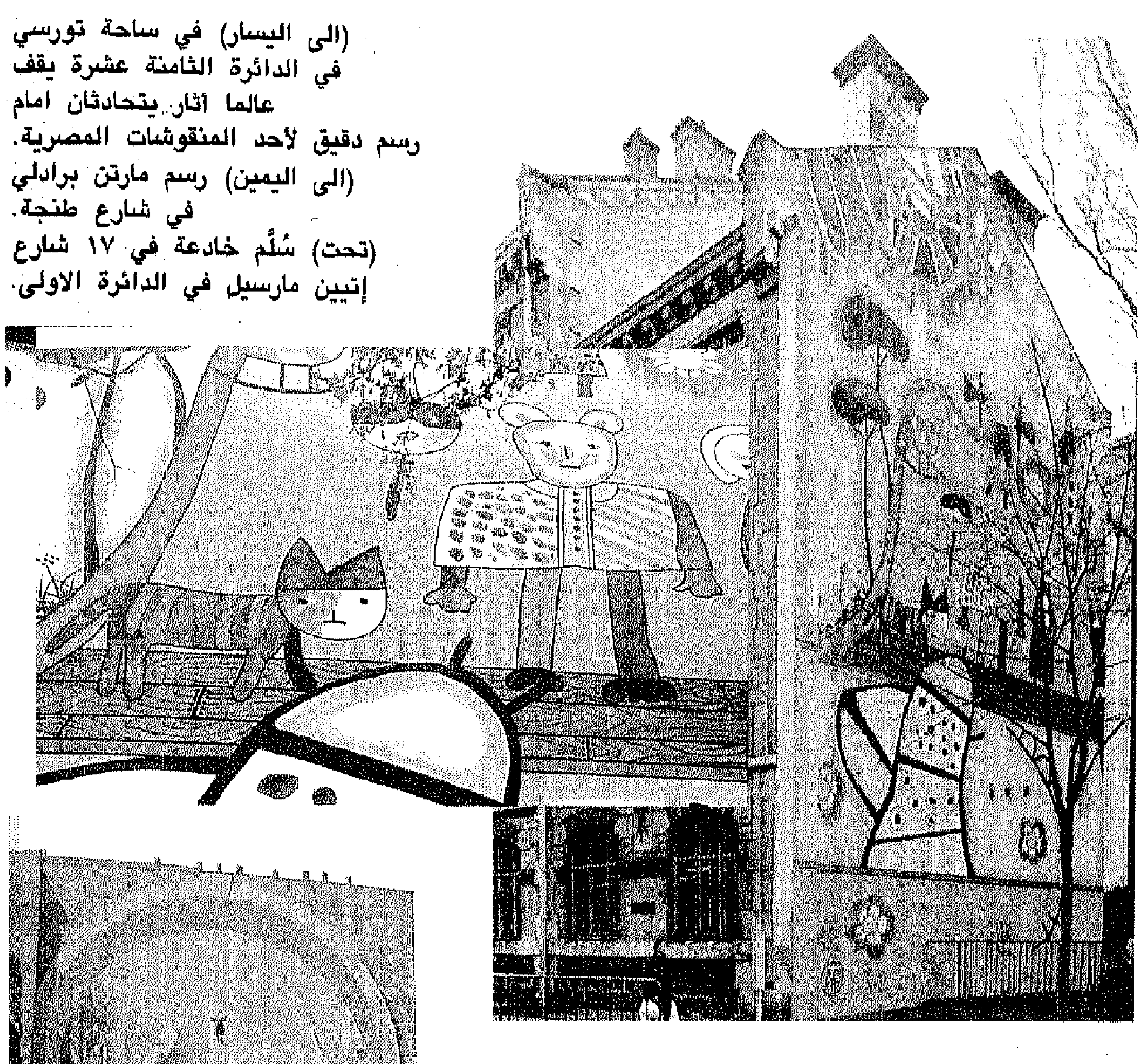
وُلد هذا الفن المدهش نتيجة القانون الصادر عام ١٩٦٢ والقاضي بتنظيف واجهات المباني وطلائها دورياً، مما حمل الباحث الجامعي جان بيانكي على التعليق قائلاً: "إن الشوارع التي لم تكن سوى آليات لتوجيه حركة السير استعادت صفتها الضائعة كخلفيات للبشرية."

فن وظرف. لم يتصور البارون جورج هوسمان أنه سيكون بعد وفاته رائد هذه المجموعة الفنية الجديدة. ففي القرن التاسع عشر تولى هوسمان توسيع عدة شوارع باريسية، فعزل أبنية لا تحصى خارجة على التصميم العام للشوارع لكونها جديدة وحرام هدمها. وفي السبعينات من هذا القرن تعززت عزلة هذه الابنية بفعل قوانين بلدية جديدة نصّت على توسيع أرصفة المشاة. وتقول سيلفي بويسان المهندسة في "وكالة التنمية المدينية" في باريس والتي رعت برنامج الرسوم الجدارية في السنوات الخمس الماضية: "كان في إمكاننا أن نفرض على أصحاب المشاريع البناء وراء الشوارع. ولكن لم يسعنا أن نهدم الأبنية التي لم تعد متوازية في خط مستقيم."

وهذا هو سبب وجود ١٦٠٠ جدارية في باريس، وهو رقم قياسي في أوروبا لا تبزّه إلّا برلين التي دُمرت على نحو واسع إبان الحرب العالمية الثانية. ولا عجب أن يكون سكان برلين أوائل من تبنّوا فكرة زخرفة الجدران بالرسوم في الستينات. وحتى ذلك الوقت كانت تلك الفسحات الواسعة القاتمة في باريس وبرلين مهملة ومعروضة لملصقات الاعلان.

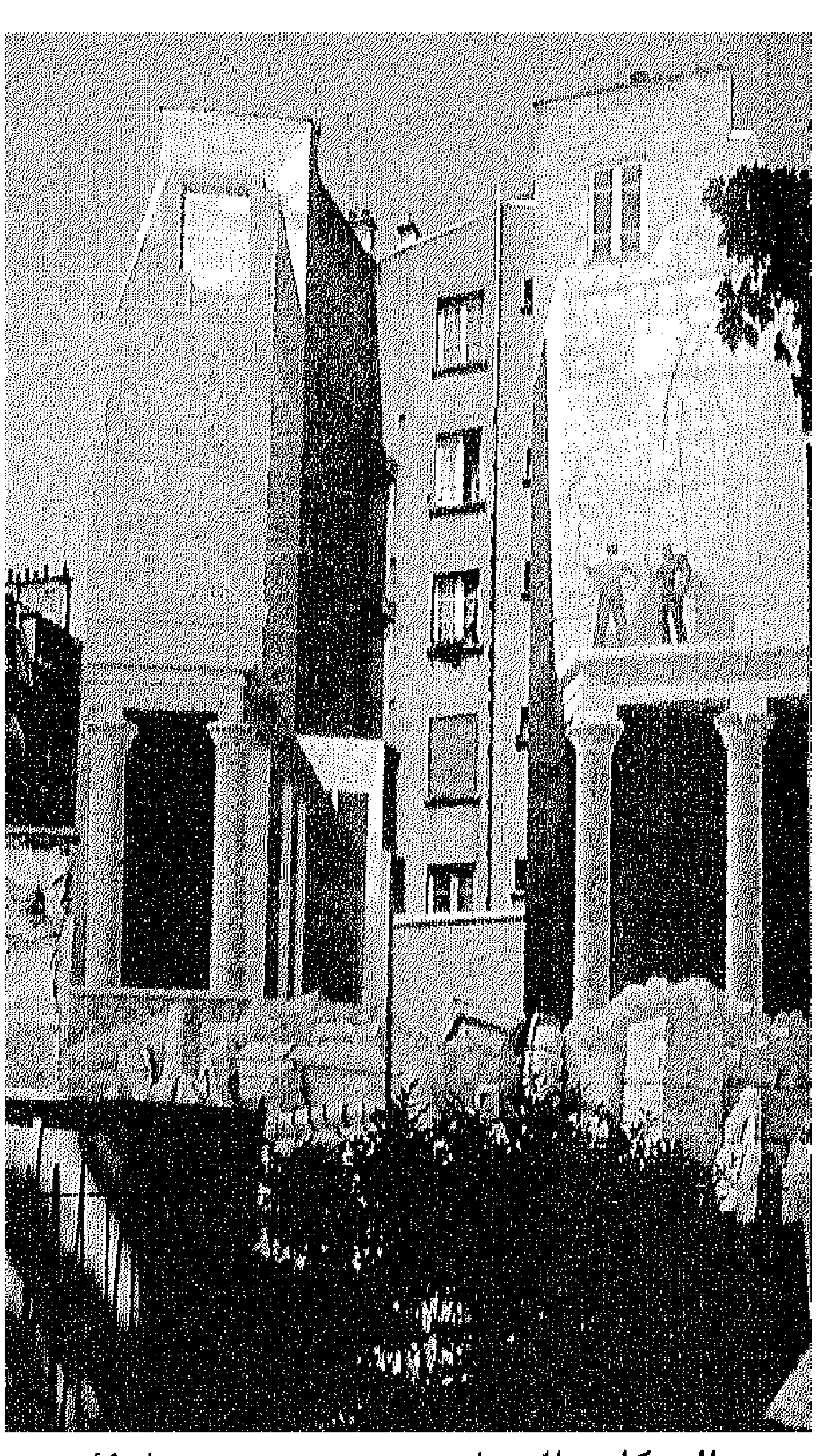
ظهرت احدى أوائل الجداريات في باريس عام ١٩٧١ في زاوية شارعي كانكمبوا وأوبري – لو – بوشيه. واكتشف الباريسيون ثلاثة جدران مغطاة برسم تجريدي باللونين الأحمر والأزرق من صنع الرسام فرنسوا موريليه. هذا

(الى اليسار) في ساحة تورسي في الدائرة الثامنة عشرة يقف عالما آثار يتحادثان امام رسم دقيق لأحد المنقوشات المصرية.
(الى اليمين) رسم مارتن برادلي في شارع طنجة.
(تحت) سُلَّم خادعة في ١٧ شارع إتيين مارسيل في الدائرة الاولى.



التفجر الفني المفاجىء الحافل بالألوان والخيال أضفى على الجوار المتقهقر مسحة من البهجة والضياء. وفي السنة التالية ظهرت لوحة بريشة الفنان تاماس زنكو في بولفار ستراسبور عكست مدى سرور الجمهور بهذا الفن الجديد. وكانت شجرة زيزفون نامية أمام الجدار، فما كان من زنكو إلّا أن رسم على الجدار ظل الشجرة بأوراقها وأغصانها.

وفي أيام الشتاء القاتمة كان هذا الخداع البصري الرائع يوحي الى المارّة



من السكان المحليين يوم صيف دافئاً.

بعد العام ١٩٨٣ سمحت مدينة باريس للشركات الكبيرة بأن تستخدم بعض الجدران لاعلاناتها بشرط أن تُظهر هذه الاعلانات نوعاً من الخيال والفن لا أن تكون مجرد كتابات وشعارات. وخُصّصت جدران أخرى للفنانين. وبعدما رسم زنكو شجرته، شملت الرسوم كل أساليب الفن الشائعة. ولكن تتعيّن الموافقة على الرسم، محتوى وتنفيذاً، من المالكين وسلطات المدينة.

وفي الحي اللاتيني، عند ملتقى شارعي كونديه وسان سولبيس، تحت

جداريات باريس

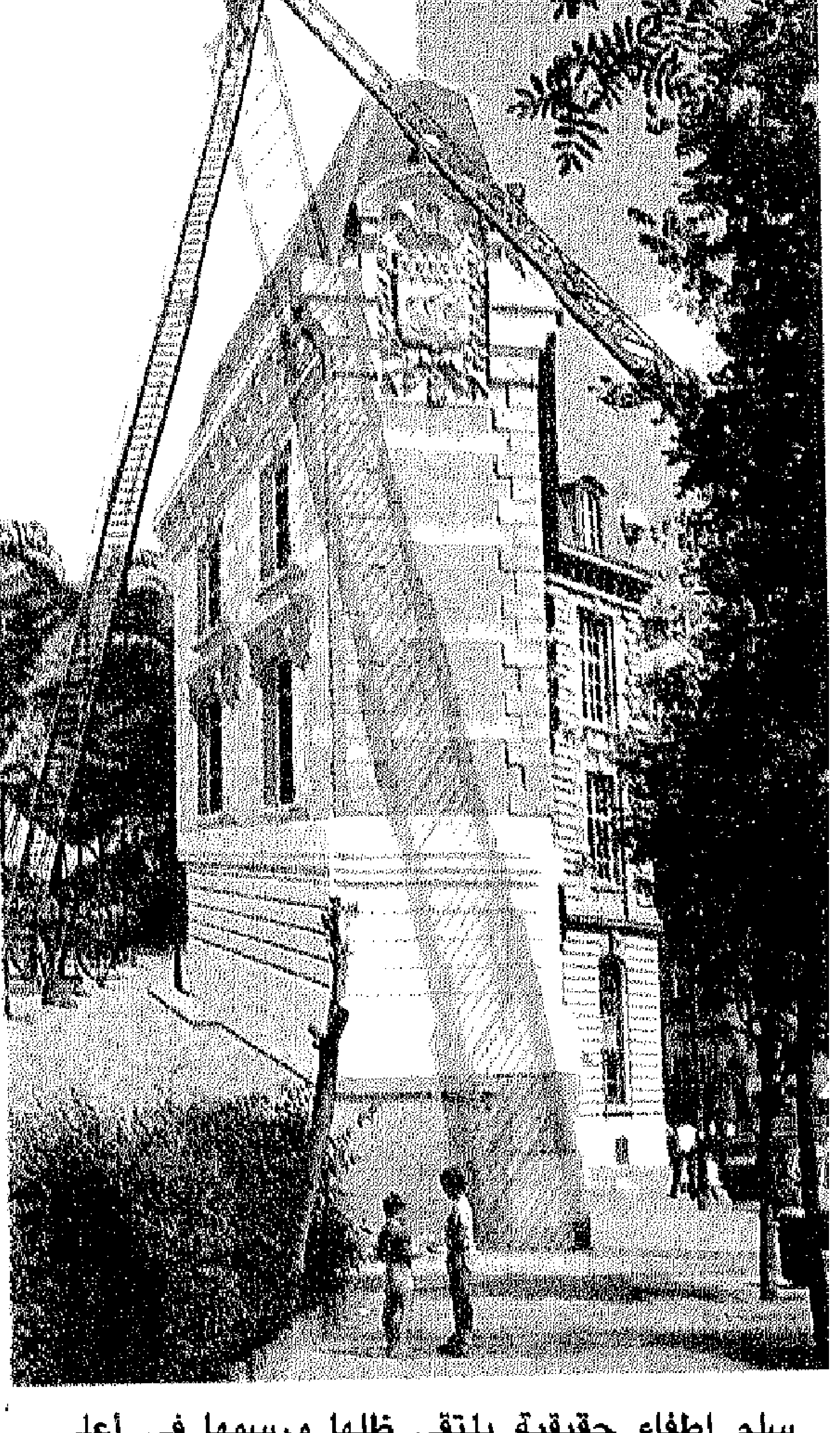
رسم بطاقة مترو، أقامت مديرية النقل في باريس عرضاً دائماً لصور فوتوغرافية حديثة شملت فنانين كباراً أمثال روبير دوانو وجان لو سيف وأندريه كارتيز. وتظهر نسخ من صورهم على قماشة بيضاء بُسطت على الجدار الخالي من أي رسوم. ويجدَّد هذا العرض في فترات منتظمة.

وثمة تضليلات كثيرة أيضاً. فعلى جانب مبنى إحدى المدارس في شارع بودريكور في الدائرة الحادية عشرة، رسم الفنان الشهير فيلغليه أحد ملصقاته الاعلانية. ويضيف بعض الفنانين ومضة بديعة من الظرف والفكاهة. فعلى جدار في ساحة تورسي نقش مصري رُسِم بدقة متناهية، وأمامه عالما آثار منهمكان في الحديث. وفي ساحة سان فارغو رسْم سلّم إطفاء شبه حقيقي ممدود صعوداً لانقاذ قطة مذعورة. إلّا أن ثمة تفصيلاً آخر لهذا الرسم: إنه مرسوم على جدار مركز فرقة الاطفاء.

يؤكّد مارتن برادلي الرسام البريطاني الذي أبدع رسماً جصياً خيالياً في الدائرة التاسعة عشرة بمزيج من السوريالية والكلاسيكيّة، أن "الجداريات هي انعكاسات العالم التي تقدر أن تقرأها كأنك تقرأ إحدى حكايات الجنّ."

هكذا، في الواقع، يراها الأولاد والامهات الذين يؤمّون المتنزه المجاور.

مشاع للنظر. تظل الرسوم مصونة في المتاحف الى ما لا نهاية، أما الرسوم في



سلم إطفاء حقيقية يلتقي ظلها ورسمها في أعلى جدار مركز الاطفاء في الدائرة العشرين.

الشوارع فلا تدوم أكثر من سبع سنوات. وبعد ذلك فاما أن يعيد الفنان الأصلي رسمها وإما يُستعان بفنان آخر. "ولكن،" يقول الرسام إرنست بينيون – إرنست، "هذا لا يعني أن الجداريات فن ثانوي. فالفنانون العظام، أمثال بيكاسو، سخّروا مواهبهم لانتاج ملصقات قصيرة الأجل. ويهمّ الفنان أن تكون أعماله معروضة يشاهدها جمهور كبير، لا أن تكون مشاهدتها في المتاحف وقفاً على قلة."

غير أن هذا الحشد الضخم من المشاهدين يفرض التزام أصول فنية. فلا أحد مجبراً على زيارة المتاحف، أما الجدران فمشاع للنظر. لذا ينبغي ألّا تسبّب الجداريات صدمة للمشاهدين. وتحذّر سلطات مدينة باريس من أنها ستمحو أي لوحة تثير حفيظة المارّة. "لكننا،" تقول المهندسة بويسان، "لم نضطر الى هذا الاجراء أبداً، بل نتلقى ردوداً ايجابية من مالكي الأبنية الذين نقدّم اليهم المخطط ومن المسؤولين المحليين الذين هم على اتصال بناخبيهم وبالمارّة. ويبدو أن الجميع يقدرون أي شيء ينسيهم ضغط الحياة في المدينة."

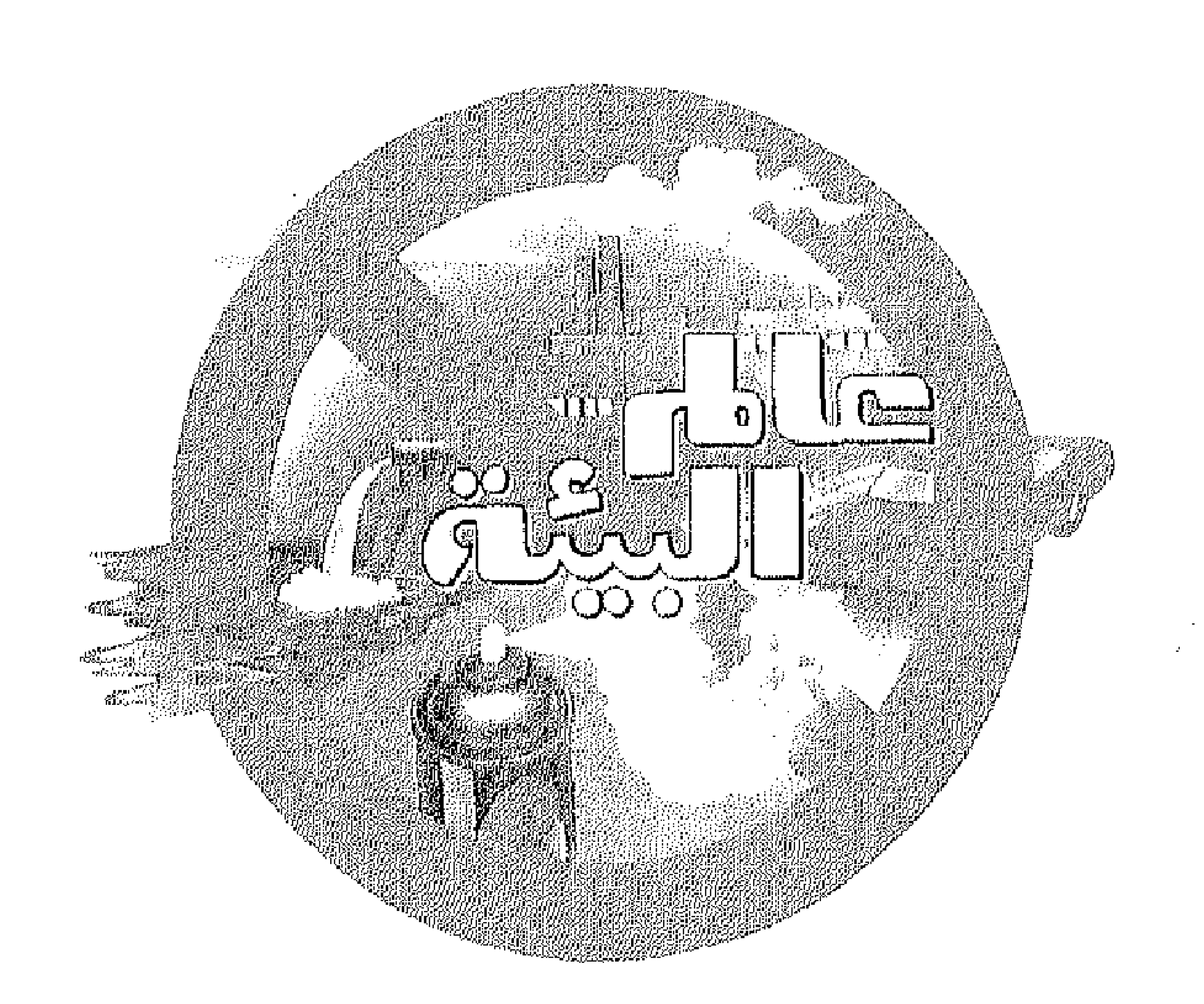
إن للجداريات مستقبلاً زاهياً.

جان ماري جافرون ■

عقاب المتنصتين على الهواء

لجأت الشرطة في بلدة هاردنبرغ الهولندية عام ١٩٩١ الى خدعة للإيقاع بالمتنصتين على موجاتها اللاسلكية، فبثت تقريراً يفيد عن هبوط جسم فضائي غير محدد في احدى المناطق. وهرع ما يقارب المئة وخمسين شخصاً الى المكان المزعوم، لكنهم عوض ان يعثروا على اقزام خضر من المرّيخ، عثروا على ضباط شرطة في انتظارهم.

عن "الانترناشونال هيرالد تريبيون"



تشجير الصحارى اصطناعياً

■ "اذا ما زرعنا غابات اصطناعية، فان الصحارى سوف تصبح قابلة للزراعة في غضون عشر سنين." قد يبدو هذا القول للمخترع الاسباني انطونيو البا حلماً، لكن الفكرة قوبلت بالترحاب في عدّة دول في افريقيا الشمالية. وتقضي الخطة بجعل ملايين الاشجار البلاستيكية تؤدي الدور الطبيعي للغابة في اختزان الرطوبة الليلية واطلاقها خلال النهار. نظرياً، تستطيع هذه الاشجار الاصطناعية في عشر سنين ان تحفز هطول ما يكفي من المطر لانبات اشجار طبيعية تقوم عنها بهذا الدور. وتشبه الاشجار المصنوعة من البوليوريتان اشجار النخيل لأن شكلها هو الأمثل لالتقاط الندى وتسهيل عملية التبخّر. امّا محاسنها فهي عدم حاجتها الى الري وعدم اغرائها الباحثين عن حطب للتدفئة.

عن "ديسبرتاي" البرازيلية

طواحين تولد كهرباء

■ وافق البرلمان الهولندي على اكبر مشروع لانشاء طواحين هوائية تعرفه البلاد منذ القرن السابع عشر وذلك بهدف توليد الطاقة الكهربائية من الهواء. ويُنتظر الحصول على اعانات حكومية سخيّة لبناء الفي طاحونة جديدة يكفي نصفها تقريباً لتوليد الف ميغاواط من الطاقة المستمدة من الهواء، ما يؤمّن الكهرباء اللازمة لمدينة بحجم العاصمة امستردام، اي نحو اربعة في المئة من حاجة البلاد. وتشارك الحكومة ايضاً في تطوير طاحونة هوائية تولد طاقة هائلة تصل الى الف كيلوواط، وذلك باستعمال تقنيّات علمية جديدة.

ب.س. في "نيو ساينتست"

قناني البلاستيك المطروحة

■ تحوّل شركة "ريب" في جنوب اوستراليا قوارير الحليب وعصير الفاكهة البلاستيكية المطروحة، انابيب في صلابة الاسمنت من طريق تذويب صمغ البوليتيلين واستخراج السائل المذوّب في شكل شرائط بلاستيكيّة تلفّ على اسطوانات كبيرة ثم تلقّم آلة تتولى شدّها بعضاً الى بعض، ثم تقوّى باحزمة فولاذيّة رفيعة. وهذه الانابيب هي بديل زهيد الثمن من الاسمنت، ويمكن استعمالها لمجاري مياه الفيضانات والعواصف والمجارير وانظمة الري. وبحلول السنة ١٩٩٣، تتوقع الشركة ان تعيد استعمال خمسة وعشرين الف طن من البلاستيك سنوياً، اي نحو ثلاثة في المئة مما يرميه الاوستراليون.

عن "نيو ساينتست"

نفايات لذيذة الطعم!

■ يمكن تفادي هدر ما يقارب العشرين الف طن سنوياً من بقايا الاطعمة في اوروبا وذلك بابتكار غلاف جديد للمأكولات السريعة... يمكن أكله. ويُصنع هذا الغلاف المخروطي الشكل من بودرة البطاطا ودقيق القمح والزيت النباتي والملح. وعند الانتهاء من تناول محتواه، يمكن اكله او رميه في سلّة مهملات بحيث يتحلّل في غضون ايام. وقد بدأت هولندا والمانيا استعماله وتحذو بريطانيا حذوهما.

هـ.ب. في "الغارديان"

جمعية حماية الغابات

■ تعيش في اعماق التشيلي بعض اطول اشجار الكرة الارضية عمراً، ومنها شجرة "الأليرس" وهي ارزة من فصيلة "السيكوا" العملاقة التي تعمّر اكثر من اربعة آلاف سنة. لكن تدنّي اسعار الأراضي في التشيلي، بالمقارنة مع اراضي امريكا الشمالية، جعل شركات قطع الأخشاب تفد اليها بكثرة مهدّدة بتدمير بيئة الاشجار القديمة. الا ان تدني الاسعار هذا يحمل في الوقت عينه حلا للمشكلة. ففي شباط ١٩٨٩، اسّس الامريكي ريك كلاين جمعية "الغابة العالمية عبر العالم" املا في المحافظة على غابات العالم القديمة الآخذة في الانقراض. وتركّز هذه الجمعية جهودها حاليا على الغابات التشيلية وتجمع الاموال لشراء الاراضي التي تغطيها مثل تلك الغابات. وتقول مديرتها آمي غولدبرغ: "نحن نشجع التفكير والعمل على نطاق عالمي."
وجمعت الجمعية اكثر من مئة الف دولار امريكي لشراء غابة من شجر "الاروكاريا"، وهي من الاجناس القديمة، تبلغ مساحتها حوالى اربعمئة هكتار. وتأمل في شراء المزيد من الاراضي والمحافظة عليها بما في ذلك الغابات القريبة من كاهويلمو فيورد وهي منطقة تدعى "جنّة النصف الجنوبي من الكرة الارضية".
وفي سياق اهتمامها بالغابات التشيلية، تقوم الجمعية ايضا بدعوة علماء وصحافيين ومحافظين على البيئة الى القيام برحلات داخل الغابة قد تبلغ مدتها شهراً. ويقول كلاين مؤسس الجمعية: "انها احدى اكبر غابتين في هذا الكوكب وعلينا ان نحافظ على ما تبقّى منها."

عن "اومني"

جهاز انذار للدلافين

■ بات في امكان آلاف الدلافين ان تنجو من الهلاك سنوياً في شباك الصيّادين وذلك بواسطة جهاز انذار اختبره فريق من ثلاث جامعات انكليزية ويدعى "عاكس عين الهر" تستطيع الدلافين التقاط موجاته عبر جهازها السمعي (السونار). وتُثبت العاكسات على حاجز يشبه شبكة صيد الاسماك يمتد مسافة مئتي متر في البحر حيث تعبر الدلافين عادة. وتلتقط الميكروفونات المدلاة تحت الماء ذبذبات جهاز الدلافين السمعي مع اقترابها. ومع تصاعد هذه الذبذبات تكتشف الدلافين وجود العاكس وتغيّر مسارها متحاشية الحاجز. وقد اتت النتائج الأولى مشجعة، ويسعى العلماء الى تطوير نوع جديد من هذه العاكسات يمكن تثبيته مباشرة على شباك الصيادين.

ت.م. في "السكوتسمان"

عندما يحين القطاف تزدان الموائد بطبق شهي يبهج الذواقة من كل الاعمار

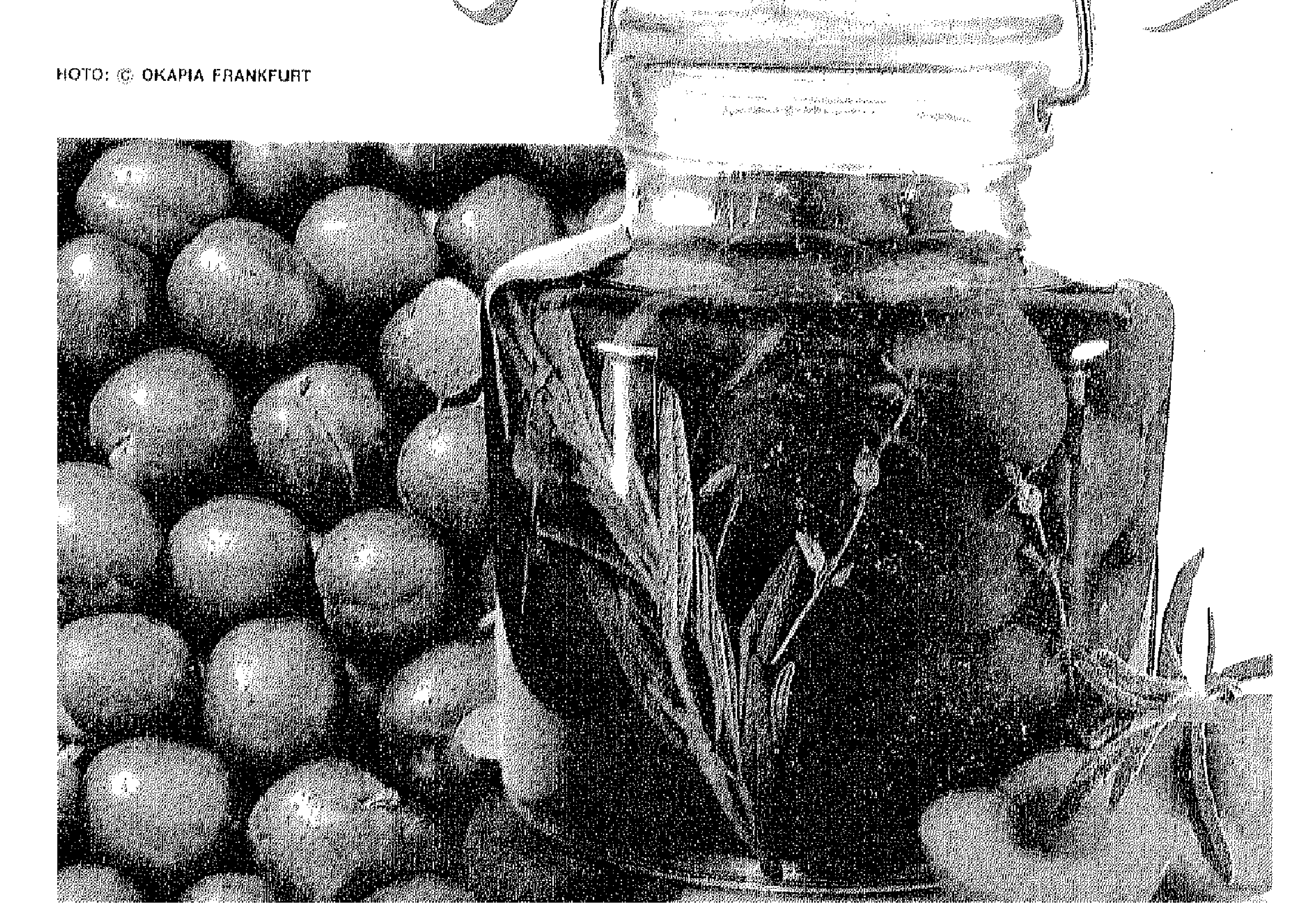
مع فاكهة الخريف

"كعكة طازجة بالخوخ."

تتراقص على نوافذ المخابز لحروف ألمانيا، ويسرع لشراء كعكات في كل العطرة كل من فاتته أسابيع الخوخ الفراولة (الفريز) أو قطاف الهليون موسم من أمضى صيفه في مقاطعة بين وكل الفرنسية أو استمتع بثمار الموفانس توسكانا الايطالية. لما في

يمكن الحصول على الحلوى والمعجنات الأخرى طوال العام، لكن الاقراص المحشوة بالثمار الزرقاء لا تتوافر الا خلال هذا الموسم. يستمر القطاف حتى أكتوبر (تشرين الاول)، وتكون آخر ثمرات

HOTO: © OKAPIA FRANKFURT



الخوخ التي تتغضن مؤخراتها هي الاكثر حلاوة.

كانت ثمرة الخوخ العادية* هي التي قادتني الى مدينة توبنغن الجامعية في جنوب غرب ألمانيا في زمن كان الطلاب يسكنون منازل تشرف عليها ربات البيوت. وكان والداي يعرفان هناك أستاذاً وباحثاً في التاريخ المحلي درّس والدي اللغة اللاتينية، لكن هذه العلاقة التعليمية لم تكن لتمتد الى نطاق الخصوصيات لو لم تعتبر زوجة الاستاذ خوخات جدتي أفضل ما في ألمانيا.

كان والدي يستيقظ قبل الفجر ويقطف ثمار الخوخ الطازجة من الحديقة بعناية فائقة لئلا يؤذي قشرتها الشاحبة، ثم يذهب بقطافه الى سوق البلدة الاسبوعي ليبيعه قبل التوجه الى المدرسة.

نوعيات الخوخ المختلفة هي بالنسبة إلي كمثل أفراد عائلة مالكة. فهناك الملكة الأم، خوخة يانعة مع زيادة طفيفة في طلاء الوجه، لكنها تزهو عندما يمتدح الناس بشرتها الناعمة. والى جانبها يقف الملك، البرقوق المخلص لنوعه، وزوجته الصغيرة المستديرة الضاربة الى الخضرة. وتشبه ثمرة الخوخ السوري أميرة حسناء.

يقال إن الملكة كلود، الزوجة الاولى للملك الفرنسي فرنسوا الاول، هي التي أعطت اسمها لبرقوق "رينكلود" الضارب الى الخضرة والعسلي الطعم.

أشاد بثمرة الخوخ شعراء ورسامون. فكتب الشاعر الالماني يوهان فلفغانغ فون غوته: "القشرة الرقيقة التي تغطي خوخة يانعة تبدو ضبابية وتشبه المطاط." وتطرقت الكاتبة سارة كيرش الى رائحة مربى الخوخ الحلوة في القرى الناعسة، وجاء في واحدة من قصائدها: "خلاقين مربى الخوخ تعكس وجهك في صورة جميلة."

وفي اللوحات الفنية نجد ثمرة الخوخ تتصدر سلال الفواكه في أعمال كبار الرسامين الايطاليين وفي الصور الساكنة من أعمال البلجيكيين والهولنديين والفرنسيين.

(*) Genus Prunus



فطيرة خوخ مخبوزة بعجينة الخميرة وهي أطيب اذا أكلت ساخنة

تمثل ثمرة الخوخ بشكلها البيضوي وأوراقها المتطاولة موضوعاً زخرفياً غنياً. فنراها تطل من المطبوعات والآنية الزجاجية ومن السيراميك الزخرفي. كان اليابانيون القدماء يتغنون بجمال شجرة الخوخ التي تزهر عندهم في أواخر الشتاء. وقرابة العام ١٠٠٠ الميلادي أسرّت ساي شوناغون، وصيفة الامبراطورة، الى دفتر يومياتها بأن شجرة الخوخ المتفتحة هي من أجمل الاشجار المزهرة.



لكن الناس في أوروبا القرون الخوالي كانوا يفضلون الثمرة. وكانت كميات كبيرة من الكعك المحشو بالخوخ تطهى في احتفالات أواخر أكتوبر (تشرين الاول)، كما كانت ثمار الخوخ تحفظ للشتاء مخزونة في أكياس صغيرة أو في جرار من زجاج.

يصف الكسندر دوما في كتابه عن فن الطبخ طريقة إعداد الخوخ للمربى: كانت نساء المزارعين يضعن الثمار صفوفاً خلف المواقد، والخبازون يجففونها على ألواح من صفيح.

ويأتي الميلاد، فتتحول ثمار الخوخ معجنات أو تقولب في تماثيل. وكان الشراب المستقطر من الخوخ يعتبر في سوابيا وبعض المناطق الأخرى شراباً شافياً. وقد اعتادت جدتي أن تسقيني ملء ملعقة صغيرة منه قبل أن ترسلني الى المدرسة في الشتاء.

لا تفقد ثمرة الخوخ كل عطرها عندما تخرج من السلال. وحده فرن الخباز يستطيع أن يحرر أريجها الحلو الشهير. وحين تصل الاقراص الشهية الى المائدة تكون طبقا فاخراً يتلذذ به الذواقة من كل الاعمار.

مارتن كازمير ■

مصادفة

كثيرا ما اتلقّى اتصالات هاتفية من مندوبي شركات مختلفة للتامين يعرضون عليّ خدماتهم، فاحاول ان ابعدهم بلباقة متذرّعة بأن ابني يعمل في مجال التأمينات. لكن هذه الطريقة لم تثبط من عزيمة احدهم الذي عقّب على اعتذاري قائلا: "يا للمصادفة، ابي كذلك يعمل في مجال التامينات."

د.ب.غ.

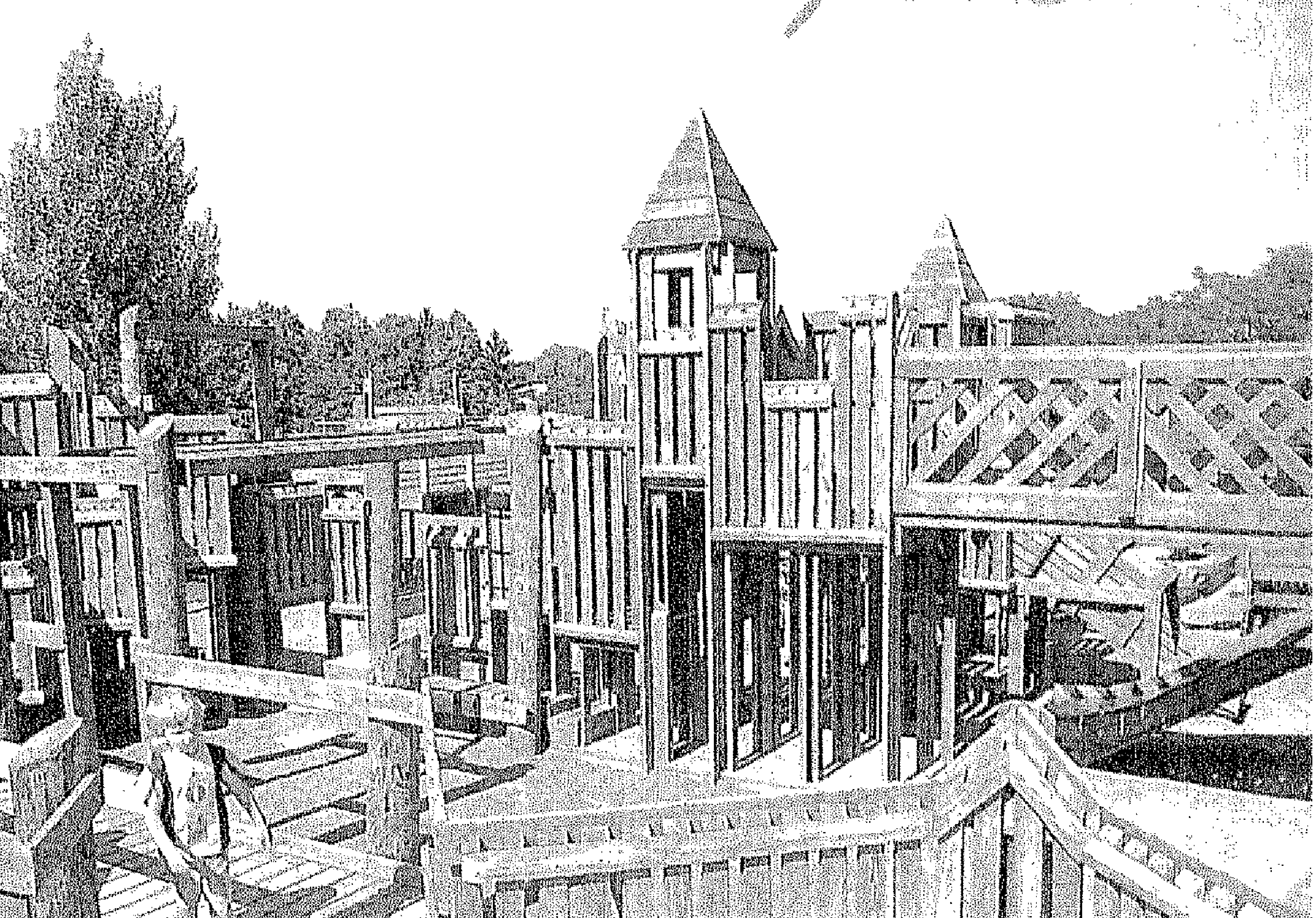
ملعب للصغار

يجلس هذا المهندس الفذ مع أولاد الحي أو المدرسة ويأخذ بأفكارهم في بناء الملعب الذي يريدون

كل صيف يعود بوب ليدرز الى ملاعب طفولته على ضفاف بحيرة هولبروك قرب بانغور في ولاية ماين الامريكية. وذات يوم قبل سنوات اصطحب اولاده الى الغابة ليريهم أين كان يتجول ويمرح ويلعب أيام طفولته.

قال لهم وهم يقتربون من أجمة من شجر الارز: "انظروا الى هذا." فشاهدوا تحت شجرتين ضخمتين بقايا كوخ بناه بوب في صباه وأسنده الى الشجرتين. كان الكوخ متداعيا وقد رقَّ سقفه المكسو بالقار، لكن خشبات الارز كانت لا تزال مثبتة بالمسامير الى غصن شجرة كبير شكَّل الدعامة الرئيسية.

أيقظ منظر الكوخ القديم في بوب



حنيناً الى أيام مضت قبل أربعة عقود حين كان في الثانية عشرة من عمره يغشى الغابة على رأس زمرة من الاولاد المتلهفين الى بناء عرازيل[1] أقنعهم بوب بتشييدها واحداً بعد آخر.

وشبّ بوب ليصبح أحد أسياد بناة الملاعب في الولايات المتحدة، حريصاً على مساعدة المناطق المختلفة في بناء تجهيزات ترفيهية مميزة لاولادها.

كان بوب في طفولته سقيماً ناحلاً وضحية دائمة للزكام. أصيب بذات الرئة ست مرات، وابتلي بشلل الاطفال وهو في الثالثة عشرة من عمره فظل نحو ستة أشهر ضعيفاً جداً لا يقوى حتى على الكلام.

في تلك الفترة التي لازم بوب خلالها الفراش كرَّس معظم وقته للرسم. وأظهر موهبة كبيرة في رسم مخازن حبوب وحظائر ماشية وعرازيل و"معارك" دارت رحاها على ضفاف البحيرة.

وتغلَّب بوب على داء الشلل. وبعد إكماله دراسته الثانوية قرر أن يصبح مهندساً معمارياً. وحاز شهادته الجامعية عام ١٩٦٥.

وفي العام ١٩٧٠، وكان قد تزوج ورزق ثلاثة أولاد، تسلم وظيفة في شركة هندسة معمارية في إيثاكا بولاية نيويورك.

صبي كبير. في ذلك الخريف حضر بوب اجتماعاً للجنة الاهل والمعلمين في مدرسة ابنته بحثت فيه قضية شراء تجهيزات للملعب. لكن مبلغ الـ ١٢٠٠ دولار الذي تمكنت اللجنة من إرصاده لم يكن كافياً الا لشراء أرجوحة وزحلوقة. فاقترح بوب الآتي: "ربما تمكنا نحن أنفسنا من بناء شيء ما."

عمد أعضاء اللجنة الى جمع ألواح خشب واطارات مطاط قديمة وبدأوا العمل. ووجد بوب نفسه في جوه المفضّل. فكان يصدر تعليمات للمتطوعين ويضع واياهم خططاً مبدعة. وبعد ١٦ أسبوعاً من الطَّرْق والنشر والعمل الجماعي الحميم اكتمل تجهيز الملعب الصغير.

وما لبث بوب أن دعي الى مساعدة مدارس أخرى. وكانت مهارته وسرعته تزدادان مع بناء كل ملعب.

عرف بوب منذ حداثته مقدرة الاولاد على استنباط الأفكار. فقرر، وهو بعد في مستهل مشروعه السادس، استمزاج آراء الأولاد في كل محلّة في ما يريدون أن يكون ملعبهم.

وسنحت له الفرصة في أبريل (نيسان) ١٩٩١ حين وقف تحت المطر في مدرسة كاربنتر الابتدائية في ولفبورو بولاية نيوهامشير ومعه بوب وبيفرلي ديفيس وعدد من أولياء التلاميذ، وسط ملعب موحل ليس فيه الا القليل من التجهيزات القديمة المتهدمة.

وكان بوب ديفيس تقدم بشكوى الى مجلس المدرسة لافتاً الى حال الملعب المزرية. فأبلغ اليه أعضاء المجلس أن الموازنة المتقشفة لا تسمح لهم بتحسين

(١) العرزال كوخ يبنى باغصان الشجر وغالبا في شجرة.



بوب ليذرز ومجموعة من "الخبراء" المتحمسين يخططون لبناء ملعبهم.

الملعب. وكان الأخوان ديفيس شاهدا ابتكارات بوب ليذرز وأقنعا أولياء آخرين بضرورة تنفيذ أحدها في ولفبورو.

بعد معاينة الموقع، دخل بوب غرفة الصف الابتدائي الاول وجلس في كرسي تلميذ وسط مجموعة من الصغار في السن السادسة. قال: "مرحباً، اسمي بوب ليذرز وأنا مهندس معماري. هل بينكم من يعرف ماذا يعمل المهندس؟"

فحدّق اليه الصغار وقد أخذتهم الحيرة. فهو بدا لهم في سرواله الجينز وحذائه الرياضي وقميصه الزاهي كولد كبير. ومع أن شعره غزاه الشيب وتساقط معظمه، أوحت ابتسامته العابثة أنه واحد منهم ومستعد لبدء مغامرة شائقة.

أضاف بوب: "المهندس المعماري يصمم أشياء. واليوم سأصمم ملعباً. لكني في حاجة الى مساعدة عدد من الخبراء. فهل تعرفون من هم هؤلاء؟"

صمت الاولاد برهة ثم هتفوا بنغم واحد: "نحن!"

فمال بوب اليهم وسأل: "وما هي أحلى الالعاب التي تريدونها في ملعبكم؟"

اقترح صبي: "بيت أشباح يسكنه الكونت دراكولا مصاص الدماء."

وقالت فتاة صغيرة: "بيت عنكبوت نتسلق فيه الى العنكبوت."

واستمر طرح الاقتراحات الى أن تدخل بوب أخيراً: "حسناً، قررنا أن يكون في وسط الملعب قصر كبير والى جانبه حصن. وللدخول، عليكم تسلّق متاهة تجدون أنفسكم في نهايتها وجهاً لوجه أمام... دراكولا."

فهتف الأولاد جميعاً: "نعم! نعم!"

وبحلول الظهر كان بوب جالساً الى طاولة في مطعم المدرسة يرسم تصاميم الاولاد على ورقة كبيرة فيما تحلق هؤلاء حوله وهم يلقون عليه أسئلة ويتلمسون الرسم. ولم يحن موعد العشاء حتى كان أنجز رسم منظر عام للملعب لعرضه على لجنة الاهل والمعلمين.

نظر الكبار الى تصميم المهندس

بمزيج من الاعجاب والقلق. فالملعب الذي أراهم اياه دقيق التفاصيل الى حد لا يصدق. فهل يستطيع هواة جمع أجزائه وجعلها آمنة؟

لكن بوب ليذرز لم يكترث لمخاوفهم، وأكد أن المشروع "سينجح، فما علينا سوى احضار ألواح خشبية صغيرة وكبيرة. ندق مسامير صغيرة في الالواح الصغيرة ومسامير كبيرة في الالواح الكبيرة. هذا كل ما يتعين عليكم معرفته."

رفقة لا تُشرى. من السهل للمشاهد من بعد أن يتعرف الى ملاعب بوب. فهي تتميز بكونها غابة من الممرات الخشب والمتاهات والسلالم مسيّجة ومتوّجة بسقوف مستدقّة. لكن نظرة متنعمة تكشف أن لكل ملعب خصائصه التي جاءت تلبية لرغبات أولاد كل محلّة.

ففي ملعب مدرسة "ووندد ني" في المحمية الهندية "باين ريدج" في داكوتا الجنوبية حصان جامح، وفي فورت ماديسن في آيوا مرقاب (تلسكوب) خشبي طوله متران يستطيع الاولاد النظر من خلاله. وفي بانغور بولاية ماين قفير نحل وبيت أشباح ساهم في تمويلهما الكاتب ستيفن كينغ وهو مؤلف قصص رعب ووالد أحد التلاميذ في بانغور. وتباهي مدرسة روكفورد في ايلينوي بكهف من الاسمنت يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وفيه غرفة تحوي حفرة للتنقيب عن الآثار وأخرى تتدلى من سقفها هوابط جليدية.

لقد أنجز بوب ومعه فريق متفرغ يضم ١٨ شخصاً تجهيز ٦٥٠ ملعباً للاولاد في ٣٨ ولاية، مستعيناً كل مرة بأيد عاملة متطوعة. ويقول جون ستيل وهو والد أحد التلاميذ: "اكتشفنا مقدار ما نستطيع انجازه بأنفسنا حين نعمل معاً. وقد منحنا هذا الامر ما نورثه أولادنا، ولا أعني الملعب فقط وانما هذا الحس بالفخر الذي يتقاسمه أهل المحلة."

ويوافق بوب على هذا الرأي مضيفاً: "بعد انجاز العمل يصبح الملعب رمزاً ثميناً للرفقة التي لا تشرى بالمال."

ومن حين الى آخر يحاول أصحاب المشاريع حمل بوب ليذرز على بناء ملاعب من دون الاستعانة بمتطوعين أو إشراك سكان المحلة. لكنه يرفض مقترحاتهم: "لا، لن أفعل ذلك، ان بناء ملعب تجاري واسع واحد يستغرق وقتاً يمكن فيه بناء ثلاثة من الملاعب المحلية."

وهو لا يسعى الى جمع ثروة، بدليل أن ما يتقاضاه للملعب الواحد يراوح ما بين أربعة آلاف دولار وأربعة عشر ألفا (وفقاً لحجمه والتجهيزات المطلوبة) أي نحو ثلث ما هو متداول في السوق.

في شهر أبريل (نيسان) ١٩٩١ عمد مزارعون هسبان[٢] في بلدة بلاينفيو الريفية بتكساس الى تثبيت ألواح خشبية بمسامير لاقامة ملعب لاولادهم أسوة بسائر الامريكيين، على أن يكون "نجم" الملعب نصب راعي بقر (كاوبوي) شارك الاولاد في تصميمه.

(٢) الهسبان متحدرون من امريكا اللاتينية.

ولدى اكتمال المشروع الذي أطلق عليه اسم "كيدزفيل"[٣] أقيم احتفال أطلق فيه ٢٠٠٠ بالون في الهواء قبل أن يبدأ ١٦٠٠ طفل عداً عكسياً بصوت واحد: "عشرة، تسعة، ثمانية،... ثلاثة، اثنان، واحد،" ويندفعوا الى أرض الملعب.

وعانق الآباء بعضهم بعضاً مزهوين بانجازهم وبفرحة أولادهم. وما ان جلست بربارة دورمان، منظمة المشروع، في أحد المقاعد الجديدة حتى دنت منها طفلة في السادسة من العمر ذات شعر أجعد وعانقتها قائلة: "شكرا لك،" ثم أسرعت عائدة الى الملعب.

فتمتمت بربارة وهي تغالب دموعها: "لقد نجحنا!"

سيبقى ملعب "كيدزفيل" عشرات السنين، لان كل ابتكارات بوب ليذرز، حتى تلك التي استهل بها عمله في الغابة المحيطة ببحيرة هولبروك، ظلت قائمة أطول مما قدِّر هو أن تدوم.

ماري موري ■

(٣) Kidsville اي مدينة الاولاد.



في انتظار الزبون

اتصل احدهم بمخزن ليسال عن حاجة يريد شراءها، فطلب اليه الموظف ان يتريث قليلا حتى يجيبه. فانتظر الرجل... وانتظر حتى عيل صبره. وفي النهاية غادر المنزل وقاد سيارته ثلاثة عشر كيلومتراً حتى بلغ المخزن. فترجل من السيارة واقترب من طاولة الهاتف مشيراً الى الضوء الأحمر الذي يومض على الجهاز، وصاح بالرجل المسؤول عنه: "اتعرف الشخص الذي ينتظر على الطرف الآخر؟ انه انا."

ك.م.

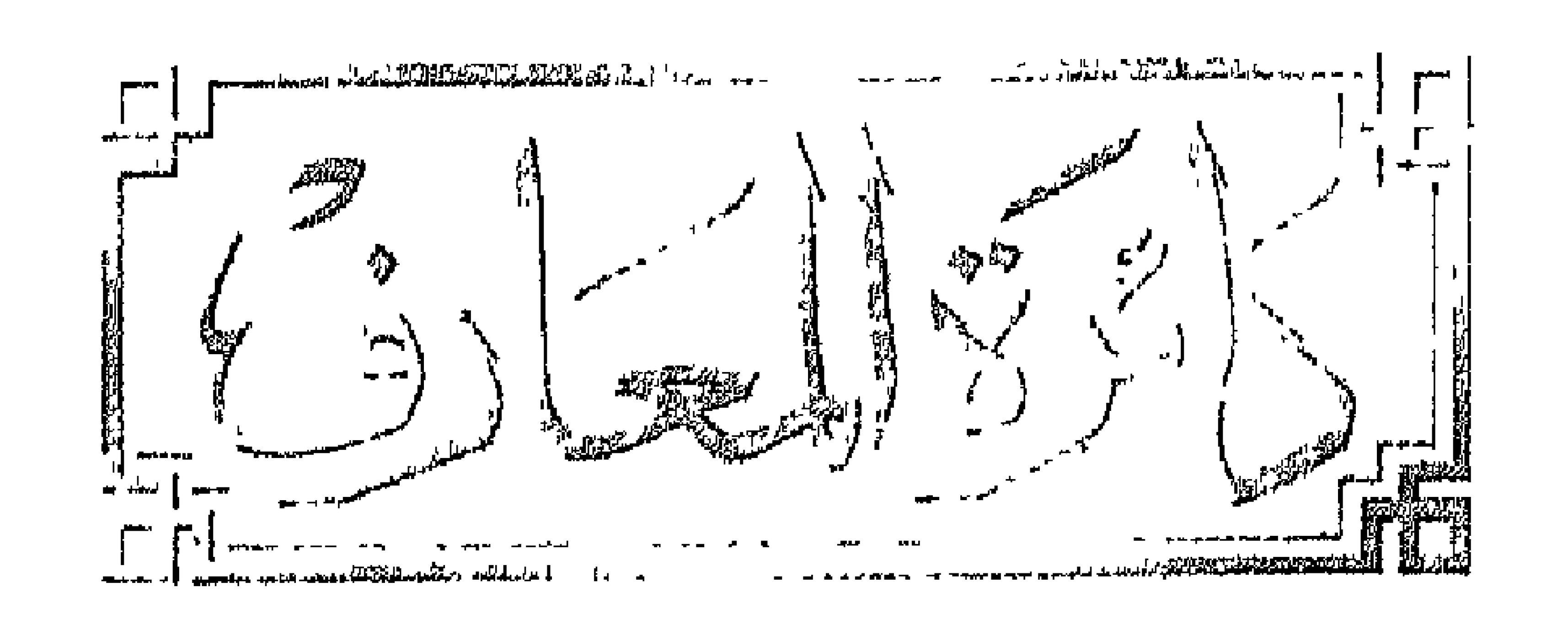
سيدة مزعجة

اصطحبت المراة طفلها البالغ ثمانية عشر شهراً في رحلة بالطائرة. واذ رأت وجوه الركاب وهم يشاهدون الصغير، فهمت ان عليها ان تبذل جهدها حتى تمنعه من ازعاج الآخرين، فراحت تقرأ له قصصاً وتلاعبه وتلهيه. وقبل نهاية الرحلة بقليل، ضاق بها ذرع احد المسافرين فصاح: "سيدّتي، من يزعجنا هو انت وليس ابنكِ!"

س.ر.

اللوم على النظر

تلقيتُ الكثير من الاتصالات الهاتفية التي تسال عن الدكتور خالد. واكّد جميع المتصلين ان الرقم الذي طلبوه هو عينه المطبوع على بطاقة الطبيب. وفي النهاية بحثت عن رقم الدكتور خالد في الدليل واتصلتُ به مستفسراً فاجاب ضاحكاً: "ليست المشكلة في الرقم المطبوع على البطاقة بل في الزبائن، فانا يا سيدي طبيب عيون."



أبو الحارث كنية الاسد، وأم الطعام كنية الحنطة، وابن الغمد كنية السيف، وابنة الجبل كنية الحية. هنا بعض كنى العرب.

أبو يحيى. يقال لقابض الأرواح: أبو يحيى، كما يقال للحبشيّ: أبو البيضاء، وللأعمى: أبو البصير.

أبو الذّبّان. كُنِي بذلك عبد الملك بن مروان لشدّة بَخَره وموت الذّبّان إذا دنتْ من فمه. ويحكَى أنه عضّ يوما تُفّاحة ورمى بها إلى بعض نسائه، فدعت بسكّين فقطعت موضع عَضّته، فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى. فطلّقها من وقته.

أبو البيضاء. كنية الحَبشيّ، كما يكنى المكفوف أبو البَصَر.

أبو طريف. كنية الفَرْج، وأنشدَ لابن أحمر.

قالت فأهدِ لنا إزاراً مُعلما
فأبو طريف ما عليه إزارُ

ويكنى أيضاً بأبيَ الجنيد، وأبى الزّردان، كما يكنى الذّكر بأبي جُمَيح، وأبي رُميح، وأبي عَوْف.

أبو ليلى. كنية لمن يحمّق، وكذلك أبو أدْراص، وقالوا: أبو دَفار.

أبو أيوب. كنية الجمل، وكذلك أبو صفوان.

أبو الأخطل. كنية البغل، وكذلك أبو قمُوص.

أبو بَراقِش. طائر منقش بألوان النّقوش يتلوّن في اليوم ألوانا، ويُضْرَب به المثل للمتلوّن.

أبو قَلَمون. هو في الثياب كأبي بَراقش في الطير، فإن أبا قَلَمون يتلوّن وأبا براقش يتخيّل، وأبو قلَمون: كنية لثياب إبرَيْسَم وكتّان تنسج بالروم ومصر، يضرب بها المثل، يقال: أكثر تلونا من أبي قَلَمون، كما قال الشاعر.

أنـا أبـو قَـلَمُـون
فـي كلّ لـون أكـونْ

أبو مُرّة. هو إبليس، وإنما يُكنَى بهذه الكنية، لأنّ الشيخ النجديّ الذي ظهر إبليسُ في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحدا على النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يكنى أبا مُرّة.

أبو عَمْرة. كُنية الإفلاس، وكُنية الجوع. قال أبو فرعون الشاشيّ:

إنّ أبا عَمْرةَ حلّ حُجْرتي
وحَلّ نسجُ العنكبوت بُرْمتي

أبو مالك. كنية الجوع، وكنية الكِبَر.

أبو عُذْرة. يقال: فلان أبو عُذْرة هذا الكلام، أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه إليه أحد. وهو مستعار من قولهم: هو أبو عُذْرتها، أي هو الذي افتضّها، ويقال: إنّ المرأة لا تنسى أبا عُذْرَتها.

أبو جَعْدة. كُنية الذئب.

أبو المَضاء وأبو طالب. الفَرَس.

أبو الحجّاج. الفيل، وبه يكنى في بلاد الهند.

أبو الحارث. الاسد.

أبو الحصين. الثعلب.

أبو زَنّة وأبو قيس. القرد.

أبو الوثّاب. الفهد.

أبو نبهان. الارنب.

أبو خداش. السنور.

أبو يَقْظان. الديك.
أبو الاخطل. البغل.
أبو جعدة. الذئب.
أبو غياث. الماء.
أبو جامع وأبو الخير. الخوان.
أبو جميل. البقل.
أبو نافع. الخل.
أبو مُسافر. الجبن.
أبو الخصيب. اللحم.
أبو عون. التمر.

أمّ المؤمنين. هي عائشة رضي اللّه عنها، وكلّ واحدة من أزواج النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم أمّ المؤمنين، لقول اللّه عز اسمه: ﴿النَّبيُّ أوْلَى بالمُؤْمنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وَأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُم﴾.

أم الرأس. هي أعلى الهامة وموضع الدّماغ من الرأس وما أحاط به، قال أبو الطيب المتنبي يصف القلَم:

نحيف الشّوى يعدو على أم رأسه
ويَخفَى فيقوَى عَدْوُه حين يقطَع

أمّ الطّعام. هي الحِنطة، لأنّ لها فضلا على سائر الحبوب.

أم عَوْف. هي الجرادة.

أم طلحة. هي القَمْلة.

أمّ مِلدم. هي الحمى، وفي رقْيَتها: الى أم مِلدم، التي تأكل اللحم وتشرب الدم.

أمّ قشعم. هي المنيّة والحرب والداهية الكبيرة.

أمّ طبَق. هي الداهية الكبيرة.

ومن كُنَى الدّواهي أمّ حَبَوْكَر، ومَنْ كناها أم الرُّبيق.

ومن كنى الدّواهي أمّ خَنْشَفِير، وأمّ أدْراص، يقال: وقعوا في أم أدراص، أي في موضع استحكام أمّ البلايا، لأن أم أدراص جحَرة للفأر لا يتخلّص منها اذا ارتطم فيها إلا بعد جهد، فأمّا أمّ الدُّهَيم وأمّ اللهيم فكنيتان من كُنى المنية.

ابن ذُكاء. هو الصّبح، وأبو ذُكاء: هو الشمس، قال الرّاجز:

فوردتْ قبل انبلاج الفجر
وابنُ ذُكاءٍ كامِنٌ في كَفْر

ابن الغمام. هو البَرَد، وقد أحسن ابنُ الرومي في قوله:

يُدْوِي الرجال ويَشفيهم بمبتسم
كابن الغَمام وريق كابنَة العنب

ابنُ جَلا. هو الذي أمره منجلٍ منكشف، قال الشاعر:

أنا ابن جلا وطلّاع الثّنايا
متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

ابن حبة. هو الخُبز، يقال له جابرُ بنُ حبة.

ابن الخَصِيّ. يُضرَب مثلا لما لا يجوز أن يكون، كما قال أبو تمام:

وذاك له إذا العَنْقاء صارت
مربيةً وشبَّ ابنُ الخصِيّ

ابن الغِمد. هو السيّف لطول ملازمته إياه وقراره فيه.

ابنا سمير. العَرَب تقول: لا أفعل ذلك ما سمر ابنا سمير، وهما الليل والنهار. وقيل: الغداة والعشِيّ.

بنو غَبْرَاء. هم اللصوص والصعاليك المُهتدون في مجاهل الأرض، والعالِمون بطرقها. وقيل: بل هم الفُقراء اللاصقون بالغبْراء من سوء الحال، على غير غِطاء ولا وطاء.

ابنة الجبل. هي الحية الصماء التي لا يقرُب أحد جبلها من خوفها.

بنت المنية. هي الحمى.

بنت الفكر. هي الرأي والشعر. قال بعض العصريين:

ودونك البكر بنت الفِكر قد برزت
من خِدرها تخدُم الأستاذَ سيِّدنا

بنات الدهر. حوادثُه ومصائبه.

بنات المنايا. هي السِّهام.

بنات الصّدر. هي ما يُضمره الانسانُ من الخير والشر.

بنات الخُدور. هي العذارى، ويقال لهنّ أيضاً بناتُ الحجال.



الدماغ الشافي: تقدم طبي يحقق عجائب

بينما كانت تامي دوميكل في نزهة مع خطيبها على طريق رئيسية، أغفى هذا وراء مقود السيارة فاصطدمت بحاجز على جانب الطريق. وأصيبت تامي بكسر بالغ في رقبتها وانسحق حبلها الشوكي.

وبعد سنة من العلاج الطبي بقيت تامي فاقدة الحس في ذراعيها وساقيها. وأفادها الاطباء أنها ستبقى مشلولة الاطراف الاربعة مدى الحياة، وأن الحركة الوحيدة التي ستستطيعها هي من الرقبة صعوداً.

اذذاك قصدت تامي العالم النفساني برنار براكر في مركز جاكسون ميموريال الطبي في جامعة ميامي.

وكان براكر يعمل على المرضى الذين يعانون تلفاً في الدماغ والحبل الشوكي، مطوراً علاجات ثورية مبنية على مبادىء التغذية الاسترجاعية الحيوية،[1] وهي طريقة لضبط الانظمة اللاإرادية في الجسم. وكان العلماء النفسانيون بدأوا في الستينات وصل الناس الى أجهزة

(1) Biofeedback

لمراقبة نبض القلب وموجات الدماغ، تبث اشارات مرئية أو سمعية تعكس ما يعتمل داخل الجسم. وقد تعلّم الخاضعون لهذه التجارب كيف يمكنهم، بالتركيز البحت، استخدام نبضات قلوبهم وغير ذلك من ردود الفعل الفيزيولوجية في تحريك قرص هاتف أو تغيير طبقة نغم ما.

لم يحظَ هذا العمل الرائد الا بقليل من الاهتمام الجدي اذ اعتبره خبراء الصحة من الأحابيل، كما اعتبروا أن من خضعوا له كانوا مجرد حقول تجارب تسعى الى الاثارة. وقد شرح براكر الامر بالآتي: "لقد اعتُبرت التغذية الاسترجاعية الحيوية وسيلة لايقاظ الوعي. وكان هذا كل نطاق استخدامها."

ولكن، مع التطور الذي نشهده اليوم في عالم الالكترونيات، استعادت التغذية الاسترجاعية الحيوية مكانتها اذ بات في وسع الكمبيوتر اختزان معطيات عن أي وظيفة في الجسم يمكن قياسها، كما بات في وسع الاجهزة التمييز بين الاشياء على نحو أدق يتيح للمرضى أن يشاهدوا على الفور كل المؤثرات البالغة الصغر التي تنجم عن جهودهم. وأهم هذه الاجهزة اثنان: الالكتروميوغراف[٢] الذي يُظهر النشاط الكهربائي لنوع معين من العضلات، والالكتروانسفالوغراف[٣] الذي يبين النشاط الكهربائي في الدماغ.

يقول براكر: "عندما يتعلم المرء ركوب دراجة هوائية ويرتكب أخطاء فانه يقع تكراراً. وهذا من باب التغذية الاسترجاعية الحيوية التي تتيح للدماغ، من خلال عملية التعلم، اجراء تعديلات الى أن يكتشف تركيبة الخلايا الصالحة لأداء مثل هذا العمل. وبفضل التغذية الاسترجاعية الحيوية يصبح المرء واعيا ما قام به الدماغ من تعديلات، فيستطيع التمييز بين الخطأ والصواب. وينطبع التصرف الصحيح في خلايا الدماغ المناسبة."

مجهر داخل الجسم. إن بعض النجاح الواضح الذي حققته التغذية الاسترجاعية الحيوية في بداية عهدها، كان في مضمار العلل المرتبطة بالاجهاد الذي ما إن يحدق بعقولنا حتى يولد توتراً عضليا مفرطاً ويرفع ضغط الدم. يقول ستيفن واكر مدير معهد روكي مونتنز للصحة والاداء في بولدر بولاية كولورادو، إن التنفس العميق وأساليب الاسترخاء، المترافقة والتغذية الاسترجاعية، تعلمنا السيطرة على الاجهاد بفاعلية وأمان.

في العام ١٩٩١ عالج واكر مديرة شركة كانت تعاني نوبات ربو حادة يزيدها الاجهاد سوءاً، فتضطر الى التغيب عن عملها أحياناً. وهي صرفت معظم حياتها تتناول أدوية لعلاج الربو كانت توهن قواها وتصيبها بالغثيان.

فعلمها واكر طريقة "إرخاء العضل تدريجا"[٤] وهي تقنية علمية مهدئة تعتمد شدّ كل العضلات وإرخاءها على نحو

(٢) Electromyograph (EMG)
(٣) Electroencephalograph (EEG)
(٤) Progressive muscle relaxation

تدريجي. وما إن أتقنت المرأة هذه التقنية حتى ربط واكر الى أصبعها مجسًّا[٥] لحرارة الجلد، والى جبينها وأعلى كتفها (حيث مواقع توتر العضل الرئيسية) إلكترودات[٦] جهاز إلكتروميوغراف. وعندما تم له ذلك، طلب منها أن تغمض عينيها وتتصور نفسها في وضع معاناة إجهادية.

تخيلت المرأة نفسها منخرطة في جدل حاد، فسجل كمبيوتر الالكتروميوغراف أصواتا سريعة عالية تشير الى حصول توتر عضلي، كما أصدر مجس حرارة الجلد أصواتا عالية مماثلة تشير الى حصول برودة في اليدين. وعندما شرعت المرأة في الاسترخاء وفق تقنية إرخاء العضل التدريجي، أصبحت الاصوات المنبعثة من كلا جهازي المراقبة أبطأ وأعمق، دلالة على انخفاض التوتر العضلي وارتفاع حرارة الجلد. وبتحويل المرأة تركيزها من الاجهاد الى الاسترخاء، بدأت تتغلب على ردود الفعل الناجمة عن الاجهاد.

وبعد جلسات دامت الواحدة منها ست ساعات، شعرت المديرة بانخفاض بارز في حدة نوبات الربو التي تنتابها، كما قل تغيبها عن العمل بنسبة ٧٥ في المئة.

يقول واكر: "أحست تلك المرأة للمرة الاولى أنها باتت قادرة على القيام بأمر ما من دون الاعتماد كليا على الدواء. فالتغذية الاسترجاعية الحيوية تسجل العلامات الدالة على الاداء لحظة فلحظة وكأنها مجهر قائم داخل الجسم."

عون للاولاد. ثمة نجاحات مماثلة تحققت لدى مرضى آخرين من طريق اعادة تدريب الموجات الدماغية لديهم. ففي جامعة تنيسي في نوكسفيل، يتولى العالم النفساني جويل ف. لوبار معالجة تدني الانتباه والحركة المفرطة[٧] لدى الاولاد، ليس بالادوية فقط، وانما بتعليمهم، ضبط ايقاعاتهم الدماغية من طريق التغذية الاسترجاعية الحيوية بواسطة جهاز الالكتروانسفالوغراف.

جيء الى لوبار مرة بتلميذ في العاشرة من عمره اشتهر في الصف بعدم الانتباه وبالحركة المفرطة. وكان معدل ذكائه فوق المتوسط، الا أن علاماته بقيت في مرتبة ما بين المعدَّل والسقوط. فأظهر فحص الالكتروانسفالوغراف أن التلميذ ولّد أثناء القراءة موجات ثيتا[٨] عالية، وهي ايقاعات دماغية بطيئة مترافقة وأحلام اليقظة، بدلا من موجات بيتا[٩] السريعة المترافقة والتفكير المركّز.

بدأ لوبار تدريب الصبي على التغذية الاسترجاعية الحيوية بوصل مجسّات الالكتروانسفالوغراف الى جلدة رأسه. فظهرت على شاشة الكمبيوتر دائرة خضراء مجسّمة أخذت تتسع وتضيق تبعا لنشاط موجات بيتا. وفي الوقت نفسه راحت نغمة ناي تعلو وتنخفض تبعا لهذه الموجات. وكان على الصبي، من خلال

(٥) Sensor . وهو جهاز تحسُّس.
(٦) الالكترود قطب كهربائي.
(٧) Attention deficit hyperactivity disorder
(٨) Theta waves
(٩) Beta waves

التركيز الثابت غير المضطرب، أن يحاول توسيع الدائرة ورفع نغمة الناي.

يقول لوبار: "كنا نعلمه التركيز واليقظة مع الاحتفاظ بهدوئه."

وعندما أنهى الصبي تدريبه بعد ستة أشهر، تحسن أداؤه المدرسي وبدأ ينال علامات ممتازة.

يقول لوبار: "متى استطاع الاولاد المصابون بخلل تدني الانتباه والحركة المفرطة، التحكم بنشاطهم الذهني، يتحسن سلوكهم ويبرز ذكاؤهم الفطري ويزداد احترامهم لذواتهم."

حركت ساعدها! يمثل برنامج العلاج الثوري الذي ابتكره برنار براكر الصورة الاكثر طموحاً للتغذية الاسترجاعية الحيوية في مجالها التطبيقي. فمنذ العام ١٩٨١ تمت معالجة نحو ٢٠٠٠ مصاب بالشلل في مختبراته. وقد أفاد ٩٠ في المئة منهم عن تحسن حالهم، بمن فيهم مشلولو الاطراف الاربعة.

عندما قصدَتْ تامي دوميكل عيادة براكر بعد سنة على حادث الاصطدام، كان الاطباء حكموا بأن معظم أعصاب حبلها الشوكي تالفة. الا أن فحصاً بجهاز الالكتروميوغراف أجري على عضلاتها الثلاثية الرؤوس[١٠] في ساعديها كشف بقاء أعصاب غير تالفة، بدليل أن ١٤ في المئة من الرسائل الكهربائية المنبعثة من دماغها كانت تمر عبر الحبل الشوكي.

تقول تامي: "لم يكن ذلك كافياً لبعث الحركة، الا أنه مدَّني بالامل."

اعتقد براكر أن نوى بعض خلايا أعصاب الحركة[١١] كانت لا تزال سليمة، وهذا يعني أن ثمة احتمالا لاستخدام تلك الخلايا بعد اعادة تدريب الدماغ على الوجه الصحيح. وفي أول جلسة تغذية استرجاعية حيوية خضعت لها تامي، وفيما الالكترودات مربوطة الى ساعدها، طلب منها أن تراقب خطاً أفقياً أزرق على شاشة الالكتروميوغراف يمثل تعليمات صادرة من دماغها الى عضلات ساعدها عبر حبلها الشوكي. وكان على تامي محاولة تحريك ساعدها لجعل الخط يرتفع. تقول: "ركزت على الشاشة فقط، وكنت كلما خطر لي رفع ساعدي أرى الخط يرتفع."

بعد ثماني جلسات وصل الخط قريباً من أعلى الشاشة، مما يعني أن ٨٠ في المئة من النشاط الكهربائي عاد الى طبيعته. لكن الحركة بقيت مفقودة. يقول براكر: "أعدنا وصل الدماغ الى العضلات، وبقي علينا تنمية القوة في العضلات الضامرة."

تتابعت الجلسات وواصلت تامي تركيزها لجعل الخط يرتفع. ويوماً بعد يوم أخذ اختصاصي بالمعالجة الفيزيائية يمرن عضلات ذراعها وفق عملية تدريجية بطيئة. وفي النهاية حركت تامي ساعدها، فهتف الحاضرون ابتهاجاً.

وتسارعت عملية اعادة التعلم، من ساعديها الى رجليها الى عضلات أخرى

(١٠) Triceps

(١١) Motor nerves

في أنحاء جسمها. وشهراً بعد شهر التزمت تامي دوميكل نظام حمية لا هوادة فيه.

واليوم، بعد ست سنوات على زيارة براكر، أصبحت قوة ساعد تامي فوق المتوسط، ولم تعد في حاجة الى كرسي متحرك. تقول: "أستطيع المشي حوالى ١٨ متراً مستعينة بالعصا فقط. وفي وسعي الذهاب الى أيٍ مكان اذا ما استعنت بعكازين. كما بتّ قادرة على رفع ٤٥ كيلوغراماً وركوب دراجة التمرين الثابتة يومياً مسافة تعادل سبعة كيلومترات."

عهد جديد. يقول الاختصاصيون بالتغذية الاسترجاعية الحيوية إن الوعد الذي تبشر به هذه التقنية لم يُسبر بعد. لكن مجال استخدامها علاجياً مذهل حقاً. ففي جامعة أيلينوي بشيكاغو، تستخدم في اعادة تأهيل عضلات الاشخاص المصابين بالسلس (العاجزين عن ضبط البول أو الغائط). وفي دراسات اختبارية أجريت على مدمني كحول وكوكايين، عرض يوجين ج. بنستون العالم النفساني السريري في بونهام بولاية تكساس، وبول ج. كولكوسكي العالم النفساني في جامعة سوذرن كولورادو في بويبلو، أهمية التغذية الاسترجاعية الحيوية في تخفيف الاجهاد الباطني والكآبة المعيقين لشفاء المدمن.

وقد يتنامى مجال استخدام التغذية الاسترجاعية الحيوية، خصوصاً اذا توافرت وحدات الكتروانسفالوغراف والكترومیوغراف نقالة تحرر المرضى من القبوع في المختبرات ساعات طويلة. ويقول العلماء النفسانيون أن لا حدود لامكاناتها.

أما برنار براكر فيقول: "إن التغذية الاسترجاعية الحيوية تقدم دليلا قاطعاً على ما يستطيعه الدماغ. لقد فتحت عهداً جديداً في مجال التعلم البشري."

ج. مورو وريك وولف ■

أهلا بعزيز

وصل النادل الشاب الى الطاولة حيث تجلس العائلة وقال: "مرحى، اسمي عزيز وسوف اكون نادلكم." فحدق اليه الرجل وقال: "مرحى، اسمي يوسف وسأكون زبونكم."

م.ش.

سكرتيرة ذكية

تلقت زوجتي بطاقة من عملها تدعوها الى حضور حفلة في ذكرى تأسيس الشركة، وكان تاريخ الحفلة مصادفا لليوم نفسه الذي ستضع فيه زوجتي طفلنا، فاتصلتُ بربّ عملها لاعتذر بالنيابة عنها، وحين شرحتُ الامر لسكرتيرته قال لي: "يا للأسف، لقد ابلغت الى المدير انه كان علينا ان نبعث بالبطاقات في وقت ابكر."

ب.ك.

الهرب

قررت المرأة مغادرة الجزيرة فهل يقبل زوجها الطيار بقرارها؟

تسللوا من البيت فرادى في الظلام، وركبوا الحافلة بصمت. لم يظهر أي ضوء من نوافذ المنازل القريبة. لكن نينا كارازانا ارتأت أنه إذا كان ثمة من يراقبهم فسوف يفترض أن مجموعتها المؤلفة من ١٦ شخصا هي في طريقها الى نزهة في العراء. وكانت حددت لكل شخص بالغ حقيبة ظهر واحدة.

شقت الحافلة طريقها بحذر عبر طرق هافانا الكئيبة الخالية نحو الميناء، حيث انتظرتها مجموعة ثانية. وبعدما صعدت هذه المجموعة المؤلفة من ١٥ شخصا الى الحافلة، اتجه السائق نحو منتجع فاراديرو البحري على مسافة ١٥٠ كيلومترا شرقا.

كانت المجموعة تضم ٢٢ بالغا و٩



إلى الحريّة

أولاد بينهم طفلان. جلس الرجال والنساء يحدقون الى الحقول التي تمر بهم وقد انحفر القلق في الوجوه، فيما راحت نينا (٤٤ عاما) تراجع الخطة في رأسها مرة تلو أخرى. اذا لم يخذلهم حظهم فسوف يحققون أكبر هروب جوي جماعي في تاريخ عمليات اللجوء الكوبية المشحونة بالعذاب.

توقفت الحافلة في فاراديرو في تمام السابعة صباحا، وكان في انتظارها زوج نينا جيرمان بومبا في زي الطيران الابيض الانيق.

قفز جيرمان الى الحافلة وقبّل زوجته، ثم تطلع نحو الجماعة مستغربا: "كل هؤلاء؟ كنت أتوقع ٢٤ شخصا فقط!" ثم هز كتفيه ردّاً على نظرة اعتذار من



زوجته. فالحمل كبير على الطوافة، لكن وقت التراجع فات. فأعلن بحزم: "علي أن أختار بقعة لهبوط الطوافة."

ابتعد السائق بالحافلة عن الشاطىء ماراً بمزارع وأجمات من الصنوبر والنخيل. "هناك!" قال جيرمان مشيراً الى مساحة معشوشبة مرتفعة قليلا. وأضاف: "عليكم أن تبقوا مختبئين حتى نحط بالطوافة."

أخلى الركاب الحافلة بسرعة، ثم أقل السائق جيرمان وادواردو ابن نينا البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً وصديقه راوول الى مطار فاراديرو وأنزلهم هناك. وكان الشابان يرتديان قميصين أبيضين وقد علقا أشرطة ذهبية على أكتافهما ايهاما بأنهما مساعد الربان ومهندس الطوافة.

حيا الحارس في المطار جيرمان، وهو وجه مألوف لديه، فيما لم يعر الآخرين سوى لمحة عابرة، إذ كان مساعدو الربابنة والمهندسون يتبدلون بكثرة في مطار فارادیرو.

قاد جيرمان رفيقيه مباشرة الى الطوافة السوفييتية الصنع من طراز «Mi-8» التي تتسع لثمانية عشر راكباً وتحمل على جانبها شعار "الخطوط الجوية الكوبية." فتسلقها الثلاثة وشد ادواردو وراوول الأحزمة فيما تفحص جيرمان أجهزة الطيران. أمسك بيده اليسرى عصا القيادة وضغط باليمنى مفتاح الاشعال.

كانت الاستجابة صمتاً مطبقاً. جرب ثانية. لا شيء. عرف في تلك اللحظة أن الطوافة عطلت عن قصد وتساءل في سره: "هل كانوا يشكون في الأمر؟"

أعاد جيرمان مفاتيح الاجهزة الى مواضعها الاساسية بسرعة وأمر الرجلين الآخرين: "أخرجا من هنا بسرعة!"

فقفز الثلاثة الى الأرض وساروا بهدوء ورباطة جأش الى مبنى المطار.

جلست نينا بين الأشجار تغالب الذعر. لقد عاد السائق ولم يشر الى أي عقبة. لكن نصف ساعة مضى، فأين هي الطوافة؟

تطلعت بيأس نحو ابنتها اينوفا (٢٤ عاماً) التي وقفت تحتضن طفلتها انديرا ابنة الخامسة. لقد خططت نينا واينوفا لهذا اليوم، وعانتا من أجله، فماذا حدث؟

"**سوف أهرب.**" كانت اينوفا بكت في أكتوبر (تشرين الاول) السابق وهي تقول لأمها: "ماما، لم أعد أستطيع الاحتمال. فلا طعام لدينا ولا كهرباء ولا أمل. إنني لا أرى مستقبلا لطفلتي هنا."

كانت اينوفا تعمل في منتجع للسياح الذين يحملون العملات الصعبة ويذكّرونها دائما بحياة الحرية والبحبوحة التي يتمتع بها الأجانب. وكانت في المقابل تحس قرفا من حال الحرمان والقهر في كوبا. فأعلنت لأمها: "سوف أهرب في قارب. وسآخذ طفلتي معي."

"لا!" صرخت نينا، "فالتيارات خطرة."

لكن اينوفا أصرت قائلة: "لقد أمنت الوسيط، وهو يعمل للحصول على قارب."

قالت نينا: "أقسمي لي بأنك ستنتظرين. أريد أن أجد طريقة تمكن عائلتنا كلها من الرحيل."

فردت اينوفا أخيرا: "حسناً، سوف أنتظر، ولكن لمدة قصيرة."

علمت نينا بأنباء انهيار الانظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية وبتفكك الاتحاد السوفييتي. أما كوبا فتركت في عزلة سياسية ووضع اقتصادي منهار يزداد سوءاً باستمرار.

كان الكوبيون محظوظين إن حصلوا على جراياتهم المؤلفة من أربع بيضات و٢٢٥ غراماً من الدجاج في الأسبوع ورغيف خبز واحد يومياً. وكانت الانارة مقننة وساعات الكهرباء مراقبة ومن يتخطى حصته يقطع عنه التيار. فكرت نينا بحنق: "كل ما نسمعه أكاذيب. أكاذيب. أكاذيب!" وانضمت الى اينوفا في عزمها على الهرب. إنما كان عليها أن تقنع زوجها أولا.

صوت من الماضي. كان جيرمان بطل حرب وحامل أوسمة كثيرة. وكان طيار استطلاع وإنقاذ سبق أن قاد طوافات «Mi-8» ضد الثوار في أنغولا. أما الآن فقد أُلحق بخطوط الطيران الكوبية. وتساءلت نينا: "ماذا سيكون ردّ فعله؟"

بدأت نينا تختبر ميول زوجها بالشكوى من الأحوال المعيشية. كما كانت تبقي "راديو مارتي" (صوت أمريكا) مفتوحا عندما يعود الى المنزل. وكان الاستماع الى تلك الاذاعة مخالفة للقانون، لكن جيرمان لم يبد احتجاجا.

ذات ليلة سمع جيرمان صوتاً مألوفاً من ماضيه. انه صوت الرائد أوريستس لورنزو قائده السابق الذي هرب الى كي وست في فلوريدا في مارس (آذار) ١٩٩١. تحدث لورنزو عن اضطهاد الشرطة الكوبية لزوجته وطفليه الصغيرين. وكان فرض على أفراد عائلته فقر مدقع، وأخبروا أنهم لن يغادروا كوبا أبداً.

بعد نهاية البث قال جيرمان معلقاً: "لا يجوز تفريق العائلات. يجب أن يسمح لهم بالمغادرة اذا كان هذا ما يريدون."

كان صوت لورنزو يسمع عبر الاذاعة تكرارا وهو يحض مواطنيه على تقصي الحقائق. ولقي كلامه استحسانا في نفس جيرمان.

أحست نينا في أواخر نوفمبر (تشرين الثاني) أن الأوان قد آن، فقالت لجيرمان: "إنني خائفة فعلا. اينوفا تعتزم الهرب الى أمريكا في قارب. فلم لا نذهب كلنا ونأخذ الطوافة؟"

رد جيرمان بصوت مذهول: "لا أمل في ذلك، العملية صعبة جداً."

خفق قلب نينا، فزوجها اعترض على استخدام الطوافة لا على فكرة الرحيل.

فيما كان جيرمان ينقل السياح من

مطار فاراديرو واليه، أخذ يتفحص فكرة نينا ويدرس طريقة تنفيذها ويلاحظ مواقع ممهدة بين الأشجار شمال المطار حيث يمكنه أن يحط بالطوافة الضخمة. وقال في نفسه متأملا: "قد لا تكون العملية بتلك الصعوبة."

ذات يوم من منتصف ديسمبر (كانون الاول) عاد الى المنزل حازما أمره، وقال لزوجته: "نينا، أظن أن هناك طريقة تمكننا من تنفيذ ما تقولين."

فغمرتها السعادة ونقلت الخبر الى أولادها الاربعة وبعض من أصدقائها الذين كانوا يشاطرونها رأيها.

وقبل عيد الميلاد بيومين استدعي جيرمان الى هافانا حيث قلد وساما لخدمته المميزة للثورة. وفكرت نينا: "من الذي سيشك في بطل قومي؟"

حدد يوم ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ موعداً للهرب. فبقيت المجموعة الأولى في منزل نينا تنتظر حلول الرابعة صباحا موعد لقاء المجموعة الثانية. وكان الاصدقاء الاساسيون في الخطة استقدموا أفراداً آخرين من عائلاتهم فلم تقدر نينا على رفضهم. حتى السائق الغافي في حافلته وافق على نقلهم شرط أن ينضم اليهم ويحضر معه شقيقه.

الجمعة أو أبداً. في المطار، توقع جيرمان و"مساعداه" رؤية رجال الأمن يهرعون للقبض عليهم. لكن أحداً لم يطلق انذاراً. وبقي جيرمان في المطار فيما غادر رفيقاه للالتحاق بالمجموعة. وصرخت نينا عندما رأتهما: "ماذا حدث؟"

فردّ ادواردو: "لم نستطع تشغيل الطوافة. لا تقلقي، جيرمان بأمان."

ثم حضّ الثلاثة أفراد المجموعة على ألا ييأسوا، وقرروا العودة الى المنزل ريثما يأتيهم خبر من جيرمان.

شدّد جيرمان من عزيمته في انتظار مساعديه الحقيقيين. وبعيد العاشرة صباحا تبع مهندس الطيران الى قمرة القيادة في الطوافة. فمدّ هذا يده الى جيبه وأخرج صماما كهربائياً لا يتجاوز طوله ٢٥ مليمتراً وغمغم وهو يعيد تركيبه في جهاز الاشعال: "هناك كثير من الغرباء في هذا المكان، وقد يحاول أحدهم سرقة طوافتنا."

غمرت جيرمان موجة ارتياح وقال في نفسه: "اذاً ما زلنا بعيدين عن الشك." وفي آخر النهار طلب صماماً جديداً وبدأ يخطط للمحاولة التالية.

وحين همّ بالمغادرة طلب منه رئيسه أن يطير الى هافانا في اليوم التالي لاجراء عملية صيانة للطوافة. فكاد قلبه يقفز من بين ضلوعه. ترى، هل يشك رئيسه في شيء؟

أكمل الرجل حديثه بعفوية: "لن يستغرق الأمر طويلا. يمكنك إعادة الطوافة يوم الخميس." فقرر جيرمان: "الجمعة أو أبداً!"

نهار الجمعة اختار جيرمان مهبطاً آخر أصغر مساحة تحسباً لتسرب خبر عن المحاولة. وكانت خطوط كهرباء ثخينة

ممدودة في البقعة، لكنه قدر أن شفرات المروحة ستمر على بعد ٩ أمتار منها.

زيادة في الحمولة. في مخبأ بين الأشجار كانت نينا والآخرون ينتظرون سماع هدير الطوافة بتوتر وآذان صاغية. ثم اشتدت حماستهم، إذ كان الصوت يقترب متصاعداً ومعه العصفور الأبيض الضخم بطول ١٨ متراً يطير أفقياً على مستوى رؤوس الأشجار ثم يميل ليحط ويلامس الأرض.

تطلعت نينا الى أعلى وأحست بالاختناق خوفاً. فعاصفة الهواء التي أثارتها الطوافة حركت خطوط الكهرباء في رقصة عنيفة. واذا قطعت شفرات المروحة الخط "الحي" (المشحون) فقد تقتلهم الصدمة جميعاً. للحظة سمر الذعر الجميع، غير أن الطوافة حطت بسلام. وركض الاولاد والنساء في اتجاه بابها المفتوح. وتبعهم الرجال بسرعة وشقيق جيرمان في المؤخر.

انتظر جيرمان أخاه ليرفع السلم ويغلق الباب، ثم دفع المحرك الى أقصى طاقته وقد ارتسم التصميم على وجهه. حرك عصا القيادة برفق الى اليمين، ثم سحب العتلة التي تتحكم بالارتفاع.

ارتفعت الطوافة بتثاقل بضعة سنتيمترات فقط. زيادة في الحمولة! أحس جيرمان بتوتر. وبدا الأمر كأنما الطوافة مشدودة بأغلال. ارتفعي! واستمر قابضاً على العتلة حتى ارتفعت الطوافة فجأة بعيداً عن خطوط الكهرباء. ارتاح جيرمان مستنداً الى مقعده، وحوم فوق الاشجار حتى استقر مؤشر البوصلة على الدرجة ١٥ شمالاً. وكان جيرمان رسم خط طيران الى ميامي مستعيناً بخريطة جوية لجنوب فلوريدا. كان هدفه مطار تاميامي الخاص خارج المدينة على مسافة ٢٧٥ كيلومتراً. وكانت ساعته تشير الى الثامنة الا ربعاً صباحاً، فقدر أنهم سيصلون قرابة التاسعة اذ كان يطير بسرعة ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة.

كادت الطوافة تلامس سطوح القرميد في فاراديرو وهي تنطلق عبر الشاطىء، ثم هبط بها جيرمان الى ارتفاع ثلاثة أمتار عن مياه المحيط الذي أضاءته الشمس لتبقى في مجال رصد الرادار



نينا كارازانا وحفيدتها في الولايات المتحدة.

PHOTO: © C.M. GUERRERO / MIAMI HERALD

الكوبي. كان الركاب يشغلون كل مقعد. وكان بعضهم راكعاً في الممر. اما نينا فجثمت خلف زوجها مركّزة عينيها على الأفق مثله. وهي لم تنظر الى الخلف مرة.

ذات الثوب الابيض. "استعدوا! هدف جوي على بعد ٣٠ كيلومتراً جنوباً من ماراثون كي."

لدى سماع هذا الامر هرع رينه موراليس، الطيار التابع لمصلحة الجمارك الامريكية، ومساعداه، الى طائرتهم ذات المحركين النفاثين من طراز "سيتايشن" وانطلقا من قاعدة هومستد الجوية لاعتراض الهدف.

ظهرت النقطة على شاشة الرادار بعد لحظات، فثبت ما كان متوقعا: "طائرة تحلق على علو منخفض. لا اتصال على الراديو، ولا خط طيران معلناً. مهرّبو مخدرات؟"

في هذه الاثناء، بدت للعيان طوافة بيضاء كادت تلامس مياه المحيط. انحدر موراليس بطائرته ليلقي نظرة عن كثب، فرأى شارات الخطوط الجوية الكوبية.

ولمح خلف النوافذ وجوه نساء وأطفال يلوّحون له.

قابلهم موراليس، الأمريكي الكوبي الاصل، بابتسامة عريضة وهو يكاد لا يصدق عينيه. إنهم فارّون من كوبا! فاستدار بطائرته فرحاً، ثم تبعهم.

أما داخل الطوافة فكان الرجال يتصافحون والنساء يبكين. وهمست اينوفا وهي تضم طفلتها: "وصلنا يا حبيبتي. وصلنا أخيراً!"

بعد التاسعة بدقائق رأى جيرمان مدرج تامياميي العريض وحط أمام برج المراقبة. كانت يد نينا في يده. وأحسا طوفاناً من السعادة.

ما إن ذاع الخبر حتى توافد الامريكيون جماعات: مسؤولون ورجال شرطة وصحافيون ومصورون. وبعد دقائق وطىء الكوبيون أرض مطار تامياميي.

ثم وقف الجمع يراقب امرأة في ثياب بيضاء تنزل من الطوافة والدموع تنهمر على وجهها لتركع وتقبّل الأرض.

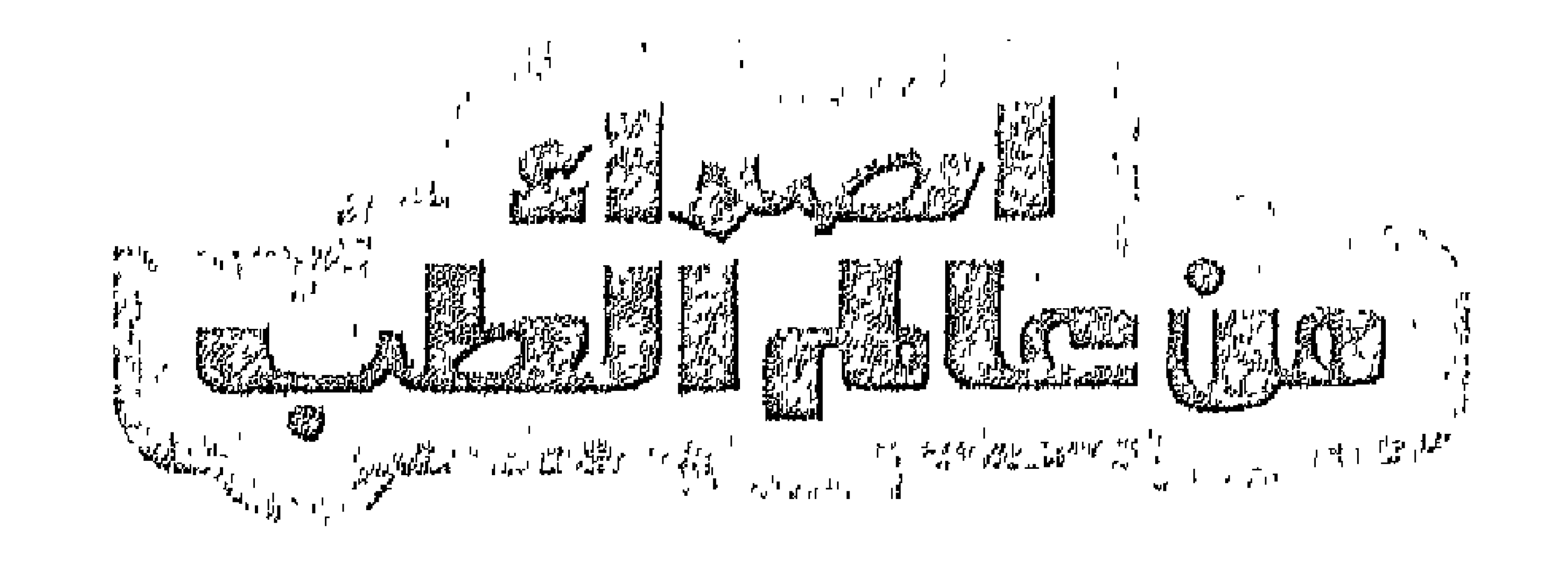
بيتر مايكلمور ■

انذار خادع

ركَّب والدي في المنزل جهاز انذار شمل صفارة قوية ركزت على السطح. وذات ليلة أفقنا على صفارة انذار مولولة. وبعد تاكدنا من عدم وجود لص في المنزل، هرع والدي الى صندوق التحكم لايقاف الصفارة، ثم قطع كل الاسلاك المتصلة بالصندوق، لكن الصفارة لم تتوقف. فقطع التيار الكهربائي عن المنزل بكامله، وما زالت الصفارة تدوي.

كاد والدي يجنّ من الاحباط. فخرج يستكشف الصفارة على السطح، فاذا بها ساكتة تماماً. لكن صفارة الجيران كانت لا تزال مولولة في ظلام الليل.

س.أ.



احتمال الاصابة بمرض الزهايمر

■ لطالما قلق اقرباء مرضى الزهايمر من احتمال اصابتهم هم بالمرض. وكان المحللون في السابق يقدرون ان اولاد المريض بالزهايمر واحفاده معرضون لان يرثوا قابلية للمرض بنسبة ٥٠ في المئة من الحالات، لكن احد الباحثين عمد اخيراً الى تحليل هذه الاحتمالات في شكل اعمق واكتشف ان الوضع ليس قاتماً الى هذه الدرجة.

يقول الدكتور جون برايتنر من المركز الطبي في جامعة ديول في كارولينا الشمالية ان الاحتمال الاكثر واقعية لاصابة اولاد مرضى الزهايمر واحفادهم لا يتجاوز ١٩ في المئة، والابناء وابناء الاخوة والاخوات بنسبة ١٠ في المئة، اما الذين لا اقرباء لهم مصابين بهذا المرض فلا يتجاوز احتمال اصابتهم نسبة ٥ في المئة.

ويفسر برايتنر استنتاجاته بالقول ان تقدير نسبة الخمسين في المئة النظري، افترض على نحو غير واقعي معدل عمر يمتد من ٩٠ الى ٩٥ سنة، وان هذه النسبة وان تكن تصل بالفعل الى ٥٠ في المئة لدى الاولاد والاحفاد عند بلوغهم سن التسعين، فخطر احتمال تطور المرض لدى هؤلاء قبل السن السبعين قليل جداً. ومع ان قلة ضئيلة من الناس تتعرض للاصابة بالمرض في الاربعينات والخمسينات من عمرها، فان اعراض المرض لا تظهر في شكل نموذجي قبل السن السبعين او الثمانين. ويضيف برايتنر: "من غير المتوقع ان يمتد العمر بالغالبية من اقرباء المصابين بالمرض الى حد يكفي لتطور المرض."

باتريشيا لونغ في "صحة"

قناع للتنفس

■ ابتكرت في المعهد الوطني للصحة والابحاث الطبية في باريس طريقة جديدة تغني عن جراحة تفتح شقا في القصبة الهوائية لادخال الهواء عبر انابيب للمرضى الذين يعانون حالات شديدة من ضيق التنفس. وكان الامر في السابق يتطلب ادخال المصاب في حالة متقدمة من هذا المرض الى مستشفى ووصله بجهاز تنفس اصطناعي. اما طريقة المعالجة الجديدة والتي باشر استخدامها البروفسور الاين هارف وفريقه في جامعة هنري موندور في كريتاي على مقربة من باريس، فتسمح للمريض بالتنفس عبر قناع بسيط. اذ يقيس صندوق تحكم متصل بالقناع عبر انبوب، كمية الهواء التي يتنشقها المريض ويتولى نظام كومبيوتري داخل الصندوق مد رئتي المريض، حسبما تدعو الحاجة، بالهواء من منافث غاز داخل الجهاز.

وفي دراسة اجريت على ٢٦ مريضاً، هبطت نسبة اللجوء الى فتح شق في القصبة الهوائية لادخال انابيب جهاز التنفس الاصطناعي من ٨٥ الى ٨ في المئة، كذلك خفضت مدة بقاء المريض في المستشفى الى النصف.

عن البطاقات العلمية لدى "اينسرن"

خرافات شعبيّة

المعارف الشعبية هي في أحيان كثيرة أحاديث خرافات



قُبلت مئات الامثال السائرة على أنها حكم شعبية، لكن كثيراً منها خاطىء كلياً. الآتي عيّنة من المفاهيم الشعبية. فأي منها صحيح؟

١. تحاشَ السباحة ساعة بعد الأكل.

هذه واحدة من الحكم الشعبية سادت منذ نصف قرن عندما نشرت منظمة الصليب الاحمر الامريكي دليلا للاسعافات الأولية يدعي أن التشنجات المعديَّة والموت المحتمل تنتظر السباح الطائش الذي يتجه من المائدة مباشرة الى حوض السباحة.

ولكن في العام ١٩٦١ كتب الاختصاصي بالفيزيولوجيا الرياضية آرثر شتاينهاوس مقالا في مجلة "الصحة والتربية البدنية والاستجمام" جاء فيه أن فكرة "التشنجات المعدية" في ذاتها أمر مشكوك فيه وأن "رياضيين كثيرين أفادوا أنهم طالما سبحوا مسافات طويلة بعد تناولهم الطعام مباشرة." واستشهد شتاينهاوس بقول لأحد كبار المدربين: "لم أشهد أبداً تشنجات معدية مع أنني راقبت مئات ألوف الاشخاص وهم يسبحون بعد تناولهم الطعام مباشرة."

٢. كلما قُص الشعر نما أسرع.

عندما يبدأ الشعر النمو ثانية، قد يبدو

أقسى لقصره وتساوي طوله. لكن سرعة نموه لا تتغير.

٣. الجزر يقوي النظر.

يحتوي الجزر على مادة البيتا – كاروتين التي يحولها الجسم الى فيتامين "أ." ولما كانت شبكية العين تحتاج الى هذا النوع من الفيتامين، فإن حرمانها الكامل منه يسبب عمىً ليلياً.[1] لكن في الجسم احتياطاً ضخماً من هذه المادة مختزناً في الكبد، ويمكن استمداده من أنواع مختلفة من الطعام. ولا خطر حقيقياً في تناقصه، على الاقل لدى شعوب الدول الصناعية. لذلك فان تناول الجزر لن يفيد النظر عملياً.

٤. القراءة في الظلام تتلف العينين.

قولوا لامهاتكم إنهن مخطئات. فالقراءة في ضوء خافت لا تؤذي العين أكثر مما يؤذي الكاميرا التقاطُ صورة في ضوء خافت.

٥. الطعام الغني بالتوابل مؤذ للمعدة.

رغب ديفيد غراهام، وهو اختصاصي بأمراض المعدة والامعاء، في تسجيل ما يحدث لغشاء المعدة عندما يتناول الناس أطعمة غنية بالتوابل. فقدَّم هو وزملاؤه الى عدد من الاشخاص الاصحاء أطعمة راوحت بين وجبة خفيفة، وأخرى خفيفة مع ستة أقراص أسبيرين، وبيتزا متبَّلة حارَّة، وعشاء مكسيكي غني بالتوابل.

استخدم الباحثون صباح اليوم التالي منظار فيديو،[2] وهو أنبوب بصري ليفي يبتلعه المرء، لمراقبة غشاء معدة كل من المشاركين في التجربة. فتبين أن الذين تناولوا الاسبيرين أصيبوا بندوب صغيرة في غشاء المعدة الواقي، فيما لم يصب أي من الآخرين بأذى.

لقد درس غراهام حال أشخاص أصحاء. ومن الافضل لمن يعانون قرحة تناول وقعات خفيفة. أليس كذلك؟

لا، ليس بالضرورة. فقد عمد اختصاصيون بأمراض المعدة والأمعاء في الهند عام ١٩٨٦ الى رش ثلاثة غرامات من مسحوق الفلفل الحار يومياً على طعام ٢٥ مريضاً بالقرحة، فيما أعطوا ٢٥ مريضاً آخر الوقعة الهندية اياها خالية من الفلفل. وبعد أربعة أسابيع تبين أن أغشية مِعَد الذين تناولوا الفلفل الحار لم تتأثر، كما شُفيت قرحاتهم بالسرعة إياها التي شفيت بها قرحات مَنْ تناولوا وجبات خفيفة.

٦. قد تصابون بالزكام إنْ تعرضتم للبرد.

يصاب عدد أكبر من الناس بالزكام في الشتاء مما في الصيف، لكن ذلك لا يعني أن البرودة هي المسؤولة. فالطريقة الوحيدة للاصابة بالزكام هي التقاط الفيروس المسبب لأحد أنواعه. وليس

(١) Night blindness
(٢) Video endoscope

للطقس البارد أي تأثير سوى جمع الناس معاً مدداً أطول، الامر الذي يزيد من احتمال انتقال العدوى.

هناك مَنْ يفترض أن التنقل من دون معطف يخفض درجة المقاومة وينقص بالتالي فرص مكافحة الفيروس. لكن الابحاث القليلة المتوافرة حول هذه المسألة تشير الى أنْ ليس لدرجة الحرارة أي تأثير فعلي. في العام ١٩٥٨ عُرِّض أكثر من ٤٠٠ شخص لعدوى الزكام في حرارة بلغت ١٢ درجة مئوية تحت الصفر وهم مرتدون معاطف ثقيلة، ولحرارة راوحت بين ١٥ و٢٧ درجة مئوية وهم في ثيابهم الداخلية. فأصيب الجميع بالزكام بالمعدل ذاته. وبعد عشرة أعوام أظهرت تجربة مماثلة أن التعرض لدرجات حرارة متدنية لم يزد حالات الزكام المتعمَّدة.

٧. النساء عاطفيات أكثر من الرجال.

يتضمن الدور الانثوي النموذجي مسائل "الحضانة" و"العطف" و"الشعور المرهف" و"حدس المرأة." ولكن هل تجسد النساء هذه النواحي أكثر من الرجال؟

تُظهر الأبحاث أن الاجابة عن هذا السؤال معقدة. اذ عندما يُطلب من الاطفال أن يتخيلوا مشاعر شخص آخر، يُظهر الصبيان المهارات ذاتها التي تظهرها البنات. وعلى نحو مماثل، لم يُظهر اختبار أجري على ٢٠٠ بالغ أي فروق في القدرات الحدسية ترتبط بجنس المشترك. ومن ناحية أخرى، تظهر الدراسات أن النساء أقدر قليلاً على تفسير حركات الجسم وتعابير الوجه ونبرة الصوت.

٨. البدر يصيب الناس بالجنون.

حاول كثيرون اتهام القمر بحضّ الناس على ارتكاب جرائم. إلا أن معظم الدراسات، خصوصاً الحديثة، لم تجد أي ترابط يذكر بين الامرين.


وقد اطلع بعض الكتّاب على عدد المصابين الذين يُحضرون الى أقسام الطوارىء في المستشفيات وعلى حوادث الاغتيال وكوارث القطارات. والنتيجة: لا شيء.

وفي مراجعة منهجية لنتائج ٢٧ دراسة، لم يتمكن جايمس روتون (من جامعة فلوريدا الدولية) وايفان كيلي (من جامعة ساسكاتشوان) وهما باحثان مثابران على التحقيق في ادعاءات الجنون القمري، من اكتشاف أي دليل على تأثير خاص للقمر.

يقول كيلي: "ينزع الانسان بطبيعته الى المحاباة. فلئن آمن شخص بأن للبدر تأثيراً في الناس، فسيكون أكثر حذراً وسيراقب ما يحدث. إلا أنه لن يجد من يقول: يا لها من ليلة هادئة، مع أن القمر بدر في تمامه!"

ألفي كون ■

العقل هو الجهاز الذي نعتقد بواسطته اننا نفكّر. امبروز بيرس


خاص - ١
طريق الحرير
على خطى ماركو بولو
بقلم فرغوس م . بوردفيتش
OTO: COMSTOCK

طريق الحرير

رحلة زاخرة بالاثارة والغرابة
على عظمى الطرق التجارية في العالم القديم

بدأت رحلتي على طريق الصين ذات صباح خريفي في مدينة بشاور الباكستانية. كانت الاكشاك (الدكاكين) الركيكة التي أحاطت بي في بازار قيسا خواني[1] مثالاً للتناسق والعنف المتلازمين في هذه المنطقة الحدودية الآسيوية المرتجلة. كان حرفيون بلحى مسترسلة يطرقون ألواحا من الذهب الى زخارف عربية بسماكة الورق، فيما جيرانهم يخيطون أجربة لرشاشات الكلاشنيكوف من الفينيل الاصفر الليموني. وعلى مقربة منهم حلاقون أقاموا حوانيت في الزوايا يقصون فيها شعور مقاتلين أفغان عائدين من الجبهة التي تبعد عشرات الكيلومترات غربا.

وسط الدكاكين هناك، حيث تباع الاواني النحاسية والعمامات وأحزمة الرصاص والمسابح والصنادل، طالعتني صورة عالم مختلف، وأذهلني أن أرى في متجر يبيع أدوات منزلية لوحة رائعة لقصر الامبراطورة الأم في بكين منسوجة من الحرير، أيقظت فيَّ صورة أرض كعالم أحلام بدت لي بعيدة جدا.

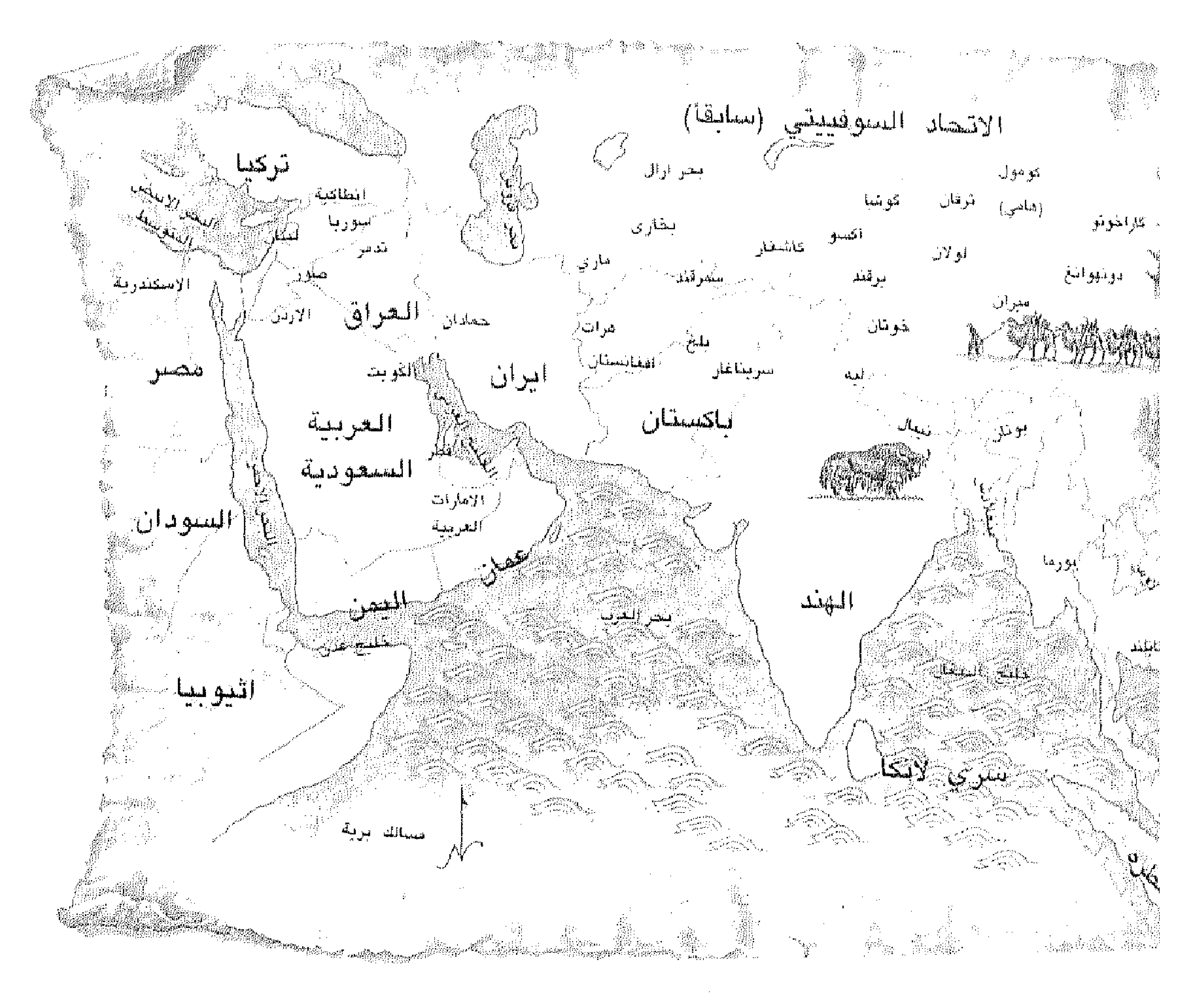
تلك الارض كانت مقصدي.

كنت أقف في تلك اللحظات على مفترق أعظم طريق تجارية في العالم القديم. انها "طريق الحرير" التي ربطت الصين وروما على امتداد قرون طويلة ببلاد فارس والسهوب الروسية وشبه القارة الهندية. وحين شقت طريق كاراكورام السريعة في العام ١٩٨٦ وفتحت الصين أبواب مقاطعتها الغربية القصية[2] للاجانب، بات ممكنا عبور الجزء الاكثر صعوبة واثارة للمرة الاولى منذ ٤٠ عاما.

سوف أمضي مسافرا على خطى ماركو بولو[3] أتبع طريق الحرير الممتدة مسافة ٦٥٠٠ كيلومتر على طول الضفة العليا لنهر الهندوس، عبر وادي هونزا الذي كان

---

(١) البازار سوق شرقية.
(٢) كانت تعرف باسم إقليم سينكيانغ - ويغور المتمتع بالحكم الذاتي.
(٣) ماركو بولو ١٢٥٤ - ١٣٢٤ رحّالة فينيسي قام برحلة الى الصين.

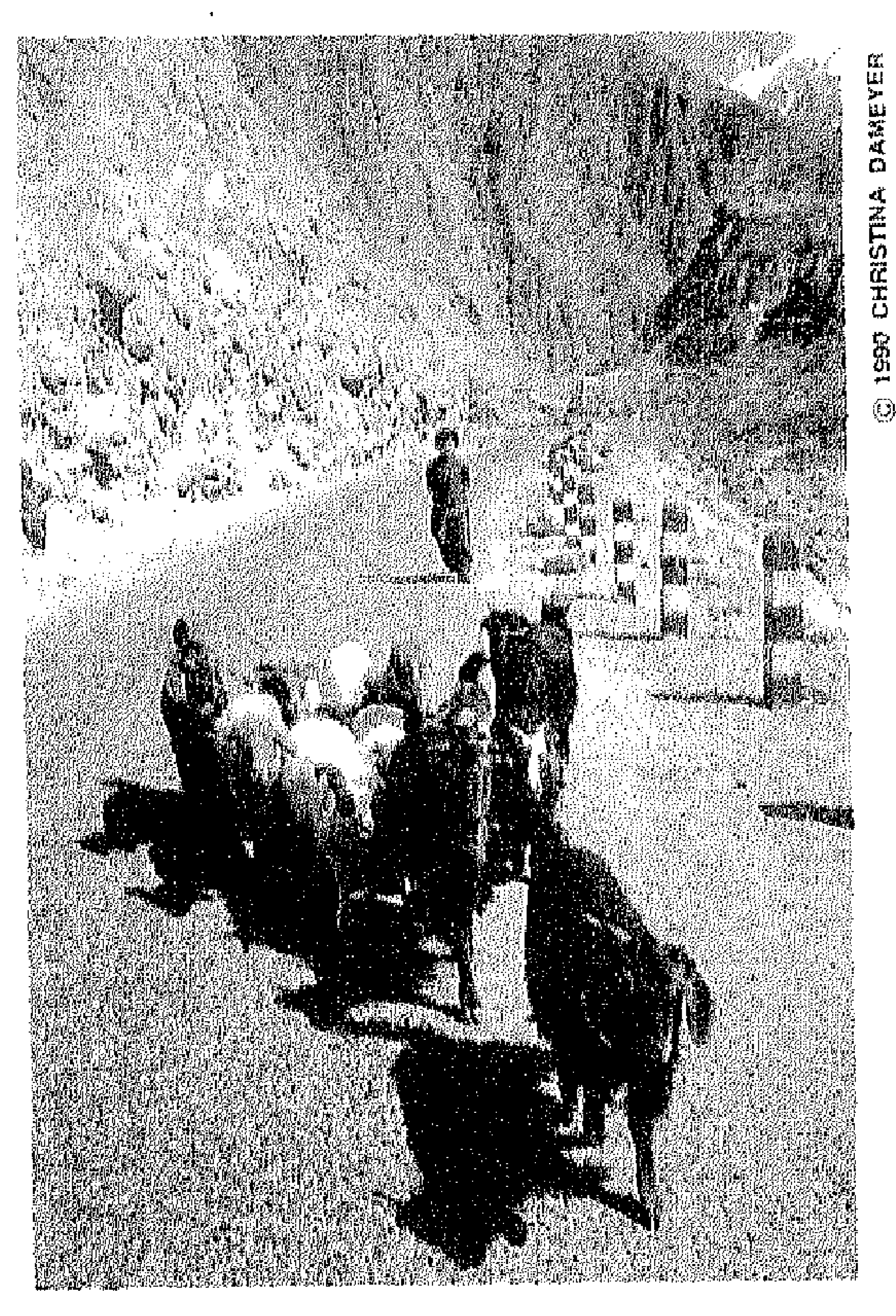


اختراقه شبه مستحيل في زمن ما، وذاك الممر في جبال كاراكورام (قره كورام) الذي يعلو ٥٠٠٠ متر، وصولا الى تركستان الصينية والتفافا حول أطراف صحراء تكلاماكان الى واحة دونهوانغ المنسية منذ عصور، وأخيراً الى شيان عاصمة سلالة تانغ الصينية (٦١٨ - ٩٠٧ ميلادية) ومنتهى طريق الحرير في زمن مجدها.

حرير روما

شُقّت طريق كاراكورام الحديثة السريعة بفضل جهد مشترك بين الصين وباكستان. واستغرق بناؤها قرابة عشرين عاماً، كانت فرق العمال خلالها تحفر الاسس في الصخر كيلومتراً بعد كيلومتر. وكانت الدولتان خاضتا مناوشات حدودية قصيرة مع الهند في الستينات، وصممتا الطريق كممر استراتيجي يسمح للواحدة منهما بتعزيز حليفتها وتموينها في حال تجدد النزاع.

في القرون الخوالي، كان توق روما الى الحرير الصيني هو الذي أدى الى توسيع



راع وقطيعه على طريق كاراكورام في باكستان.

الطريق العظيمة. كانت الثياب الحريرية آنذاك غالية الثمن الى حد أن الامبراطور تيباريوس حاول سنة ١٤ (ميلادية) منع الرجال من ارتدائها، لكن جهوده ضاعت بدليل أن الأديب الروماني بلينيوس الأصغر كتب بعد قرن شاكياً من أن استيراد الحرير ووسائل الترف الأخرى يستنزف ١٠٠ مليون سسترس[٤] من خزينة الدولة سنوياً، كما شاع في وقت لاحق أن الحرير كان يباع في روما في مقابل وزنه ذهباً.

وتنتج الحرير دودة القز التي تتغذى بورق التوت، فتطرى شرنقتها القاسية بالماء الغالي ثم تحل بجهد كبير الى خيوط يمكن نسجها أثوابا. وكان الحرير منذ أقدم الأزمنة احتكاراً رسمياً في الصين وعنصراً أساسياً في الاقتصاد، الى حد أن الضرائب والرواتب ومعاشات الجنود كانت تدفع أثواباً من الحرير. وقد حمى الصينيون سر انتاج الحرير قروناً، وكان الناس في البلاد الأخرى يظنون أنه ينمو على الاشجار... الى أن تمكن راهبان – كما تقول الأسطورة – من حمل بعض دود القز حيا الى القسطنطينية في عصيهما المجوفة في القرن السادس الميلادي، ومن ثم انتشرت صناعة الحرير في العالم.

ولطالما نقلت منتجات أخرى على طريق الحرير. فقد صدرت الصين (أو آسيا الوسطى) الى الغرب الورق والطباعة والقوس والنشاب والبارود والنباتات المحلية مثل الورود والأقحوان والخوخ والاجاص، فيما حملت القوافل المتجهة الى الصين الذهب وحجر اليشب (الجاد) والصوف والكتان والمرجان والكهرمان والتين والزجاج. وعبرت الطريق ديانات عدة: المسيحية النسطورية من الغرب، والاسلام من الشرق الاوسط، والمانوية من بلاد فارس، والبوذية من الهند، وهذه حولت منحى الفكر الصيني الى الأبد.

استأجرتُ سيارة "فيات" هرمة وانطلقت من بشاور عبر بلدات بيوتها من طين،

(٤) السسترس عملة رومانية قديمة.

حيث تعرض في واجهات الاكشاك بنادق رشاشة للبيع، وحيث تحمي المتاريس منازل أنيقة يسكنها تجار السلاح والمهربون الذين اعتادوا منذ القدم التجول بحرية في مناطق الحدود الشمالية الغربية بعيداً عن رقابة السلطة. وعلى مسافة أقل من ساعة في السيارة الى الشمال من بشاور، طالعتنا الجبال بدءاً من ممر ملقند بتشكيل فوضوي من الحجار والصخور البركانية فرض على البنائين شق الطريق الضيقة عبر منحدرات شبه عمودية وحول منعطفات حادة خطرة وصولا الى معقل شاهق من البيوت ذات الأبراج وحقول صخرية ينمو فيها القمح أخضر ساطعا. فجأة، صار الهواء خفيفاً وشديد البرودة فيما غصت الحقول بالصبايا القرويات.

لمحت على جانب الطريق تمثالا مقطوع الرأس محفوراً في الصخر، فخطرت ببالي قصة هسوان تسانغ، رحالة القرن السابع، الذي شد رحاله من شيان الى الهند سعيا الى النصوص الأصلية للبوذية ليعود بها الى المملكة الوسطى. وفي الطريق نفق حصانه وتخلى عنه أدلاؤه فيما حذره أحد المسافرين من أن الدرب محفوفة بالعفاريت والرياح النارية. لكنه تابع سيره بعزم مدفوعاً بايمانه ووصل الى الهند حيث أمضى عشرة أعوام قبل أن يعود الى الصين بحمل من المخطوطات الثمينة مشدود الى ظهره، عابراً هذه الطريق ومارأ على مقربة من قلب مرتفعات كاراكورام الشاهقة.

جهد سائقي محاولا تجاوز شاحنات ضخمة هي وريثة قوافل الجمال من الأيام الخوالي. كل واحدة منها مزينة بصور انطباعية رسمت على جوانبها، من طيور منقضة ونمور واثبة الى مساجد وقباب ومآذن، وهي تنقل أكداسا من البضائع ورجالا معممين متمسكين بجوانبها أو بسقوفها متحدين قوانين الجاذبية عند كل منعطف. كانت طبيعة الارض تزداد وعورة، وكنا في كثير من الأحيان نضطر الى قيادة السيارة بحذر حول جلاميد ضخمة انهارت على الطريق. وأطلت علينا مجالد[٥] من فوق المنحدرات الصخرية، ورأينا أنهاراً زمردية تشق طريقها في صخور الأعالي لتتساقط عشرات الأمتار قبل أن تصبّ في مياه نهر الهندوس الرمادية.

معمّرون

وصلت الى هونزا في حلكة الظلام لاكتشف فوضى من الاكواخ تبعث على الكآبة بدلا من البلدة التي توقعت رؤيتها. فجأة برز وجه أسمر مرح قرب نافذة السيارة ليعلن بالانكليزية: "لا يمكن السيارة أن تتابع الطريق يا سيدي!" فنزلت متثاقلا واستأجرت سيارة جيب من طراز "ويليس" تصلح لمتحف بناء على اصرار الشاب الذي علمت لاحقا أنه يدعى أمير خان.

(٥) المجلدة (glacier) نهر جليدي.

انطلقنا في درب محفرة على طرف هوة تكاد لا ترى ذات انحدار سحيق الى درجة أنني وجدتني مستلقياً على ظهري في مؤخر الجيب محدقاً الى النجوم عبر وجه السائق القرصاني المظهر. وتناهى الى مسمعي من الخلف صوت حسبته صوت مذياع، لكن أمير خان تطوع ليقول لي: "ليس هذا صوت راديو، إنه صوت صاحب السيارة!" كان ما سمعته صوت رجل تعلق بمؤخر الجيب على نحو لا يمكن تصوره، متمسكاً بطريقة لا يمكن فهمها. وسرعان ما اتضح سبب اتخاذه هذه الوضعية، اذ عندما واجهت السيارة مقطعاً من الطريق لولبياً وأشد انحداراً من ذي قبل، وثب صاحبنا الى الامام لينبطح على مقدم السيارة محاولا منعها من الانقلاب الى الخلف.

وبعد دقائق خلتها دهراً وصلت الى خان مريح دافىء حيث تناولت العشاء، وكان وليمة جبلية من الملفوف المسلوق ولحم الضأن.

تكشّف ضوء الفجر عن مدرج رحب من الطبقات الصخرية شديد الانحدار مكسو بالثلوج يحيط بواد ملتف كأفعى يحتضن بساتين من الفاكهة غنية بالمشمش والتفاح والدراقن والجوز والعنب الأبيض النضر. وكانت الجداول الجليدية تسيل من القمم البعيدة وتشق طريقها عبر غابات من شجر الحور.

من حصن بالتيت على الحافة فوق الأكواخ الطينية حيث كانت بلدة كريم أباد عاصمة الهونزا، حكم أمراء الهونزا واديهم حتى السبعينات من هذا القرن عندما أحكمت باكستان سلطتها عليهم.

ويحيط الغموض بأصول الهونزوكوت، كما يسمي السكان المحليون أنفسهم. فبعضهم سود الشعر بارزو الحاجبين متحدرون من القبائل التركية التي اكتسحت معظم آسيا الوسطى قبل ألف عام. على أن الغالبية تبدو، في ما عدا ملبسها الذي يشبه البيجاما، أوروبية المظهر الى حد مذهل.

ووادي الهونزا نموذج مثالي لأرض "شانغريلا"[٦] الخيالية التي خلّدها جايمس هيلتون في الثلاثينات في روايته الكلاسيكية "الأفق المفقود" التي تروي قصة غربيين جيء بهم الى واد في التيبت يعمّر حكامه قروناً لأنهم لا يعرفون الطمع ولا الخوف ولا الغضب ولا التنافس. شانغريلا هي طبعاً تصور نقي لفكرة البراءة والخلود، لكن كثيرين من الهونزوكوت يعيشون فعلا الى أعمار غير مألوفة.

أعلن أمير خان ليلة وصولي: "لم تقع هنا جريمة قتل واحدة منذ مئة عام يا سيدي! لا أثر للجريمة اطلاقا، فنحن شعب مسالم يا سيدي!" وأخبرني أن جده بلغ من العمر ١١٥ عاماً، "وهو لا يزال يعمل يا سيدي." ثم تبيّن لي أن أمير هذا، الذي لازمني طوال إقامتي في الهونزا، هو شاب طموح في الثانية والعشرين من العمر يدرس الانكليزية

(٦) Shangri — la





منظران في شوارع كاشغار الصينية حيث يتابع الويغوريون طرق حياتهم القديمة في عالم لم يتغير الا قليلا منذ زمن ماركو بولو.

ويكتب مقالات لصحف باكستانية حول شؤون "الاقتصاد والتجارة والانفتاح على العالم عبر طريقنا السريعة الحديثة يا سيدي!"

أخذني أمير ذات صباح لرؤية جده شايتام خان. وأخبرني، حين جمعنا مع جمهرة من الاقرباء في يكة صفصاف ممتدة من منزل شايتام الحجري حتى الشارع، أن جده "يحب الجلوس في العراء."

كان شايتام، الذي ما زال يفلح مصاطب حقوله يدوياً، ذا وجه لوحت الشمس والريح ملامحه القاسية، تعلو رأسه كتلة من الشعر الابيض القاسي نفرت خصل منه من تحت قلنسوة صوفية بيضاء كأنها قشرة عرنوس ذرة يابسة. سألت شايتام عن سبب طول أعمار الهونزوكوت، فأجابني من دون تردد: «نحن لا ندخن، ونأكل جيداً، ونحتسي شراب المشمش كل صباح. وهذا الشراب هو السبب الأهم."

سألته: "وما رأيك في الطريق السريعة الجديدة؟" ظاناً أنه سيبدي أسفه لتدنيسها حرمة الوادي وصفاءه. لكنه فاجأني بجوابه: "إننا نحبها! كان الواحد منا يمتطي حصانه لأسابيع اذا رغب في الذهاب الى أي مكان. أما الآن فإنه يركب حافلة ويزور من يشاء في غضون ساعتين. كما صار في امكاننا الآن أن نأتي بالرز والطحين والزبدة من المناطق الواطئة البعيدة، وهي مواد لم نكن نعرفها من قبل. وأفضل ما في الطريق أنها تأتي بالأجانب الذين يصرفون المال هنا ويجعلوننا أغنياء. من الحماقة ألا نحبها!" فوجدت من الصعب مناقشة منطق عنيد كهذا. وتذكرت أن شانغريلا ليست الا جنوح خيال انسان أجنبي.

PHOTOS: FERGUS M. BORDEWICH

عند الفجر، في جو رذاذي حجبت ضوءه السحب، حشرت نفسي في سيارة الجيب التي أقلتني مسافة ١٠٠ كيلومتر شمالا الى مركز الجمارك الباكستانية في سوسته. في الماضي، عندما مر الرحالة هسوان تسانغ بهذا المكان، كتب يصفه: "ليس فيه أثر لنبات، إنه مجرد كتلة صخرية تراكمت عشوائياً فوق صخور، وكيفما اتجهت بدت لك المسلات الحجرية الناحلة كأشجار غابة تعرت من أوراقها."

بدا لي هذا الوصف غريباً، الى أن تباعدت السحب لتكشف امتداداً جبلياً كأنما مزقته مخالب عمالقة. فرأيت حولي في كل الاتجاهات غابات من القمم الصخرية المستدقة كالمسلات، تشبه أرض أحلام من هياكل صينية متعددة الأدوار وكاتدرائيات قوطية وقصور أسطورية ذات أبراج شاهقة تعلقت بينها جليديات بيضاء بعيدة.

واكتشفت أن سوسته ما هي سوى نثار من مواقف للحافلات وثكن للشرطة وسقائف لرجال الجمارك، حيث ينتظر التجار الباكستانيون، مرتجفين من البرد، حافلات تقلهم عبر ممر خونجيراب الى الصين. إن هؤلاء الهونزوكوت الهزيلين الطوال القامة، والبنجابيين البدناء بشواربهم الطويلة المتباهية وسراويلهم الفاتحة اللون، هم الخلف الحقيقي للرحالة ماركو بولو والتجار الذين عبروا هذه الطريق قبل أكثر من ألفي عام. لكنهم يحملون الآن، بدلا من الحجار الكريمة والأفاويه، الملابس القطنية الرخيصة والمعاطف الصوفية والساعات لمقايضتها بالحرير في بازار كاشغار.

بازار فجائي

وقفت في سوسته على ملتقى حضارات ثلاث أضرب رجلي بالأرض اتقاء للبرد. وتصورت الشرق الاوسط الاسلامي الى الغرب، وشبه القارة الهندية جنوباً، والى الشرق صين الأباطرة وكونفوشيوس وماوتسي تونغ. فجأة قطع علي حلمي دوي بوق سيارة، وللحال دبت الحركة في زمر من التجار الباكستانيين راحت تدفعني وتشدني وتستحثني نحو حافلة غاصة بالركاب. ثم وجدت نفسي محشوراً مع ستة مسافرين أخرين على مقعد مصمم لأربعة. كانت ركبنا مشدودة الى صدورنا حين هدرت الحافلة متجهة الى خونجيراب التي أعاد اسمها الرهيب – ممر الدم – الى الذاكرة قصص قطاع الطرق الذين كانوا الى نصف قرن مضى يستوطنون منحدراتها.

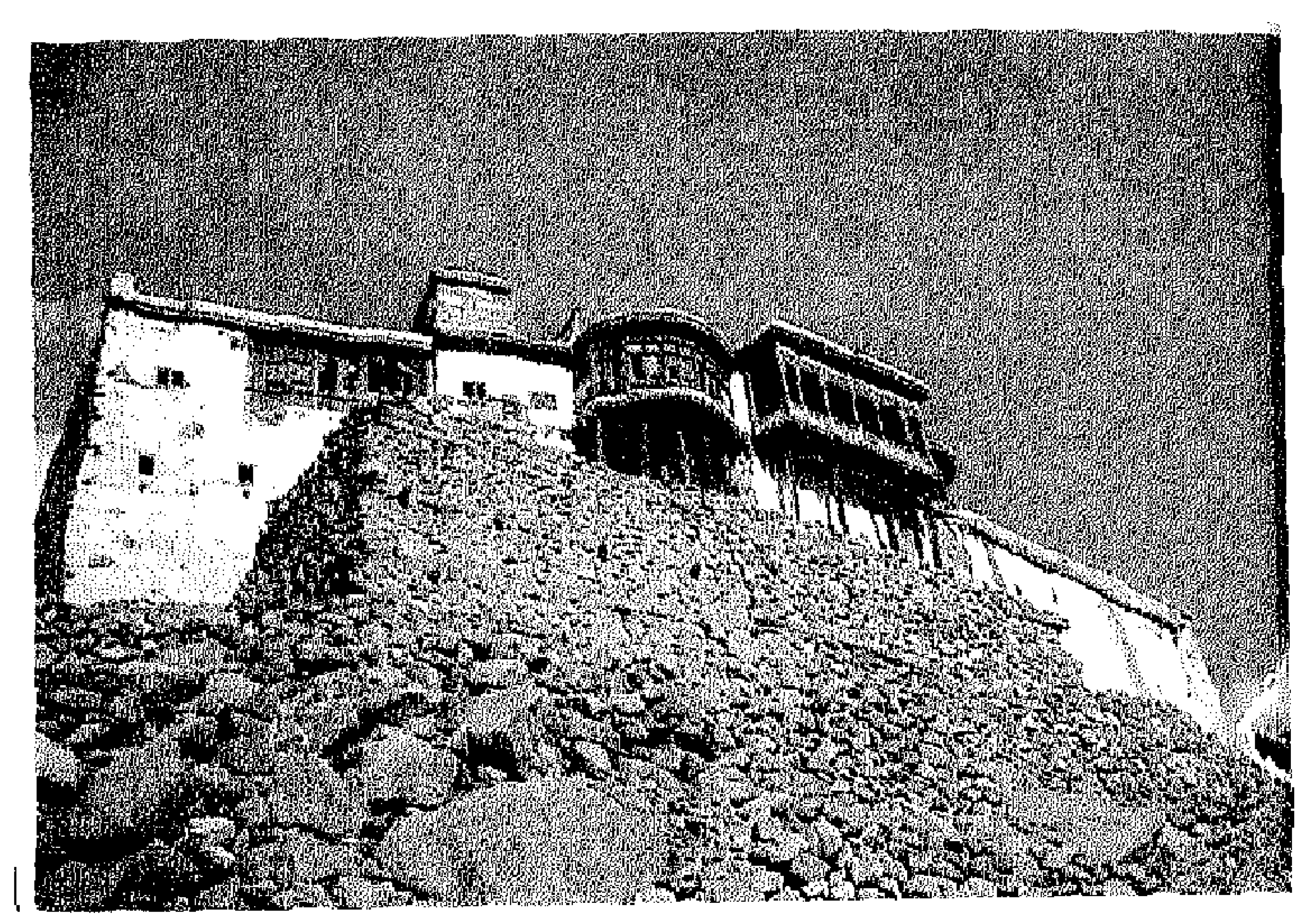
تعرجت بنا الحافلة صعوداً لأكثر من ساعتين متثاقلة وسط قفر من الصخور الحمراء المنهارة من قمم يصل ارتفاعها الى ٧٦٠٠ متر. وفي محاذاة الطريق كانت مياه نهر الهونزا تهدر عبر ممر ضيق مليء بالحجار. ولم يكن يميز الحدود، عندما وصلنا، سوى عمودين بسيطين من الاسمنت على قمة هضبة جرداء ذرتها الريح.

ها انذا، أخيراً، في الصين!

بعد ليلة استراحة في مدينة تكسكورغان انطلقنا مع الفجر في منحدر لولبي، ببطء هذه المرة، عبر مراع جبلية قارسة البرودة حيث كان قطيع من الياك، ثيران التيبت الضخمة، يرعى بين خيام بدو طاجخستان السوداء. ولم يستثر مرورنا لدى جمال باكتريا ذوات السنامين سوى نظرة ازدراء خاطفة.

توقفت الحافلة ظهراً وسط مجموعة متناثرة من الأكواخ المبنية بالطوب، لتتحول الطريق بازاراً مرتجلاً، إذ ظهرت من حيث لا أدري جمهرات من الرجال الطاجخستانيين المفلطحي الوجوه الحمر الخدود، بقلنسواتهم الفرائية السوداء، مع زوجاتهم بطماقاتهن القرمزية وقبعاتهن المزينة بالخرز.

أخرج الباكستانيون من حزمهم كدساً من السترات والمعاطف القطنية، فيما راح رجال الهونزوكوت بوجوههم الصقرية الملامح يتراقصون وقد فتحوا معاطفهم وبسطوا أذرعهم لعرض السترات التي كان كل منهم يرتدي نصف دزينة منها لاخفائها عن عيون رجال الجمارك الصينيين. وكانوا يلوحون بتشكيلات من جوارب النيلون وحزم من ساعات اليد. ومع تصاعد حدة المساومات بثلاث لغات – الأوردية والصينية والتوركية المحلية – كان الناس، بائعين وشارين، في حالة هرج ومرج من الرأسمالية البدائية. أخيراً أعلن دوي بوق الحافلة نهاية مفاجئة للبازار، وخلفنا رجال طاجخستان وراءنا في صمت المراعي.



قصر أمراء الهونزا.

أقليات عرقية

"تبدو كاشغار لمعظم الناس مكاناً بربريا نائيا، فهي على مسيرة خمسة أسابيع أو ستة من أقرب سكة حديد في الهند، عبر ممرات جبلية يزيد علوها على ٤٥٠٠ متر. أما بالنسبة الينا، فقد كان اسمها الهمجي يعني الحضارة. كانت نشوة الوصول لا تضاهى. فقلة من الناس استمتعت بالاستحمام يوما أكثر منا، نحن الذين لم نستحم مرة طوال خمسة أشهر ونصف شهر." هذا ما كتبه الصحافي والمغامر البريطاني بيتر فليمنغ لدى وصوله الى الموقع في العام ١٩٣٥ قادماً من بكين، قاطعاً معظم الطريق على صهوة حصان. أما وصولي

فكان أقل بهرجة وإن تساوينا في الشعور بالارتياح حين بدأت الواحة تتبدى لنا كجزيرة خضراء في الصحراء، ثم ظهرت شجرات الحور الباسقة تحف بالطريق المعبدة في صفوف مهيبة، وامتدت خلفها حقول القطن والذرة. وشاهدنا عربات صغيرة تجرها حمير متبخترة تنقل أحمالا من البصل والخيار والعنب عبر أفنية مزارع مصونة بحيطان من الطين، تطل من خلفها بساتين كثيفة من أشجار التفاح والخوخ.

كاشغار صينية بالاسم فقط. فمقاطعة سينكيانغ فسيفساء من الأقليات العرقية، أكثرها عدداً الويغور، وهم شعب يبلغ تعداده سبعة ملايين أي ٤٥ في المئة من سكان المقاطعة، ويتكلمون التوركية. ويشكل العرق الصيني الآن ٣٨ في المئة. أما البقية فتضم أوزبكيين ناطقين بالتوركية وبدواً من الكازاخ والقرغيز وطاجخستانيين يتكلمون الفارسية ومسلمين صينيين يعرفون باسم "هوي."

حكم الصينيون مقاطعة سينكيانغ فترات متقطعة منذ عهد سلالة هان (٢١٠ ق.م. – ٢٢٠ م.) وأعاد المانشويّون[٧] توطيد سلطة الحكومة المركزية في القرن الثامن عشر، ليعود الصينيون ويخسروها مع انهيار حكم المانشو خلال ثورة ١٩١٢ عندما حاول الروس ملء الفراغ السلطوي. في أثناء ذلك كانت الثورة مستعرة. وفي العام ١٩٣٣ قتل الثوار كثيراً من سكان المدينة من العرق الصيني. وأخيراً تنازل ستالين عن المطالبة السوفييتية بمقاطعة سينكيانغ كمبادرة ديبلوماسية تجاه الحكومة الشيوعية الصينية الجديدة بقيادة ماوتسي تونغ.

ومنذ الخمسينات، عمل الصينيون لدمج هذه المنطقة النائية المتمردة في بقية الاراضي الصينية. وساعد انشاء خط حديد يصل العاصمة الاقليمية أورومتشي بالداخل الصيني في ربط اقتصاد المنطقة بالاقتصاد القومي على نحو أوثق. في أثناء ذلك جُنِّد أبناء الأقليات المحلية في مؤسسات الحزب الشيوعي حيث يشغلون الآن نحو ٤٥ في المئة من المراكز القيادية.

إلا أن ثمة توتراً عميق الجذور ما زال قائماً بين الويغوريين والصينيين. ويبقى الجيش في سينكيانغ بإمرة صينية. وخلال الثورة الثقافية في أواخر الستينات دمر الماويون عدداً كبيراً من الجوامع في المقاطعة ذات الغالبية المسلمة، وأحرقوا الكتب المقدسة ومنعوا إقامة شعائر العبادة واقتادوا الزعماء الدينيين الى معسكرات العمل. وحاولت السلطات الصينية خلال العقد الأخير تعويض المقاطعة بإعادة بناء نحو ٨٠٠٠ جامع وبرفع نظام الملكية الجماعية لقطعان الماشية عن البدو وباعادة فتح الاسواق الشعبية للمبادرات الخاصة. مع ذلك استمرت أعمال الشغب والتمرد ضد

(٧) المانشو شعب متشوريا المنغولي، غزا الصين وانشأ فيها سلالة عام ١٦٤٤.

الحكم الصيني في السبعينات وأوائل الثمانينات واستؤنفت في العام ١٩٩٠. وفي العام ١٩٨٨ تظاهر الطلاب الويغوريون في أورومتشي ضد التجارب النووية الصينية في قاع بحيرة لوب نور الجافة في سينكيانغ. وكان وويز كايكسي أبرز زعماء الثورة الطالبية التي عمت بكين في العام ١٩٨٩، وهو شاب ويغوري من سينكيانغ فتن الجماهير ويعيش الآن منفياً في الولايات المتحدة.

الداخل مفقود!

يشكل الويغوريون في كاشغار أكثر من ٨٠ في المئة من السكان. وهم يتجاهلون الصينيين ويتابعون طرق حياتهم القديمة. وعندما خطوت الى بازار المدينة المترامي الأطراف، دخلت عالماً يكاد لا يختلف عما كان في زمن ماركو بولو. كان ثمة حرفيون يمشطون الفرو ويعدون قوالب من اللباد ويقطعون أشرطة من جلد الغنم لصنع القبعات، مستخدمين قداديم قد تكون شهدت زيارة الرحالة الفينيسي. وكان آخرون ينحتون الخشب الطري مغازل وبكرات أو يطرقون حدوات خيل من الفولاذ المحمى أو يشحذون الخناجر أو يصبغون السروج الخشبية بأشكال زاهرة.

أما بازار الملابس فكان نفقاً من الألوان حيث جلس التجار بقبعاتهم المصنوعة من صوف خراف بخارى (القركول) وقد تشرنقوا وسط لفات الأنسجة المتنوعة، من مخمل قرمزي ودانتيلا خضراء وليمونية ولامية ذهبية ومطرزات مقصبة زرقاء، فيما راح عمال من القرغيز ذوي الصدور العارية يجرون عربات مثقلة بأحمال الحرائر المتعددة الألوان وسط بحر من الشاريات. وشقت جمهرة من التجار الباكستانيين الدهاة طريقها وسط الجموع ككاسحات ألغام بحثاً عن فضلى الصفقات. وفي كشك بائع حرير التقيت أحد الهونزوكوت وهو يتفحص لفة حرير أبيض لماع، فقال: "إننا نشتري المتر بمبلغ ١٢ روبية[٨] ونبيعه في منطقتنا بنحو ٣٦." كان الرجل يسافر برفقة ثمانية تجار باكستانيين آخرين يتوقع كل منهم، كما قال، أن يحقق ربحاً مقداره ٦٠ ألف روبية باستثمار مقداره ٨٠ ألفاً. أما نسبة الربح الصافي فتتوقف على ضباط الجمارك في سوسته. قال التاجر: "إذا صادف لدى عبورنا الى باكستان أن كان الضابط المسؤول نسيباً لأحد أعضاء المجموعة، فيكفي أن نمنحه هدية صغيرة من الحرير من دون أن ندفع أي رسوم جمركية على الاطلاق. أما اذا كان غريباً فعلينا أن ندفع بين ١٠ آلاف روبية و٢٠ ألفاً. إنها مصاريف العمل!" ثم تنهد مندفعاً من جديد ليضيع وسط الجمهور. وتصورت للحال أن التجارة كانت دائماً تمارس هكذا على طريق الحرير.

بعد مغادرتي كاشغار التففت حول الطرف الشمالي لصحراء تكلاماكان في سيارة

(٨) الروبية وحدة النقد في الهند وباكستان وسري لانكا. وهي تعادل في باكستان نحو ٥ سنتات.

سياحية قديمة من صنع روسي يقودها صيني قاسي القسمات. عبرنا شريطاً معبداً بالاسفلت مليئاً بالحفر حل مكان السبيل الذي طرقته أجيال من الجمال لا حصر لها. والاسم تكلاماكان يعني "الداخل هذا المكان لا يخرج منه أبداً." لقد وجد هسوان تسانغ طريقه عبر الصحراء مستهديا بعظام رجال القوافل الذين لم تكتب لهم النجاة. وهو كغيره من الرحالة عذبته السرابات والعواصف الرملية المرعبة – أو ما يسمى بوران – التي تصدر أصواتاً مقعقعة وصراخات أشباح لا ترى.

والى يساري كانت جبال تيان شان (سيليستيال) تواكب الطريق لأكثر من ٨٠٠ كيلومتر، فيما امتدت الصحراء عن يميني الى ما لا نهاية، قاحلة لولا واحات نادرة أخصبتها مسيلات المياه الجليدية الذائبة من الجبال جزراً منعشة من الأشجار الظليلة.

أذهلني في هذه المنطقة النائية من الصين انتشار الأعمال الصغيرة التي نتجت من تشجيع الحكومة للملكية الخاصة. ولاحظت، حتى في صغرى الواحات، قرويين أقاموا طاولات مخلعة وبضعة مقاعد يقدمون عليها البطيخ الأحمر اللذيذ والمعكرونة الصينية مع الفلفل الحار والفلفل الأخضر.

عند الغسق قاربنا منخفض ترفان الواطىء ١٥٠ متراً تحت سطح البحر والذي يعتبر أحد أدنى المواقع في العالم. انزلقت سيارتنا كأفعى منحدرة عبر عالم سفلي من الأودية الضيقة المكسوة بالغبار والصخور الشبيهة بوجوه حيوانات ضخمة وطيور متجمدة في الحجر، لتثبت أخيراً وسط متاهة من الهضاب الرملية التي بدت معلقة فاقدة الوزن تحت أشعة الغروب الوردية.

كانت هذه الواحات، خلال ذروة ازدهار طريق الحرير القديمة، السند الاقتصادي لدول مدينية جمعت ثروات أسطورية من تجارة القوافل، لكنها تهاوت كلها مع الزمن إما بسبب جفاف الانهار وإما أمام جحافل الغزاة، فاندثرت واحدة تلو أخرى في رمال الصحراء، ولم تكتشف من جديد الا في التسعينات من القرن الماضي وأوائل القرن العشرين، بمجيء مستكشفين شجعان مثل الاسوجي (السويدي) سفين هيدن والالماني ألبرت فون لوكوك والانكليزي المجري (الهنغاري) المولد أوريل ستاين. استكشف فون لوكوك الطريق الشمالية التي كنت أسافر عبرها، وعثر، برفقة عالم ألماني آخر هو البروفسور ألبرت غرونفيديل، على مئات الكهوف المنسية التي أوت في ما مضى مجموعات من النساك. كما حقق فون لوكوك وزميله تيودور بارتوس اكتشافات مهمة في موقع كاراخوجا في ترفان عاصمة مملكة الويغور الضائعة منذ زمن بعيد والتي كانت تمتد غابراً عبر معظم سينكيانغ الحالية.

كاراخوجا اليوم هي صورة مدينة سوريالية تحوطها أسوار من الطين حفظت شكل

أبراجها التي ذابت كلها كقطعة آيس كريم (جيلاتي) تحت عصف رياح أزلية. سرت بين أبراج تآكلت فغدت مسلات مترنحة، وحجرات محفورة في الصخر كهوفا، وجدران مصقولة كأكمات ناعمة. إنها مدينة أشباح تمتد كيلومترات عبر السهل حتى تختلط تدريجاً بالبيوت الواطئة المبنية بالطوب في الواحة التي نعرفها اليوم.

قائد شاب

كانت وجهتي التالية واحة دونهوانغ على مسافة ٦٥٠ كيلومتراً شرقاً في القطار، حيث كنت أتوقع أن أجد أعظم مجموعة من الفنون القديمة الباقية في الصين. كان القطار الى دونهوانغ يقدم ما يسميه الصينيون بلا مبالغة خدمات "المقاعد القاسية." ولجت مقصورة عابقة بالدخان تغص برجال ويغوريين ملتحين وصينيين وقورين في ثياب العمل الزرقاء وقد انحشروا كل أربعة أو خمسة في مقعد. نمت نوماً متقطعاً محاولا أن أوازن جسمي على طرف مقعد خشبي. لكنني غرقت أخيراً في نوم عميق طوال كيلومترات لا تنتهي من صحراء عديمة الملامح اجتازها القطار متثاقلا بسرعة لم تتجاوز ٢٥ كيلومتراً في الساعة.

أفقت مع الفجر لأجد نفسي جالساً بجوار رجل انفعالي المزاج عرفت أنه في الحادية والثلاثين من عمره وأفادت بطاقته أنه رئيس اتحاد الشبيبة الشيوعية في إحدى مدن جنوب الصين. وكان، كما أخبرني، يقوم بجولة استقصاء خاصة في المناطق الغربية. كان الاتحاد على الدوام حقل اختبار لقادة المستقبل الواعدين، وكانت مهمة الرجل أساساً كسب الدعم لسياسات الحزب. قال لي مفجوعاً: "ان مهمتي شاقة، فالشباب الصغار لا يحبون ما أفعله كثيراً. لا أحد يرغب في الانضمام الى الاتحاد هذه الأيام. الشباب يريدون التحول الى التجارة وتحصيل المال."

ثم راح يخبرني أنه حصل أخيراً على قبول من جامعة أمريكية حيث ينوي أن يدرس ادارة الاعمال. وعندما أشرت الى أن معظم الطلاب الصينيين في الولايات المتحدة يتعلقون بالحياة هناك فلا يعودون أبداً الى الصين، أجابني: "لن أكون مثلهم. إنني أريد العودة الى الصين لأساعد بلادي لتصبح دولة عظمى." كان بحسب تقديري يردد شعاراً رسمياً. وهو بدا مخلصاً، لكنني لم أستطع مغالبة التفكير في ما اذا كان سيثبت، حين يتعرف الى مجتمع أكثر تحرراً، أنه مختلف الى هذا الحد عن كل أولئك الشباب الصينيين الطموحين الذين اختاروا مستقبلهم بعيداً عن الحزب.

من الواضح أن الحزب الشيوعي الصيني يواجه أزمة. فالشعارات والدعوات العقائدية التي حركت الملايين في الخمسينات والستينات من هذا القرن لم تعد تستهوي شعباً خاب أمله في تفوق الاشتراكية خلال الفوضى الاجتماعية التي أسفرت

عنها الثورة الثقافية بين ١٩٦٦ و١٩٧٦، مما اضطر حتى قيادة الحزب العليا الى الانحراف عن الشيوعية الاصولية وإن لم تعلن ذلك صراحة. وأصبحت أفكار، مثل بورصة الأسهم وتوزيع ملكية الشركات الحكومية على القطاع الخاص، وتعابير كالافلاس والبطالة، الشغل الشاغل لكثير من الاقتصاديين الحكوميين. كما أن السياسات التي مكنت الصينيين خلال العقد الماضي من تحقيق أرباح مادية من أعمال خاصة، وسمحت لهم باستئجار الاراضي واستغلالها كما يشاؤون وبالبحث عن مهن من اختيارهم في سوق وظائف أكثر حرية، كانت نقيض ذلك الشكل من الشيوعية الذي تلقنه معظم الصينيين في عهد ماوتسي تونغ.

سوف يرث صينيون شباب، كرئيس اتحاد الشبيبة هذا، مواقع السلطة في الحزب، وسيكون مصير الصين حينئذ متوقفا الى حد كبير على الأفكار التي سيعود بها، هو وآخرون، من دراساتهم في الغرب، وعلى مدى تحليهم بالشجاعة اللازمة لمواجهة الاجابات عن تساؤلاتهم.

سألت جاري: "لماذا لم يعد الناس يرغبون في الانضمام الى اتحاد الشبيبة؟ وكيف تشعر تجاه الحزب؟ وكيف تنجح في تجنيد أعضاء جدد؟" غير أن الشاب كان يجفل كلما أتينا على ذكر الحزب، ويعود الى التقوقع داخل ذلك النوع من الاجابات الجاهزة المتفائلة التي كان المسؤولون يحتفظون بها للأغراب. فأدركت عندئذ أنني تخطيت الحدود، فالسرية ما زالت من طرق العيش المتبعة في هذه الجمهورية الشعبية. وعندما نزلت من القطار في ليويوان، راقبت الشاب يلوح لي بعصبية من نافذة القطار، ثم يختفي معه ببطء في اتجاه الداخل الصيني الى مصير مجهول.

السور العظيم

في اليوم التالي ركبت دراجة هوائية وقطعت مسافة ٢٧ كيلومتراً خارج دونهوانغ لمشاهدة الـ"١٠٠٠ كهف" القائمة في واحة صغيرة محشورة بين قمم سلسلة جبال ييماشان الوعرة الحمراء وبحر متموج من الهضاب الرملية المترامية. كانت هذه البقعة، لأكثر من ألف عام، آخر قفزة للقوافل العازمة على اختراق مجاهل تكلاماكان المهلكة. وتمثل المغاور الخمسمئة التي نجت من صروف الزمان نصبا أزلية للأمل والخوف، قدت من الصخر بأمر تجار إما التماسا للحماية في رحلة الذهاب الى الغرب وإما كفعل امتنان لدى عودتهم سالمين.

لقد أثبتت الكهوف أنها خدع بصرية فنية مشبعة من الارض الى السقف بلوحات من عالم الخيال. ولا تزال أصباغها مشرقة ربما كما كانت حين وضعت قبل مئات السنين. ألوف من التماثيل المتناهية في الصغر غارت زخرفياً في سقوف الكهوف،

وحولها تماثيل موسيقيين ينقضون هنا ويدورون هناك ثم يندفعون كالسهام وقد أحاطت برؤوسهم هالات خضر وزرق وبيض، ينقرون على القانون أو يعزفون على الناي. وفي فجوات صغيرة تماثيل متأملين يجلسون القرفصاء مبتسمين وعلى وجوههم تعابير منتشية بالرضى والمعرفة.

كانت دونهوانغ مجهولة تماما لدى الغرب حتى منقلب القرن العشرين، عندما تناهت الى عالم الآثار أوريل ستاين إشاعات بأن ثمة ناسكا اكتشف مخطوطات في غرفة سرية مقفلة منذ نحو ألف سنة. وقد سمح الناسك لأوريل، في مقابل ١٣٠ جنيهاً استرلينيا (تعادل الآن ٩٠٠٠ دولار)، أن يرحل آخذاً معه ألوف المخطوطات واللوحات المرسومة على لفيفات البردي والتي تشكل بمجموعها واحدة من أهم المكتشفات التاريخية. فلقد زودت العلماء الغربيين منذ ذلك الوقت – وهم ما زالوا يواصلون ترجمتها – فهما عميقاً لا يثمن للعقائد والفنون الصينية القديمة.

بعد ذلك قمت برحلة في الحافلة دامت ثماني ساعات ونقلتني شرقاً، على امتداد الطرف الأدنى لصحراء غوبي، الى قلعة جيايوغوان التي حرست مداخل الامبراطورية من جهة الغرب خلال عهد سلالة منغ (١٣٦٨ – ١٦٤٤ ميلادية). وهناك ركبت قطاراً

أفقت عند الفجر لاكتشف المجرى الجامح الضيق لنهر واي ملتمعاً عبر النافذة. بدت جبال كين لينغ المصطبة بانحدار شديد معلقة في الضباب الصباحي الخفيف كأنها قمم خيالية في لوحة صينية، ثم أخذت تنفتح تدريجاً كبوابات هائلة لتكشف السهول الخصبة حيث مهد الحضارة الصينية. كنا نجتاز بقعاً اكثر كثافة بالسكان، وقد مر بنا القطار سريعاً عبر مزارع صغيرة وقرى من بيوت قرميدية وأفنية فحم وأتن فخار ومصانع تطلق مداخنها سحباً سوداء. فجأة برزت من خلال الضباب السديمي شرفات مهيبة للسور العظيم. كانت شيان في ما مضى روما آسيا، وهي

FERGUS M. BORDEWICH

أسوار مدينة شيان نهاية طريق الحرير.

اليوم العاصمة الحديثة لمقاطعة شانسي، وما تبقى فيها من آثار ترقى الى ما قبل الثورة يعود بمعظمه الى سلالة تشينغ (١٦٤٤ – ١٩١١ ميلادية) آخر سلالات الصين.

عرفت شيان باسم تشانغان في عهد سلالة تانغ (٦١٨ – ٩٠٧ ميلادية) حين كانت طريق الحرير عظمى طرق التجارة العالمية وكانت سلطة الصين ممتدة الى منحدرات كاراكورام وما بعدها. وكانت شيان آنذاك حاضرة مدينية تضم أكثر من مليون نسمة وتنبسط على مساحة ٨٠ كيلومتراً مربعاً. تدفقت إليها ثروات العالم المعروف آنذاك. تجار وسفراء من الهند واليابان وفارس وجزر جنوب شرق آسيا، جثوا جميعهم أمام من كان يومذاك أقوى أباطرة العالم سلطاناً في قصور رائعة الجمال كأنها من عالم الاساطير.

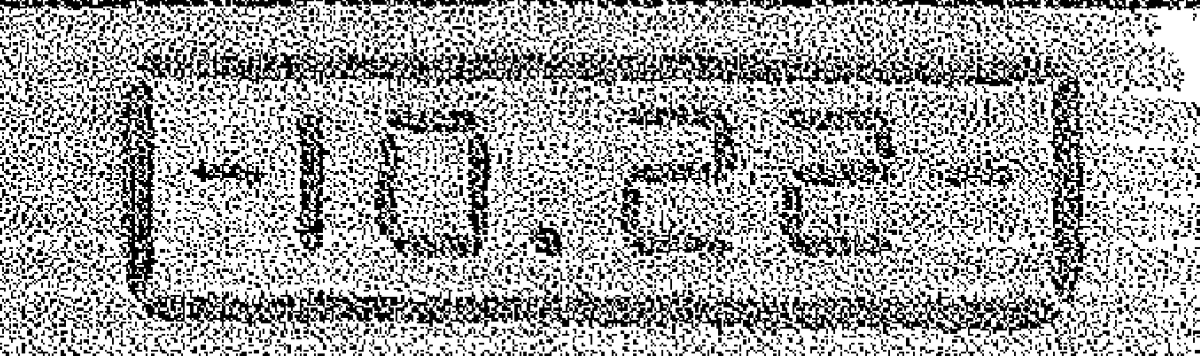
في الأيام التالية، تنقلت بحذر وسط بحر من راكبي الدراجات ذهاباً واياباً على امتداد جادات شيان الواسعة، لأكتشف مدينة نابضة بالحياة تفشت فيها المصالح الخاصة: مئات من الأكشاك على جوانب الطرق تباع فيها ملابس براقة زاهية، لم تكن تُرى قبل خمس سنوات عندما كان الزي الماوي الباهت لا يزال اللباس الوطني. وتلعلع أجهزة الستيريو بموسيقى الديسكو التايوانية التي كانت محظورة لسنوات قليلة خلت باعتبارها من علامات "الانحطاط البورجوازي." وتعرض متاجر خاصة أجهزة التلفزيون الملون والفيديو وحتى أجهزة الكمبيوتر الشخصية. وصادفت فرقاً تؤدي عروضاً تمثيلية في الشوارع بملابس حريرية بالية، وتمتع المشاهدين بصيحات الاوبرا الصينية التقليدية العالية النغمات. وفتشت عبثاً عن بقايا عاصمة سلالة تانغ العظيمة التي اجتذبت قوافل الآسيويين الى أسواقها في ما مضى.

ذات مساء تجاوزت السور الى هيكل دايانتا المنتصب على هضبة خضراء في ضاحية المدينة. تراكمت طبقات الهيكل السبع واحدة فوق أخرى كطبقات كعكة عرس مستدقة الى أعلى. والمبنى مثير للاعجاب، أنشىء قبل ١٣٠٠ سنة بأمر من الامبراطور لايواء هسوان تسانغ الشجاع الذي أقام هنا في شيان حتى آخر أيامه عاكفاً على ترجمة المخطوطات التي حملها من الهند. وفي سرادق صغير قريب وجدت طبعة بالحبر من نقش حجري يظهر تسانغ سائراً بخطى ثابتة على طريق الحرير برأس حليق ووجه هو مثال البراءة والبساطة، وقد برزت المخطوطات الشهيرة من جراب على ظهره.

واذ وقفت عاليا أحدق الى البعيد، الى مصانع شيان وجاداتها والى مدى الريف الصيني المترامي خلفها، أحسست أني بلغت أخيراً نهاية طريق الحرير.

فرغوس م. بوردفيتش ■

ترجمة فواز الخوري



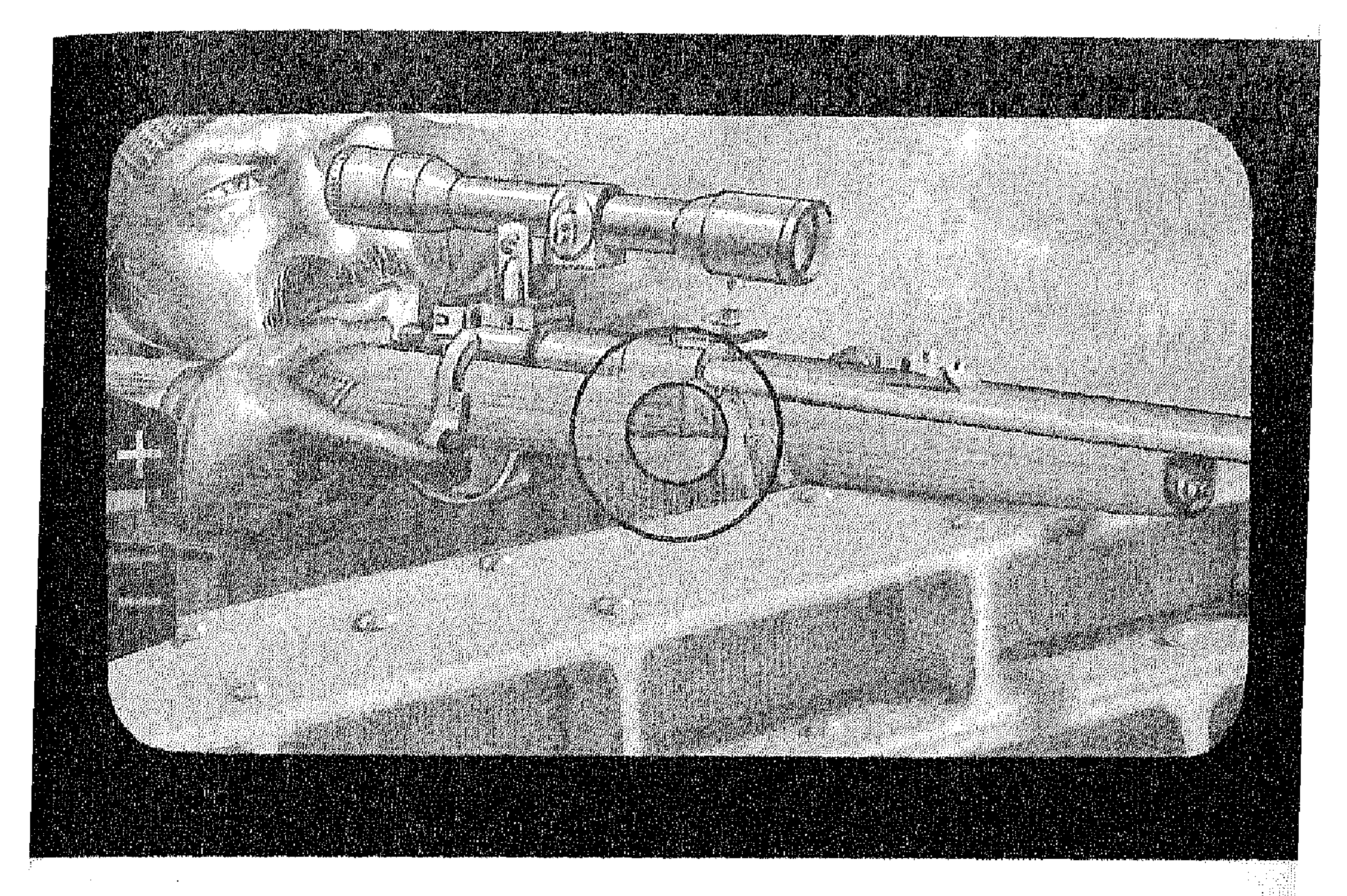
خاص - ٢

"عمليّة" مرسيليا

ملخص من كتاب "الصينيّ"

بقلم جورج نغوين فان لوك بالاشتراك مع جان - ماكس تيزييه

"عمليّة"مرسيليا



مع مرور الدقائق حاسمة، بات الرجل الذي تطلق عليه أوساط عالم الاجرام في مرسيليا لقب "الصيني" على يقين من أن الهلاك سيكون اما من نصيبه واما من نصيب الشقي الشاب الذي يحتجزه رهينة في مقابل فدية تبلغ ستة ملايين فرنك فرنسي (١،٢ مليون دولار)،
ذلك لأن النقيب في الشرطة جورج نغوين فان لوك ترعرع في الأزقة الوضيعة نفسها وأدرك جيداً الدافع الذي كان يحرك خصمه.
عرف أن لا خيار في هذه المواجهة
سوى الحياة أو الموت.

كانت شانتال كولومبو منشغلة في عد رزمة من الاوراق النقدية. وهي منذ التحاقها بفرع مصرف "كريديه ليونيه" في مدينة نيس عملت أمينة صندوق على شباك العملات الاجنبية واضطلعت جيداً بمسؤوليات هذه الوظيفة الحساسة. ولم يعكر الطقس الممطر ذلك اليوم في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ مزاجها المنشرح.

عند منتصف الصباح، تقدم من شباك منضدتها في المصرف رجل متأنق يضع نظارتين ذهبيتي الاطار، طويل القامة، أسمر البشرة، يرتدي سترة خفيفة وسروالا قاتم اللون. بدا في الثلاثين من عمره ذا وجه حليق لوحته الشمس. كان يحمل حقيبة جلدية بدت ثقيلة. ابتسم لشانتال وبادرها بلهجة جنوبية واضحة: "أود أن أصرف فرنكات سويسرية وأن أفتح حسابا بمبلغ كبير من المال، نحو أربعة ملايين فرنك سويسري (٢،٧ مليون دولار)." أجفلت السيدة كولومبو لدى سماعها هذا الرقم، ولم تكن سلطاتها المحدودة لتخولها بت عملية مالية بهذا الحجم. ابتسم لها الرجل ثانية كما لو انه تفهم ارتباكها، فقالت له: "هلا تفضلت بمرافقتي، لن يستغرق الامر طويلا." هز الرجل برأسه موافقاً وتبعها الى مكتب رئيس القسم المختص حيث عرّفت به. وبينما هي تشرح مطلبه للرئيس قاطعها بفظاظة فجأة: "هذه عملية سلب، لا تأتيا أي حركة ولا تصرخا، وسيسير كل شيء على ما يرام." وصوّب اليهما مسدسه ثم أمر شانتال المشدوهة: "اذهبي وبلّغي أمري الى مدير المصرف، وسأحتفظ بهذا السيد رهينة." امتثلت شانتال للأمر وهي تشعر بأن رجليها لا تقويان على حملها.

عندما وصل مساعد مدير المصرف كلود بريو ومدير شؤون الموظفين فرنسيس دولو الى المكتب، بادرهما المسلّح بأنه يريد فدية مقدارها ستة ملايين فرنك فرنسي. حدق اليه الموظفان مصعوقين وقد تكلم بسرعة وحزم، وأوحت لهجته أنه يدرك تماماً ما يفعله. لكن الاعتراض في تلك اللحظة، وإن تسجيلا لموقف ما، كان ليعتبر تصرفاً أحمق، كما ان أي مقاومة كانت مستحيلة وفوهة المسدس مصوبة نحوهما.

صرخ المسلح: "أريد رهينتين فقط." وأطلق شانتال ورئيس قسمها واحتفظ ببريو ودولو باعتبار أن للمديرين قيمة أعلى في المبادلة.

فجأة لوح بترموس[1] لفه بقطعة قماش، محذراً: "اذا لم تنفذا ما أمليه عليكما فسأفجر المكان كله." وأوضح أن الترموس مليء بالنيتروغليسرين، المادة ذات القوة التفجيرية الهائلة والسريعة التأثر اذ تنفجر لدى أدنى خضة. وتذكرت شانتال أنها شاهدت فيلماً قديما عنوانه "عاقبة الخوف"[2] قاد فيه البطلان شاحنة استحالت قنبلة منطلقة شديدة الانفجار. لكن شانتال تذكرت أنها ليست في صالة سينما، بل تعيش

(١) الترموس (thermos) وعاء يحفظ درجة حرارة السائل الذي يحويه.
(٢) The Wages of Fear

رعبا حقيقيا، فيه مسلح يتهدد حياة رجلين بريئين طمعا بالمال. ولم يسبق أن انتظرت شانتال في السينما كلمة "النهاية" بمثل القلق الذي تملكها في تلك اللحظات.

● فرقة مرسيليا ●

كنت أوصد الابواب والنوافذ في بيتنا استعداداً للذهاب في اجازة. وما ان أدرت المفتاح في قفل الباب الخارجي حتى رن جرس الهاتف، ففتحت ودخلت ورفعت السماعة: "لقد احتجزت رهينتان في نيس يا سيدي النقيب، وطُلب منا التدخل."

فقلت: "حسنا اجمعوا فرقة الطوارئ وجهزوا السيارات ثم تعالوا لاصطحابي."

بصفتي رئيس "فرقة التدخل في الشرطة الوطنية" في مرسيليا، كنت مسؤولا عن مجموعة صغيرة من ١٥ شرطيا تلقوا تدريبا خاصا وباتوا متأهبين لمواجهة أي نشاطات اجرامية غير عادية بما فيها عمليات السطو والارهاب. وعلى رغم أنني ترعرعت في أزقة مرسيليا حيث ولدت لأبوين فيتناميين، وألفت عالم الاجرام في المدينة منذ نعومتي، فقد سلكت سبيلا مغايرا. وأتساءل أحيانا ما الذي حولني عن عالم الاجرام ودفعني، عوض ذلك، الى الحصول على اجازة جامعية في المحاماة والتقدم الى امتحان لوظيفة مفوض في الشرطة بعد مشاركتي فترة في حرب الجزائر برتبة ضابط. لعل مرد ذلك الى أبي. أذكره مرة، وكان على فراش الموت، كيف شدني نحوه ممسكا معصمي باحكام واستجمع قواه الاخيرة ونظر الي بعينين متقدتين وقال: "أبقِ رأسك مرفوعا دائما." كان ذلك ما أورثني اياه، وما زلت ضنينا بإرثي.

بعد قتل ١١ رياضيا إسرائيليا أثناء دورة الالعاب الاولمبية التي أقيمت في ميونيخ عام ١٩٧٢، قررت الحكومة الفرنسية إعداد فريق خاص لمواجهة أوضاع مشابهة. وبدا أن مؤهلاتي، المتمثلة في إجازة الحقوق وخبرتي القيادية في الجيش وتقلبي في مراكز مختلفة في شرطة جزر المارتينيك ومرسيليا وضواحي باريس، جعلتني الشخص المناسب لتشكيل "فرقة مرسيليا."

أرسلت في طلب متطوعين من كل دوائر المدينة، وتلقيت نحو ٦٠ ردا سريعا. تأنيت في حكمي على المتقدمين محددا مدى مهاراتهم وقدراتهم على الاحتفاظ برباطة الجأش في المواقف الصعبة. واخترت لفريقي محترفين مدركين طبيعة عملهم تماما، وليس أفظاظا أو أفرادا يتصرفون كرعاة بقر غربيين. وأخضع هؤلاء لفترة تدريب شمل الرماية السريعة بالمسدس والبراعة في استخدام البندقية، الى قوة التحمل والقدرة القتالية. وحذرتهم منذ البداية من أن "لا مكان لمحبي الظهور في هذه المجموعة. فنحن لسنا في صدد انتاج أفلام سينمائية، بل سنتعرض فعلا للخطر. لذا أريد رجالا أستطيع الاعتماد عليهم."

فيما كنا نجتاز مسافة المئتي كيلومتر التي تفصل بين مرسيليا ونيس، اطّلعت عبر شبكة لاسلكي الشرطة على الخطوط العريضة لحادث السطو على المصرف.

كان الفاعل شقياً واحداً، ظلت هويته مجهولة، يحتجز رهينتين من موظفي المصرف في مكتب المدير في الطبقة الارضية. وهو مدجج بالسلاح ويعي ما يفعل. وبدا، من خلال حديثه مع شرطة نيس، مصمماً على المضي في مغامرته الى أبعد الحدود، اذ حذر رجال الشرطة قائلا: "اياكم أن تقدموا على أي عمل غبي، فأنا أحمل ترموساً مليئاً بمادة النيترو، ومستعد لتفجير المكان بأسره."

أثارت مادة النيتروغليسرين قلقي، فاستعدت التفاصيل في ذهني تكراراً. وحرص رجالي الذين اعتادوا أسلوبي في العمل، على عدم قطع صمتي مدركين أنني سأنقل اليهم المعلومات المفيدة فور ورودها علي، لأن العمل ميدانياً يقتضي الاهتمام بالامور الاساسية. وكلما قلّ الكلام سارت الامور على نحو أفضل.

واكبتنا الشرطة الدراجة وسط دوي الصفارات الى مكان الحادث. وكان كل شرطي في نيس وضع منذ العاشرة صباحا في حال تأهب. والآن وقد بلغت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، بدأ الوقت يدهمنا.

وكان الرقيب رينه برنابو، وهو مغوار سابق في البحرية، أقلّني من منزلي. ثم تولى مساعدي التحري جان بيار غاليه قيادة السيارة فأطلق لها العنان لتجاري الدراجات سرعة. وكنت متأكداً من أنني أستطيع التعويل كلياً على رجالي بول كابارو ورينه برنابو وجان بيار غاليه وبيار رولاندو ودومينيك باتيستي، الذين ألفوا إحدى المجموعات الثلاث الضاربة في "فرقة مرسيليا."

يقع فرع مصرف "كريدي ليونيه" في قلب نيس، ويطل مدخله الرئيسي على جادة جان – ميدسان وتحوطه شوارع الماريشال جوفر وجوزف بري واميل نيغران وطريق غير نافذة تدعى "زقاق لونشان" وهي المكان الحصين حيث احتجزت الرهينتان. ومن سخرية القدر أن يقع "شارع الحرية" على مسافة أمتار من المكان.

كانت الشرطة طوقت المبنى وأحكمت سد المنافذ المؤدية اليه. وأخليت الابنية والمتاجر المجاورة وضرب طوق أمني في المكان للحؤول دون اقتراب المتهورين، خصوصاً أن هناك خطر انفجار النيتروغليسرين في أي لحظة. وسمح لبضعة ضباط بالبقاء في زقاق لونشان.

طالت فترة الحصار وانقضت ثلاث ساعات وبريو ودولو تحت رحمة المسلح. ترى كيف هما يتحملان هذا الضغط؟ وأفاد مراسل صحيفة "نيس ماتان" اليومية الذي تمركز في الجانب الآخر من زقاق لونشان أنه لمحهما عبر النافذة يقرآن صحفاً بهدوء ظاهر. ولم يرصد أي حركة حولهما. ولكن ما من أحد استطاع التكهن بما في ذهنهما،

فربما كان هذا السكون الثقيل الوطأة هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.

ساد ردهة المصرف هرج ومرج: رجال شرطة ومراسلون صحافيون وموظفون يروحون ويجيئون، وكل يبدي وجهة نظره في الوقائع ويقترح الخطة التي يجب توسلها.

أذهلت خطورة الوضع المسؤولين في المدينة. وولّد نقص الاوامر الواضحة ارتباكاً مخيفاً. وعنَّ في بال أحدهم أن يوزع رماة الى يمين الردهة ويسارها بحيث تكون الطلقة الاولى كفيلة بأن يحصد بعضهم بعضاً. وعمت الفوضى على نحو جعل العملية كلها معرضة للانهيار في أي لحظة. وكان لا بد لشخص ما من أن يمسك سريعاً بزمام الامور.

● الشرك ●

عرَّفني مارك شيمول وهو مساعد في المقر الرئيسي لشرطة نيس، الى السلطات المحلية. واذ رحت أصافح موظفين حكوميين وقضائيين ومصرفيين، داخلني احساس غريب، ففي حين كنا نحن نتبادل عبارات المجاملة كانت حياة رجلين بريئين، في آخر الرواق، معلقة بخيط رفيع. كان ذلك احساس من هو في حضرة الموت.

صحت آمراً: "ليخرج من الردهة من ليس لديه عمل فيها!"

كان من الضروري توفير منطقة خالية من الناس بيني وبين المسلح. وتحقق رجالي من التدابير الامنية المتخذة في كل الاقسام ثم تمركزوا في غرفة منتظرين أوامري. كان عليهم ألا يطيعوا سواي. وشكلنا وسط هذه الفوضى العارمة القوة الوحيدة المنظمة والمستقلة.

استطلعت أنا وشيمول الوضع بدقة. كانت النافذة مدعمة بقضبان حديد وتعلو عن الارض مترين وتطل على زقاق لونشان. وتولت فرقة الاتصالات مد خط هاتفي على واجهة المبنى أتاح لنا التحدث مباشرة مع المسلح. واتصلنا بباريس حالما حدد هذا شروط الفدية.

أرسل المقر الرئيسي لمصرف "كريدي ليونيه" المبلغ المطلوب في حقيبة كبيرة وضعت في الردهة. ولكن، لسبب ما، رفض المسلح أخذها. لا بد انه شعر بأن ثمة فخاً ينصب له، فأمثاله يتمتعون عادة بحاسة سادسة قوية. كان يعرف ماذا يريد والثمن الذي عليه دفعه. لذلك هو لن يدع أحداً يخدعه.

تبين لنا أنه يستحيل النيل من المسلح من الداخل. فصعد القناصة في فريقي الى الطبقات العليا في المبنى المقابل محاولين احتساب الزاوية المناسبة لاطلاق النار. وسرعان ما عادوا محبطين، اذ تبين لهم أن القضبان الحديد للنافذة تؤمن للمسلح حماية تامة، كما أنهم لم يتمكنوا من رؤية شيء واضح داخل الغرفة، وقد قبع المسلح

على الأرض في زاوية غير مرئية من الخارج.
راجعتُ مراحل خطة التحرك التي وضعتها، ثم قدمتها الى مفوّض الشرطة والمدعي العام ليوافقا عليها. وكان ان انقاذ حياة الرهينتين في رأس الاولويات. وتقرر أن نحل أنا والرقيب برنابو محلهما قبل تسليم الفدية. ومتى تم ذلك يترك الامر لي.
ولتفادي أخطاء غير متوقعة، أخليت المصرف وطلبت من المسؤولين الرسميين أن يقبعا في احدى الغرف فلا يخرجا منها وإن هما سمعا اطلاق نار، لئلا يعوقا تحركنا. ثم وزعت رجالي بحيث لم يعد للمسلح سبيل للخروج من الشرك. وأمرت كابارو وهو أفضل مساعديّ وكان خارج المبنى، باطلاق النار على المسلح في حال نجاحي في حمله على الظهور. وتقرر تنفيذ العملية بعد هبوط الظلام واطفاء الانوار الخارجية لابراز الهدف جلياً عبر النافذة. وسينتظر التحريان باتيستي ورولاندو خلف عمودين في الردهة. وسيكون غاليه في مكتب صغير محاذ لذاك الذي احتجزت فيه الرهينتان، متأهبا للتحرك عند الطلقة الاولى. أما اذا أخطأ كابارو الهدف، لسبب ما، فسنصبح أنا وبرنابو تحت رحمة المسلح، وحيدين أعزلين، وأي عمل نأتي به سيندرج في اطار الدفاع عن النفس. واختصرت المسألة بمعادلة بسيطة: إما أن يقضي علينا المسلح واما أن نقضي نحن عليه.

● مجرم محترف ●

خطر لي أن المسلح قد يرغمنا على ركوب السيارة التي ستسلم اليه مع الفدية. وتحسباً لهذا الاحتمال امرت رجالي بالا تتعدى كمية الوقود في خزان السيارة أربعة ليترات، ما يكفي لاجتياز ٣٠ كيلومتراً فقط. وافترضت أن يجلس المسلح في المقعد الخلفي ويجلسنا نحن في المقعد الامامي ليتمكن من مراقبتنا فيما أتولى أنا أو برنابو القيادة. وكنا كلانا نعرف تماماً ما ينبغي القيام به إذذاك. فما ان نسلك طريقاً مستقيمة حتى يتحين السائق لحظة مناسبة فيضغط الكابح ويفقد المسلح توازنه، فنلوي ذراعه ونطبق على عنقه. عندئذ تكون وحدات من الشرطة أدركتنا فتتولى هي بقية الامر.
واتفقنا على شأن أخير: في اللحظة المناسبة لبدء العملية يتصل بي شيمول هاتفياً ويقول بنبرة طبيعية: "كل شيء جاهز للفدية." وسأفهم انا فحوى الرسالة.
فرغنا من الاستعداد للعملية قرابة السادسة مساء. وتولت شاحنتان قطر السيارات المتوقفة في الشارع لابقائه خالياً. وراح ضوء النهار يخبو بسرعة فيما أحاطت هالات نور بمصابيح الشارع ولمع الرصيف تحت الواجهات الشاحبة للابنية، وبدا زقاق لونشان مسرحاً لاحداث فيلم مثير.
انطفأت الانوار كلها لاحقاً، فأثقلت الظلمة جو التشاؤم الذي لف المكان.

طلب المسلح ابدال شرطيين بالرهينتين. وهو قد يكون تصور أنه سيؤمن بذلك غطاء أفضل لنفسه، لأن رجال الشرطة سيترددون في إطلاق النار اذا كانت حياة اثنين من زملائهم عرضة للخطر. في أي حال، أوحت بادرة حسنة منه أن حساباته انطوت على درجة من المسلك الاخلاقي كنا ننكرها عليه. فهو أطلق شانتال كولومبو ذلك الصباح بلا قيد ولا شرط، وكرر لاحقاً طلبه إخلاء المصرف من النساء. لقد بدا أنه يلعب وفقاً لاصول معينة. إذ أرضاه أن يحتجز اثنين من خيرة رجال الشرطة ويبقيهما تحت رحمته، وأن يتعامل مع رجال تلزمهم مهنتهم القضاء عليه.

تولى شيمول المفاوضات بديبلوماسية ناجحة. ووضع المسلح شرطاً واحداً قبل اتمام عملية ابدال الرهينتين، وهو أن يرتدي كل منا، نحن الاثنين، قميصاً رياضياً وسروالا قصيراً وحذاء خفيفاً ليتعذر علينا إخفاء السلاح تحت ثيابنا. لم يدع أي حيلة تفوته. ولم نكن نواجه مجرماً عنيفاً فحسب، وانما رجلا ذكيا يقظاً وحازماً.

في أي حال، كسبنا الجولة الاولى تكتيكيا، اذ انحصرت المواجهة بين المسلح وشرطيين. كنا ندرك أننا نقدم على مجازفة كبيرة، لكن انقاذ الرهينتين كان هدفنا الاسمي. وبعد ذلك، لكل حادث حديث.

● ابن حي فقير ●

تطوع برنابو للمشاركة في العملية. كان قويا ومخلصاً وقادراً على الصمود. وقد بدونا كمغفلين في سروالينا القصيرين واقفين وسط ردهة المصرف الفخمة. لكننا لم نشعر برغبة في الضحك. وبعدما تبادلنا نظرتين سريعتين، صحتُ: "هيا بنا."

سرنا في الرواق القصير وقد خيم على المبنى سكون لم يعكره وقع خطواتنا على الارض الرخامية. لم نكن خائفين، لكن تلك كانت مواجهة حاسمة نفوز فيها أو نقضي.

وكان بريو ودولو نهضا عن كرسييهما وأمارات القلق ونفاد الصبر بادية على وجهيهما الشاحبين. لقد احالت ساعات التوتر تلك ملامحهما قناعين مثيرين للشفقة. والآن لم يعد في مقدورهما الانتظار أكثر، والحرية خلف الباب، عند أسفل الرواق حيث وقفنا أنا وبرنابو.

خشي المسؤولان المصرفيان أن يغير المسلح رأيه، لكنه لم يلبث ان أومأ اليهما بالخروج بعدما فتش ثيابنا بعناية، فخرجا من دون أن ينبس أي منهما بكلمة مدركين أن هذه المبادلة وضعت حداً لمحنتهما وفتحت لنا باب الجحيم.

سدل ستار على النافذة الوحيدة التي تطل على الشارع. وبدأت حبال المطر تسوط الالواح الزجاج. وكان جو الغرفة مثقلا بالتوتر.

جلس المسلح في زاوية محجوبة على مقربة من النافذة بحيث استحالت رؤيته من

الخارج. وفصلت بيننا طاولة ضخمة وضعت منحرفة في الغرفة، وكان المسلح أزال عنها اللوازم المكتبية ووضع عليها حقيبته. جلسنا قبالته، قرب الباب، أنا الى اليسار وبرنابو الى يميني. وأبقى المسلح مسدسه ذا الطلقات السبع مصوباً نحونا وأمسك الترموس بيسراه.

ما ان حدقت اليه حتى أدركت أن قهره سيكون صعباً جداً. فهذا الرجل لم يكن يدَّعي صفات ليست فيه. انه محترف حقاً.

وهو بادرنا ببعض الرضا، كما لو أن وجودنا، انا وزميلي، أضاف توابل الى حسابه: "لستما شرطيين عاديين." لقد شعر أنه صار أكثر أهمية اذ قيس بمثلنا، ونحن أضفينا على عمله مشروعية.

نظر الي وقال: "أنت. أنت الأخطر. ستبقى هنا. وحين أخرج سآخذ مساعدك معي. وإن هو اتى حركة فسأقضي عليه."

كان ردي فوريا: "إن أنت قتلته فسأبحث عنك أينما كنت وأطلق رصاصة على رأسك. وفي امكانك قتلي أنا أيضاً، لكنك في هذه الحال لن تخرج حياً أبداً."

فقال بصوت بارد: "حاول أي خدعة وسترى انك ستموت."

وددت لو استطعت رؤية عينيه. لكنهما، ويا للأسف، كانتا متواريتين خلف نظارتين سوداوين. فالعينان في مواقف كهذه تفصحان عما يجول في الذهن. لكني تمكنت من احباطه اذ جعلته يدرك أن حياته رهن بحياتنا وبات واضحاً أنه لن يكسب شيئاً بقتلنا.

ومع ذلك تحداني رافعاً الترموس: "اذا وقع هذا الوعاء فستتمزقان ارباً."

فصححت عبارته: "مهلا، سنتطاير جميعاً."

وتابعنا محادثتنا الغريبة على هذا المنوال. فقلت له محاولا التقرب منه: "أنت مثلي لهجتك مرسيلية."

– أجل.

"اننا نتكلم اللغة نفسها باللهجة نفسها. لا شك في اننا من منطقة واحدة."

لم ينكر ذلك.

إني أتمتع بشهرة واسعة في مرسيليا تتعدى كوني آسيويا يلقبه عالم الجريمة في المدينة "الصيني." ولا شك في أن هذا الرجل عرف من أنا على رغم أننا لم نلتق قط. كان يلعب أخطر مقامرة، إذ عليه، ليكسب مبلغ ستة ملايين فرنك، أن يراهن بحياتي على حياته.

لو كنت أواجه مجرماً شهيراً معروفاً لسهلت القضية، لأن هذه الجماعة من الاشقياء ما أن تقع في الفخ حتى تستسلم من دون احداث اي اذى. وهي، تاليا، تعرف حدودها وتقف عندها ولها قوانينها الخاصة التي تحترمها. في حين أن القبض على مجرم

مجهول كهذا الرجل مسألة أخطر كثيراً. يريد أن يحقق لنفسه منزلة مهمة في عالمه، ويعدّ تصدر اسمه عناوين الصفحات الاولى للجرائد تأشيرة دخول الى سؤدد الاجرام.

كان المجرم الماثل أمامي ذئباً وحيداً مستعداً للاقدام على أي شيء من أجل تحقيق شهرة يتذكره بها أنداده المجرمون. لكنه لم يكن يائساً يسخر من الموت. لقد اختار فرع المصرف في نيس لانه رجل مجهول في هذه المدينة. وهو خطط لضربته جيداً، وسيمضي فيها حتى النهاية.

أحسست كل ذلك اذ بدا واضحا لي، على رغم السنوات العشرين أو نحوها التي تفصل بيني وبين المجرم، أننا تقاسمنا فتوة متشابهة وفي حي بانييه القذر نفسه، وهو حي سيىء السمعة في مرسيليا لا يتعدى عرض شوارعه المتشابكة عرض عربة اليد ويقطنه عمال فقراء ومجرمون صغار وتتدلى الملابس المغسولة بين أبنيته. لقد عبرت هذه الشوارع المعتمة مراراً، يعتريني شعور هو مزيج من المتعة والارتياب.

وأقام صبية الحي سلطة محلية هناك: يبيتون في الشوارع ويحتكمون الى قوانينهم الخاصة وينتظمون في عصابات متنافسة ويتلقون العلم في مدرسة العنف حيث لا مغفرة للضعيف ولا حماية.

● "لن أدخل السجن!" ●

لم تكن العصابات آنذاك تتورط في عمليات سرقة أو اتجار بالمخدرات، لكنها كانت تحارب من أجل مكانتها ضمن الحي. وكانت لدينا شعيرة نلجأ اليها لتسوية خلافاتنا. فكان الفرد منا الذي يساء اليه يضع قشة على كتفه ويتحدى خصمه: "تقدم وأسقطها اذا كنت رجلا." وكان الخصم ملزماً قبول التحدي والا فقد اعتباره. ومع أن هذه القشة الصغيرة لم تكن تعني الكثير، فان مجرد رؤيتها "متربعة" على كتف فتى أكبر منك وأقوى كان يكسبها معنى أكبر وهي لا تزال تمثل لي رمزاً أتمسك بمعناه. ففي الحياة لا نرى دائماً القشة الصغيرة على كتف عدونا، لكنها هناك، وعلينا التحلي بالقوة والشجاعة لاسقاطها أيا يكن الثمن.

وتتعاقب الوجوه في مخيلتي حين أستعيد ذكريات الايام الغابرة. وأعرف تحديداً مَن مِن هؤلاء الاولاد قضى قتلا ومن منهم أصبح زعيم عصابة أو علق في متاهات حياة كئيبة مجهولة. ومن غير وعي مني، اكسبتني هذه الوجوه وتلك الازقة الوضيعة خبرة واسعة خولتني أن أصبح اليوم شرطياً من القلائل المطلعين على الجذور النفسية والاجتماعية لرجال العصابات ودوافعهم وحلولهم الوبائي في مرسيليا.

كان المسلح يحمل في حقيبته جهاز راديو ويستمع بانتظام الى نشرات الاخبار حول العملية والتي كانت تبثها محطة "فرانس - انتير" المحلية. وهكذا تمكن من معرفة

هويتي. ولم يبدِ أي رد فعل لدى اذاعة نبأ ابدال الرهينتين. وكان بين حين وآخر يسكت المذياع بعد أن يكون سمع ما يريد.

وقال كأنه يفكر بصوت مرتفع: "أريد ستة ملايين، وسأحصل عليها." هذا ما أراده تماماً: المال وحياة البذخ والترف اللذين يتمتع بهما أسياد عالم الاجرام... أحلام تتلاشى في السجون أو في القبور.

واستدرجته لمزيد من المعلومات، ولكن تدريجا لئلا أثير شكوكه. فحاولت أولا تكوين فكرة أفضل عن شخصيته ودوافعه النفسية. كان علي التقيد بشروط اللعبة، فعرضت عليه مخرجاً: "إسمع يا بني، أنت ربما في الخامسة والعشرين أو في الثلاثين من عمرك. اذا استسلمت سلمت ورحمت والدتك."

فأجفل فجأة. وعرفت أنني أصبت منه موضعاً حساساً، فأضفت: "هل تقوم بهذا العمل كرمى لفتاة؟"

فأجفل ثانية واحتقن وجهه وارتجفت شفتاه ثم دمدم بغضب: "كف عن هذا الهراء!"

● رائحة الموت ●

لزم برنابو الصمت وهو جالس في كرسيه يراقب ما يجري بهدوء. وكانت الكرة في ملعبي. ترى هل ظن المجرم أنه سيربح في لعبة الحظ هذه؟ وما الذي جعله يفكر للحظة أنه قادر على الافلات من حصار الشرطة والفرار بغنيمته خارج البلاد ليعيش بهناء بعد ذلك؟

ظل المسلح على إصراره: "لن أذهب الى السجن، وسأتمكن من الخروج بالمال."

كانت هذه الفكرة المهيمنة عليه باعثاً على القلق. فرفضه العنيد للسجن يعني أنه ماض في عمليته حتى النهاية.

لم ترقني الفكرة، وحاولت إقناعه بأن لعبته خاسرة فليكف عن الاغراق في الخطأ. وأوضحت له أن السجن ليس أسوأ ما يمكن أن يحصل له، لكن كلامي ذهب هباء. قال، كأنه يخاطب نفسه: "لا. من المستحيل أن أدخل السجن."

توسلت أعذاراً مختلفة محاولا الاقتراب من المسلح ما يتيح لي نزع سلاحه، ظناً مني أن تيقظه فتُر. لكنه كان في كل مرة يوقفني حيث أنا ويحذرني: "الزم مكانك، أفهمت؟" لم يكن يمازحني. فيده اليمنى التي أمسك بها المسدس ظلت ثابتة. وكان ليطلق النار لدى أدنى حركة تشعره بالخطر.

قبعنا أنا وبرنابو نراقبه متوقعين أن تصدر عنه أي علامة ضعف. أملت أن يتعب، وعوّلت على انهيار اعصابه. لكنه ظل صامداً، محكماً قبضته على المسدس، والترموس

في حضنه. وتأكد لي أخيراً أن هذا لا يحوي مادة النيتروغليسرين والا لكانت الطريقة التي راح صاحبنا ينقله بها تسببت في انفجار رهيب أطاحنا جميعا قبل وقت طويل.

اكتسبت هذه المعلومات عن المتفجرات خلال حرب الجزائر، وكنت أستعيدها وأستعين بها عند الحاجة.

وأدركت أن المسلح حاول منذ البدء زرع الخوف في قلوبنا مستخدما خطرا وهميا. ولكن عليّ الآن ألا أدعه يعرف أنني كشفت خدعته.

خيم صمت ثقيل على الغرفة قرابة ساعتين. وتوقف المطر في الخارج، وهبط الظلام باكراً بسبب كثافة الغيوم التي حجبت سماء المدينة.

كان الطقس حاراً والهواء خانقا، وأثار الجو الثقيل المكهرب أعصاب المسلح، لكنه لم ينل من أعصابنا نحن، لان الوقت كان حليفنا. كنت أتصرف وفق نهج اعتدته تماما، ولم يألفه هو. وجلّ ما استطاعه انه راح يراجع حساباته ويترقب. تفرست في وجهه جيداً بحثا عن تبدل ما، لكنه ظل محتفظا برباطة جأشه.

وكنت ارتأيت الا نعرض أنفسنا للخطر قبل حلول الظلام. وقد خيم هذا الآن. فجأة انطفأ النور. لقد انقطع التيار الكهربائي! فنهضت تلقائيا وسرت نحو النافذة، فأنار الغرفة وميض برق ولمحت اصبع المسلح تلتصق أكثر بزناد المسدس وانطبعت صورته في شبكية عيني. ثم أطبق الظلام ثانية فاغتنمت الفرصة لأفتح ستار النافذة.

وعاد التيار مجدداً بعد انقطاع قصير، فأستراحت اصبعه. وزعق بصوت أجش: "عد الى مكانك واحذر." فعدت الى كرسيّ من دون اعتراض.

لم ينهض ليسدل الستار ثانية، ربما خوفا من إظهار نفسه. لقد سجلت هدفا آخر وبات عمل القناصة أسهل الآن.

ومض البرق ثانية فلمحت كابارو، وهو رامٍ بارع في فريقي، ينظر من تحت القضبان الحديد التي تسيج النافذة. ولم يكن في وسع المسلح رؤيته من زاويته. كانت الامور تسير وفقا لخطتي.

نهاية مفاجئة

الثامنة مساء شعرنا بالجوع والعطش، فأرسلت في طلب شطائر ومرطبات آملا أن يفطن فريقي الى الصاق مسدس رقيق بأسفل الصينية مما يمكنني لاحقا من نزعه وإطلاق النار من مسافة قريبة.

أُرسلت الصينية، فتحسست أسفلها فلم أجد شيئا. فأكلنا وشربنا بصمت. وقرابة العاشرة ليلا ضاق المسلح ذرعا وزاد صوته حدة وفظاظة. لقد اقتربنا من نقطة اللارجوع.

فجأة انفجر قائلا: "ان رفاقكما يحاولون أن يهزأوا بي. أريد المال بسرعة، أريده الآن والا حولت المكان مقبرة." لقد أصبح اهتياجه عنيفاً، وكانت مضت ١٢ ساعة على بدء المواجهة، وهي فترة طويلة جداً يصعب تحملها.

أردت أن أكسب مزيداً من الوقت، فاتصلت هاتفيا بشيمول ثم أبلغت الى المسلح أن الفدية في طريقها من باريس الى نيس على متن طائرة. ترك هذا الامر ارتياحا لديه فعاد يمازحنا، قال: "أراهنك بمئتي فرنك على أنني سأخرج من هنا والملايين الستة في حوزتي." فرفعت حاجبا وأجبته: "حسنا، لكن أرني المبلغ أولا."

تصورت أن تكون حافظة نقوده داخل الجيب الايسر لسترته وسيتعين عليه، لاخراجها، نقل مسدسه من يده اليمنى الى اليسرى مما يتيح لنا فرصة للانقضاض عليه وتجريده من سلاحه. ولكن، لسوء الحظ، كانت حافظته في جيبه الأيمن.

ناولني الحافظة المصنوعة من جلد اصطناعي بني، ففتحتها وتحققت من محتوياتها: لا تكاد تغطي قيمة الرهان. وهو جاهد ليتمالك نفسه، لكني أحسست بمدى اثارته. قال بابتهاج: "عندما يصل المال ستعده."

فأظهرت ممانعة: "آسف، لست خادماً لأحد. أريد مليون فرنك في المقابل."

– ماذا؟ تريد مليون فرنك لتعد المال؟

وبدأ يضحك كأنه سمع طرفة.كنت أغالي حقا. لكن ابتهاجه لم يدم طويلا، فبعد مضي ثلاث ساعات أصبح الجو خانقا واجتاحت رائحة الموت الغرفة كما تنتشر بقعة صباغ ببطء. صحيح أن شيئا لم يتبدل ظاهرا، لكنني كنت أستطيع تحسس "البقعة" كلما اتسعت دائرتها.

أدرك برنابو ذلك أيضا. وعلى رغم أنه لم يأتِ حركة فقد شعرت بأنه توتر فجأة. لكنه تمالك نفسه راصداً الوضع استعداداً للانقضاض.

صرَّ المسلح بأسنانه ودمدم: "قسماً بالله! أحضروا المال بسرعة والا حصلت مجزرة."

وأيقنت من كلامه أن الاحباط بلغ منه أشده وأن من الحكمة العزوف عن محاولات أخرى معه. كان علينا قتله، وليس ثمة مخرج آخر، فاما هو واما نحن.

في العاشرة والدقيقة العاشرة اتصلت بشيمول ثانية فكان جوابه الاشارة التي اتفقنا عليها: "الفدية جاهزة." وتسارعت الاحداث اعتباراً من تلك اللحظة.

نهضنا أنا وبرنابو لانتظار شيمول الآتي بالفدية. وافتتن المسلح بسحر الملايين الستة التي أصبحت على قيد أنملة منه، فوقف مأخوذاً وخرج من زاويته في اتجاه النافذة. فجأة سمع طلق ناري من الخارج. كان كابارو هو الذي اطلق النار. تسمر المسلح أمامي ومسدسه لا يزال مصوباً نحوي، لكنه لم يطلق النار.

في اللحظة ذاتها رمى غاليه مسدساً من خلال الباب المفتوح، فتلقفه برنابو وأطلق النار فأصاب المسلح في رأسه. ثم وثب رولاندو داخل الغرفة وأطلق النار من مسافة قريبة. ودخل غاليه وباتيستي ووقفا خلفي.

لقد انتهت النائبة.

كان المسلح يدعى غي باتريك تشاليان وله من العمر ٢٤ عاماً. عاش في مرسيليا في منطقة المرفأ القديم التي عرفتها جيداً في ما مضى. وعثر في جيوبه على مشطي ذخيرة. كان ممكنا أن أكون أنا وبرنابو مطروحين هناك عوضاً منه وقد مزق الرصاص جسدينا. وتبين لاحقاً أن الرصاصة التي أطلقها كابارو من الخارج اخترقت إطار النافذة. ولو انها مالت سنتيمترا واحداً الى اليمين أو الى اليسار لارتدت وأخطأت هدفها أو أصابت حائط الاسمنت، ولأطلق المسلح النار عليّ.

كان حدسي مصيبا في شأن النيتروغليسرين، اذ تبين في مختبر شرطة نيس أن السائل اللزج اللبني في الترموس كان شراب لوز.

نقل رجال الاسعاف الجثة الى المشرحة. واستكملت الاجراءات النهائية في اليوم التالي عندما حضر والد تشاليان للتعرف الى جثة ابنه.

شخصت العيون الينا منذ لحظة استدعائنا، وتتبع الرسميون تطور العملية وتحركوا بسرعة عندما انتهت. ففي الليلة ذاتها أرسل وزير الداخلية آنذاك ميشال بونياتوفسكي برقية تهنئة الى قيادة الشرطة بنجاح العملية ورسالة اطراء خاصة الي والى الرقيب برنابو، شاكراً كل عنصر في الشرطة الوطنية شارك في المهمة. وقدم يوم الاثنين التالي الى نيس ليقلدنا ميدالية للشجاعة والتفاني.

ان الرأي العام متعطش لقراءة أخبار الجرائم، لذا انتدبت الصحف الكبرى خيرة مراسليها لتغطية دقائق العملية. فاضطررت الى اجراء بعض المقابلات، لكني أحجمت عن أي تعليق شخصي. وتصدرت قضية تشاليان صحف اليوم التالي.

خالجتني مشاعر متضاربة وأنا أقرأ تلك الروايات. كنت أجدها دقيقة حيناً وبعيدة عن الواقع أحياناً. وأدركت كم تفقد الاحداث صدقيتها عندما تترجم عبارات مكتوبة. فقد أوردت الصحف رواية عادية مبتذلة لأحداث ساعات طوال من التوتر والترقب والخوف واراقة الدم.

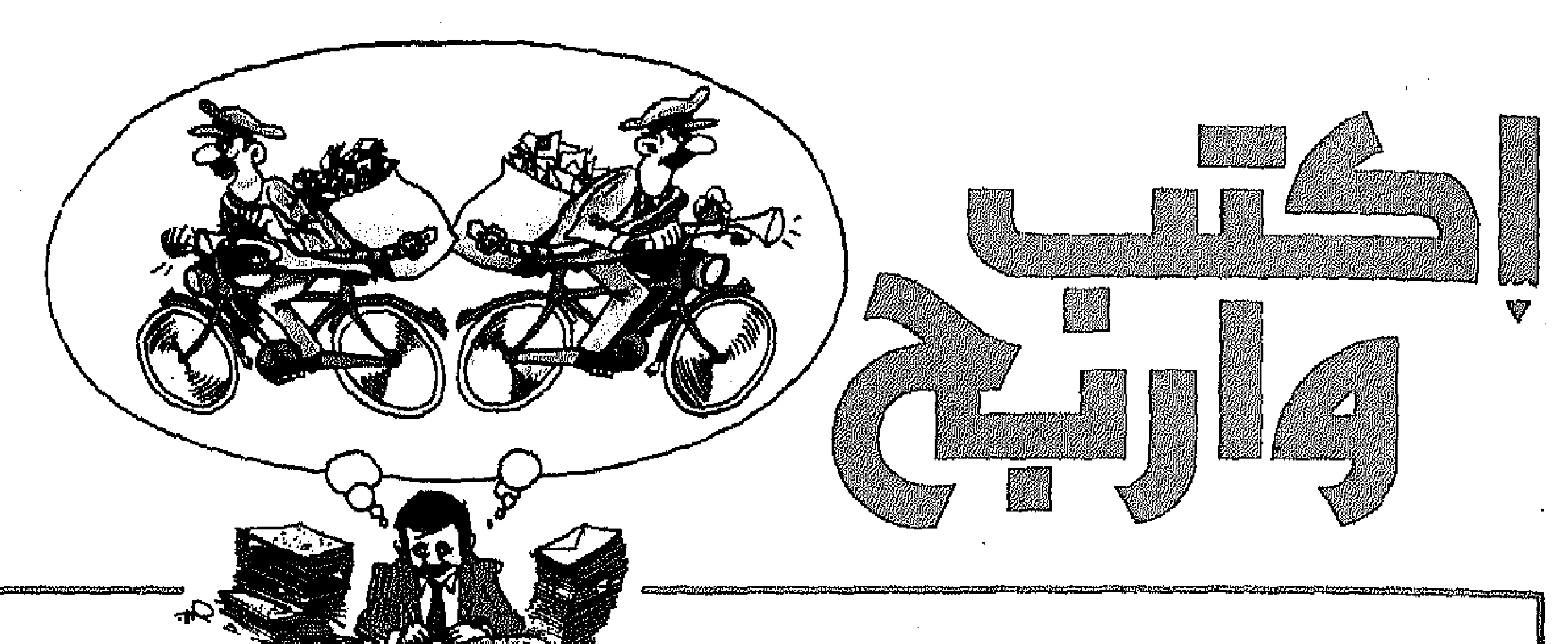
ماذا تبقى من كل ذلك الآن؟ بعض الحبر الجاف على صفحات الجرائد، واتضاع أمام الموت لم يبارحني، وسعادة لأن الميدالية لم تعلّق على نعشي.

جورج نغوين فان لوك

بالاشتراك مع جان - ماكس تيزييه ■

ترجمة مايا باسيل

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٤٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٤٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

CHARLES COWLES GALLERY, NEW YORK CITY.

"الارجوحة" - زيتية للفنان الامريكي دنكان حنا، ١٩٨٧.